

كتاب الفوائد

﴿ المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ﴾

أليف الامام الحجة شمس الدين أبي عبد الله محمد
المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي
المتوفى سنة ٧٥١ تغمده

عنى بتصحيحه الشيخ محمد بدر الدين النعساني

﴿ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٧ هجرية ﴾

على نسخة

(محمد أمين الخانجي السكتي وشركاه بمصر والاستانة)

طبع بمطبعة السعادة لجوار محوطة مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ صلي الله على محمد وعلى آله وسلم ﴾

الحمد لله الذي كشف عن قلوب أهل العلم ظلمات الجهل المذلهم وطهرها من
أدناس الرين وأجناس الريب وملأها إيماناً وحكمه وأمدّها بنور الإلهام وضياء الأفهام
فعلمت علمه وأحكمت حكمه وجلّ عن بصائر غشاوة القساوة فلم يرهقها قتر ولا
ظلمه وخص هذه الأمة من ذلك بالقسم الأسفى والقدح الأعلى فلذلك كانوا خير
أمة وفتح عليهم من حقائق العلوم وخوارق الفهوم ما لا رقت إليه من سواهم
ولا تحركت إليه من أحد سواهم عزّمه فنظروا في علوم الأوائل فحرروها ضوابط
وقسمه وتفرّدوا بفنون وفضائل لم تشم نعمة غيرهم منها طيب نسمة منها الفصاحة
التي سامت من الفصاحة والعجمه والبيان الذي مسماه قد أوفحه وأبان اسمه وعام
الأصول والفروع اللذان فيهما ضروب الحكمه وبدائع علوم الكتاب والسنة اللذين
هما مسقط كل رحمة ومهبط كل نعمة الى غير ذلك من اللطائف العربية وأوزان
القريض الذي أجادوا نظمه ورصفوا رقه وغرائب أساليب النثر الذي قوّموا قدحه
وسدّدوا سهمه فلذلك نصبهم الله هداةً وجعلهم أئمة (أحمد) حمد من أكمل
احسانه لديه وأتمه وأشكره شكر من خصه بالطفاه وعمه وأصلى على نبيه الذي صرب
عليه سراق الكفاية والمصمه وكشف به بدر الجهالة وكشف به عنا كل عمة
صلى الله عليه وعلى آله الليوث في كل هجمة والقبوث في كل أزمة ورضى عن أصحابه

الفوت عند كل شدة واللامه عند كل مدمة (وبعد) فان الله تفضل على هذه الامة
 أن جعلهم عدولا خيارا وجعلهم شهداء في أرضه شهداء على الناس يوم ترى الناس
 سكارى وبعث اليهم أقربهم اليه محبة وإيثارا وأعظمهم لديه شرفا ومقدارا وأنزل
 عليه كتابه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
 حميد وحسبهم بذلك علواً ونخارا وجعله نوراً وسراطاً مستقيماً وحث على تعلمه
 وعلمه ليعم باحسانه ويؤتي من لدنه أجراً عظيماً وأقامه حجة على من ضل ومحجة لمن
 اهتدى وأودعه حكمة وموعظة وهدى ونصبه دليلاً على الحق لا يضعف ولا يهوى
 وسبباً يصدر عنه كل رشد واليه ينتهى وطريقاً تجلّى بإسلاك نفائس الاعمال أهل
 سلوكها وبرهاناً وانحياز جرهم عن خلل انحلال عقائدهم وشكوكها وأودعه من
 الإعجاز ما لا يحصر بحصر حاصر ولا بعدة عاد من الأمر والنهى والوعد والوعيد والحكم
 والأمثال والمواعظ وقصص القرون السالفة كالصحاب الرس وقوم عاد فكم في لفظه
 من إيجاز بسفّه حلم من يقول بلفظه وكم في معناه مغن للجادة في حفظه أبدعت في
 أنواع البديع كلماته وأعربت في أجناس التنجيس سورة وآياته ورمت أرباب الفصاحة
 بالجمود والعي فصاحته وجزالته وأخرست ألسنتهم الذرية فأعيتهم مغارضته وإزالته
 فأقروا له بعد تسفيه أحلامهم وتقريرهم وتمجيزهم بالحلاوة والطلاوة وعلموا أنه
 ليس من كلام البشر ولكن غلبت عليهم الشقاوة هذا مع أنهم لم يتدبروا أكثر
 معانيه بل قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه طابوا الغلب وظنوا أنهم غالبون
 وأوسعوا الطلب فولوا وهم خائبون يريدون ليطفثوا نور الله بأفواههم والله متم نوره
 ولو كره الكافرون أنزله بلسان العرب ليكون حجة عليهم وسخ به جميع الكذب
 فكان أنزله أشد نازلة لديهم وجعل أعظم معجزاته دوام آياته متلوا باللسنة
 باقيا مع بقاء الازمنة محفوظة في الصدور منتقلة في الصحائف والمصاحف من لدن
 الرسول محروسة من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان والذهول قرآنا لا يسأم منه
 تاليه مع تكراره وتواليه ولا يملّه وأعيه بل تتوفر على توقيره دواعيه في كل
 حين تظهر فيه من قضايا التنزيل وخفايا التأويل من نتائج أفكار الخلق غير

ما جادت به فطن الساف كل حرف منه تنفجر به ينابيع من الحكمة وكل كلمة
تقطر منها سمائب الرضوان والرحمة وكل آية تحتوى على بحار من الإعجاز ذواخر
وكل سورة تكاد تنطق بعلوم الاوائل والاواخر لم نجد له في الكتب السالفة نظيرا
ولم نعد اليه كف معارض منازل كان أو مُغيرا قل لئن اجتمعت الاس والجن على
أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ۝ رام أحد
معارضته الا عرضت له عوارض الى والكن ولا قصد مباراته إلا رمى بهجر القول
وان كان من أرباب اللسن وعوض من كلامه المصيح باللفظ الركيك والمعنى القبيح قام
إعجازه بتعجيزهم وتحققوا أنه ليس من تسجيهم ولا ترجيزهم وصرفهم الا ما عن
ترك دين آبائهم الى الدنية وصرفهم الحجة حجة الجاهلية عجزوا عن الاين بوره
أو آيه واتهموا من عنادهم في التكذيب به الى غايه فأعقبهم نفاقا في قلوبهم وجعلهم
لمن بعدهم آيه فهو الصراط المستقيم والذكر العظيم والكتاب الحكيم والنور
المبين والحبل المتين والعروة الوثقى والآية العظمى وكلمات الله والذكرى والدرجة
العليا وهو شفاء الغايل ودواء العايل والبرهان والدليل والبشير والنذير والبصائر
والمثنائى والقصص والتذكرة والأنباء والآيات انبصرة والحكم والبلاغ والتبصرة
والبيان والتبيان والرحمة والبشرى والامان والروح والحديث والتنزيل والميزان
وحق اليقين والنبا العظيم والمحفوظ والكتاب الكريم والقول الفصل والهادى والمنتقى
والحق والغيب والمكنون والقول الثقيل والحسرة والعجب والصحف المطهرة والكتب
القيمة والخير والكتاب العزيز والكتاب لا ريب فيه والمحكم والامتنان والمصداق
والامام والأنس عند الوحشة والفرز والامن عند الخوف والجزع والاصيب يوم القتر
والظلمة والكشف يوم الكرب والغمة من حكم به عدل ومن عدل عنه هوت
قدمه فزل ومن استعصم به عصم ومن استمطر منه الرحمة رحم
(ولما) كان جامعاً لهذه المعاني المتفرقة محتويًا على بدائع المباني المشيدة والتمون
المتأنقة وضروب من المقاصد الخفية والجلية وانواع من خفايا أسرار العوالم العلوية
والسفلية أنزله على خير رسول قابله منبع الحكم وسمعه مقر صريف القدر وعقل

قد استوى على سوقه واستتم لسانه عن الذلل والخطأ في منعة وعِصَم وبصره
وبصيرته عنهما ما اخفى هدى ولا اكتم قبلته من التبليغ مرامه وبين حلاله
وحرامه وعين فيه مراد الله من خلقه وأحكامه وعرف فيه ونصه وأظهر عاقبه
وما خصه وأبدى ناسخه ومنسوخه ومحكمه وفهم متشابهه ومبهمه وجلا غوامضه
وخفاياه وأوضح قصصه وقضاياه وأظهر عن أمثاله التي ليست لها أمثال وأعلم
بمخفى إشاراته التي هي أدق من السحر الحلال وأرق من العذب الزلال وأنبا
بكنائته التي هي أجل من التصريح وصرح بحقيقته التي تسبق اليها الازدهان من غير
تعريض ولا تلويح وأوجز مجازه الذي بغير تدبر لا تجرزه العقول ولو شاء لجعله
هو والحقيقة سيان الى غير ذلك من العلوم الظاهرة والفنون الباهرة (خلا) ما تضمنه
من العلوم الباطنة والمعاني التي هي الى الآن في كاتمها كانه التي لم يُطلع الله عليها
من خلقه أحدا والخفايا التي لم يُظهر عايتها إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رسدا فجزاه الله أحسن جزاء عنا وبلغه أفضل سلام منا
وصلى الله عليه وعلى آله ما طاع نجم وبدا وما اخضل نجم برذاذ وندا ورضى الله
عن أصحابه ليوث غابه وغيوث سحابه

(فكتاب الله تعالى) أشرف ما صرفت اليه الهمم وأعظم ما جال فيه فكر ومد
به قلم لأنه منبع كل علم وحكمة ومربع كل هدى ورحمة وهو أجل ما تمسك به
المتسكون وأقوى ما تمسك به المتسكون من استمسك به فقد علقت يده بجبل متين
ومن سلك سبيله فقد سار على طريق قويم وهدى الى صراط مستقيم

(وقد) أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة
وأجناس البلاغة وأنواع الجزالة وفنون البيان وغوامض اللسان وحسن الترتيب
والتركيب وعجيب السرد وغريب الأسلوب وعذوبة المساغ وحسن البلاغ وبهجة
الرونق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء وأخرس ألسنة الفضلاء وألنى
بلاغة البائهاء من العذب وطاشت به حلومهم وتلاشت دونه علومهم وكلت ألسنتهم
الذرية وأقصرت خطبتهم المسهبة وقصت همهم المغربية وأراجيزهم العربية وأسجاعتهم

الطرية فقاموا أن معارضة مما ليس في مقدورهم ولا وسعهم ولا داخلا في
تقصيدهم ولا سجعهم وأن ذلك مسلوب ومصرف عن مفردهم وجمعهم وتركوا
الطعن فيه عند تقصيد رماحهم وأذعنوا للاستماع له والعجز عنه بعد تأييدهم
وجاحهم مع قدحه في أربابهم وقدحه لأبائهم وتسفيهه لأحلامهم وتبطله
لأنصابهم وأزلامهم فأمسك ذووا الاحلام منهم عن اللغو فيه والاعتدا وأقبلوا على
تدبره فهدى الله به من هدى ولم يقم على الطعن فيه وترك التدبر لمعانيه إلا من
غلبت عليه الشقاوة وختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فامتنعوا
لمعارضته ومباراته ومماثلته ومجاراته فأوقعه غيّه في عينه ولكنه وسقط في سقطات
لسانه بعد بلاغته ولسنه وصار بعد أن كان فارس الفصاحة والبيان ومالك قصبات
السبق في الرهان يضحك من لفظه من سمعه ويحط من قدره من رفعه وذهبت
من لفظه تلك الجزالة وأعظم الله من ضروب الجزاء والخذية الجزاء له كل ذلك
ليظهر لنا عظم قدر كلامه العظيم وأى رونق وسهجة للمحدث إذا قرن بالقديم فن
جمد منهم انما فعل ذلك عناداً وحسداً لا بائه أن يقدم عليه أحداً

(روى) أن أبا جهل بن هشام هو والاخس بن قيس والوليد بن المغيرة اجتمعوا
ليلة يسمعون القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى به في بيته الى أن
أصبحوا فلما انصرفوا جمعهم الطريق فتلاوموا على ذلك وقالوا انه اذا رأىكم سفهاؤكم
تفعلون ذلك فعلوه واستمعوا الى ما يقوله واستمالهم وآمنوا به فلما كان في الليلة الثانية
عادوا وأخذ كل منهم موضعه فلما أصبحوا جمعهم الطريق فاشتد نكيرهم وتعاهدوا وتحالفوا
أن لا يمدوا فلما تعالى النهار جاء الوليد بن المغيرة الى الاخس بن قيس فقال ما تقول
فما سمعت من محمد فقال ماذا أقول قال بنو عبد المطاب فينا الحجابة قلنا نعم قالوا فينا
السّدانة قلنا نعم قالوا فينا السّقاية قلنا نعم يقولون فينا نبي ينزل عليه الوحي والله لا
آمنت به أبداً (وروى) أن الوليد بن المغيرة سمع من النبي صلى الله عليه وسلم (إن
الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية فقال والله ان له حلاوة وان عليه لطاوة وان
أبيفله لمعذق وان أعلاه لثمر ما يقول هذا بشر (وقال أيضاً) لما اجتمعت قريش عنده

حضور الموسم ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضاً. فقالوا
نقول كاهن قال والله ماهو بكاهن ولاهو بزمرتمه ولا سجعه قالوا مجنون قال ماهو
بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فقول شاعر فقال ماهو شاعر قد عرفنا الشعر
كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه قالوا فنقول ساحر قال ماهو
بساحر ولا نقيته ولا عقده قالوا فما تقول قال ما أتم بقائلين من هذا شيئاً الا وايا أعرف
انه لا يصدق وان أقرب القول إنه ساحر وأنه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء
وأخيه والمرء وزوجته والمرء وعشيرته فذفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس
فأنزل الله تعالى في الوليد (ذرني ومن خلقت وحيداً) الآيات

(وانما) يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم
البيان ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقالاتها في مواطن افتخارها ورسائلها وأراجيزها
واسجاعها فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس
التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والامثال فاذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب
العز زورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان فقد أدت في
العجب العجائب والقول الفصل الباب والبلاغة الناصعة التي تحير الالباب وتغلق دونها
الابواب فكان خطابه للعرب بلسانهم لتقوم به الحجة عليهم ومجاراته لهم في ميدان
الفصاحة ليسبل ردآء عجزهم عليهم ويثبت أنه ليس من خطابهم لديهم فعمجرت عن مجاراته
فصحاؤهم وكلت عن النطق بمثله السنة بلغاتهم ورز في رونق الجمال والجلال في أعدل
ميزان من المناسبة والاعتدال ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة بما يملأ
القلوب هيبه والنفوس خشية وتستأذه الاسماع وتميل اليه بالحنين الطباع سواء كانت قاهمة
لمعانيه أو غير قاهمة عالمة بما يحتويه أو غير عالمة كافرة بما جاء به أو مؤمنة . . وسنورد في
كتابنا هذا أصولاً مؤصلة وفوائد مفصلة من علم البيان وما ورد نظيره في القرآن ما تنقف
عليه ويمعجبك عند النظر اليه

(قال المصنف رضى الله عنه) وهذه الجملة التي تأصلت ونحصلت والفوائد التي بعد
إجمالها فصلت نقلتها من كتب ذوى الأتقان علماء علم البيان التي وقفت عليها وترقت همه

اطلاعى اليها من كتب المتقدمين والمتأخرين وهى كتاب البديع لابن المعتز . وكتاب الحالى والعاطل للحاتمي . وكتاب المحاضرة له . وكتاب الصناعتين للعسكري . وكتاب الامع للعجمي . وكتاب المثل الساثر لابن الاثير . وكتاب الجامع الكبير لابن الاثير أيضاً . وكتاب البديع لأسامة بن منقذ . وكتاب العمدة لازنجاني . وكتاب نعلم القرآن له أيضاً . وكتاب نهاية التأميل فى كشف أسرار التنزيل لكمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصارى . وكتاب التفريع فى علم البديع لزكى الدين عبد العظيم بن أبى الاصبع . وكل كتاب من هذه الكتب أخذ من كتب شتى مع ما أضفت اليها من فوائد مستعذبة وفرائد حسنة المساق مستغربة نقاتها عن الأمة الاعلام الأكارب ونقلتها عنهم من السنهم لا من بطون الدفاتر وما أضفت الى ذلك مما تفضل الله به ومنع من مهمل أبنته ومحمل فصلته وشارد قيده وحصاته ليكمل بهذا الكتاب الفع ويأتى على نهاية من حسن الوصف وبديع الجمع واحياء لعلم البيان المطلع على نكت نظم القرآن الذى قد غمت آثاره وقلت أنصاره وتقاعدت الهمم عن تحصيله وضعفت العزائم عن معرفة فروعه فضلاً عن أصوله فما علم من علوم الاسلامية رعى بالهجر والنسيان مارمى به علم البيان ولو أداموا النظر فيه والتامح لمعانيه لاطلموا من الكتاب العزيز على خفايا تهمة . القلوب ودقائق تسفر لهم عن وجوه المطلوب ومن لم يعرف هذا العلم كان عن فهم معاني الكتاب العزيز بمعزل ولم يقدّر بعض حقوق المنزل والمنزل ومن وقف على هذه الأصول التى أصلتها والفصول التى فصلتها ظهر له مصداق هذه الدعوى وأخذ من التوصل الى معرفة هذا العلم بالسبب الأقوى وحسن عنده موقعه وعظم فى نفسه محله وموضعته وخالطت قلبه بشاشة رونقه وجليلت فى عينه نضارة نظائره وحسن موقفه

(وكلام العرب) فى خطبها وأشعارها ونثرها ونظامها . منقسم الى ثلاثة أقسام ورد منها فى الكتاب العزيز قسمان وقسم لم يرد منه فيه شيء وسأبين ذلك ان شاء الله تعالى



قسم الأول

(وهو ينقسم الى أربعة وثمانين قسما)

(القسم الاول : في الكلام على الفصاحة والبلاغة • والكلام عليهما من وجوه • الاول في أحدهما • الثاني في اشتقاقهما • الثالث في التفرقة بينهما

(أما الأول في أحدهما) فقد قال علماء هذا الشأن إنَّ حدَّ البلاغة بلوغ الرجل بعبارة كنه ما في نفسه مع الاحتراز من الإيجاز المخل والتطويل الممل • • وقال قوم البلاغة اتصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ • • وقيل البلاغة الإيجاز مع الإفهام والتصرف من غير انجبار • • قال خالد بن صفوان أبلغ الكلام ما قلَّت ألفاظه وكثرت معانيه وخير الكلام ما شوق أوله إلى سماع آخره • • وقال غيره إنما يستحق الكلام اسم البلاغة إذا سبق لفظه معناه إلى قلبك (وأما) الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد

(الثاني في اشتقاقهما) قال علماء هذا الشأن إنَّ اشتقاق البلاغة من البلوغ إلى الشيء وهو الوصول إليه • ويجوز عندي أن يكون الكلام البليغ الذي بلغ من جودة الألفاظ وعذوبة المعاني إلى غاية لا يبالغ إلى مثاها إلا مثله (وأما) الفصاحة فقالوا اشتقاقها من الفصيح وهو اللبن الذي أخذت منه الرغوة وذهب لبأؤه يقال فصح الرجل إذا صار كذلك وأفصحت الشاة إذا فصَّح لبنها

(الثالث في الفرق بينهما) قال قوم من أرباب علم البيان الفصاحة والبلاغة متعاقبان على معنى واحد • • وقال قوم البلاغة في المعاني والفصاحة في الألفاظ • يقال معنى بليغ ولفظ فصيح (وليست) الفصاحة والبلاغة مختصين بالألفاظ العربية وإنما يطلقان على كل ما لفظه غريب وفهمه قريب (وإذا) تقرر هذا فقد احتوى الكتاب العزيز (٢ - فوائد)

يُعلى جمل من ذلك أفرغت في قالب الجمل وأترعت لها كؤوس الاحسان والإجمال وأنت على معظمها وأجائها واستوفت نصاب ماسكها لازمة علم البيان وأدلتها وأنا أذكرها نوطاً ونوعاً وقسماً قسماً محلاً يبراهينه وشواهد سافراً عن نضارة وجوه نظائره وفوائده بمداستيفاء الكلام على الحقيقة والحجاز إذ الكلام لا يخلو عنهما أو عن أحدهما (فتبدأ) بالكلام على الحقيقة . والكلام فيها من ثلاثة أوجه . الأول اشتقاقها . الثاني حدها . الثالث أقسامها (أما الأول) فالحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة وفي اشتقاقها قولان . أحدهما أنها مشتقة من حقق الشيء يحققه إذا أثبتته . والآخر أنها من حققت الشيء أحقه إذا كنت منه على يقين (وأما الثاني) فلها حدان . الأول في المفردات . والثاني في الجمل . فأما حدها في المفردات فهي كل كلمة أريد بها ما وقعت به في وضع واضح وقوعاً لا يسند فيه إلى غيره كالأسد للحيوان المخصوص المعروف . . الثاني حدها في الجمل فهو كل جملة وضعتها على أن الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقعه مثاله خالق الله العالم وأنشأ العالم - فأنشأ - واقعة موقع - خلق - (وأما الثالث) فأقسامها ثلاثة . حقيقة لغوية . وحقيقة شرعية . وحقيقة عرفية . . وهي على قسمين عامة وخاصة . فالعامة كاستعمال لفظ الدابة في الحمار وخاصة نحو استعمال لفظ الجوهر في المتحيز الذي لا ينقسم (وأما المجاز) فالكلام عليه أيضاً من خمسة أوجه . الأول في المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله . الثاني في حده . الثالث في اشتقاقه . الرابع في علة النقل . الخامس في أقسامه (أما الأول) فإن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله مياهم إلى الاتساع في الكلام وكثرة معاني الالفاظ ليكثر الالتذاذ بها فإن كل معنى للنفس به لذة ولها إلى فهمه ارتياح وصبوة وكما دق المعنى رقة مشروبه عندها وراق في الكلام انخراطه ولذ للقلب ارتشافه وعظم به اغتباطه ولهذا كان المجاز عندهم منهلاً موروداً عذب الارتشاف وسبيلاً مسلوكة لهم على سلوكه انعكاف ولذلك كثر في كلامهم حتى صار أكثر استعمالاً من الحقائق وخالط بشاشة قلوبهم حتى أتوا منه بكل معنى رائع ولفظ فائق واشتد باعهم في إصابة أغراضه فأتوا فيه بالخوارق

وزينوا به خطبهم وأشعارهم حتى صارت الحقائق دثارهم وصار شعارهم (وأما الثاني) فحده على قسمين . حدث في المفردات . وحدث في الجمل . . أما حده في المفردات فهو كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في وضع واضعها . . وقيل حده استعمال اللفظ الحقيقي فيما وضع له دالا عليه ثانياً لتسويته علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز . . وأما حده في الجمل فهو كل جملة أخرجت الحكم المقاد بها عن موضوعه بضرب من التأويل (وأما الثالث) فاشتقاقه من جاز الشيء يجوز إذا تمداه وعدل عنه . فاللفظ إذا عدل به عما يوجبه أصل الوضع فهو مجاز على معنى أنهم جاوزوا به موضعه الأصلي أو جاوز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (وأما الرابع) فالمنعنى الذي وقع به النقل شيان . أحدهما أن يكون المنقول عن معنى وضع اللفظ بإزائه أولاً من غير مناسبة ولا علاقة كالأعلام المنقولة وبهذا يتميز عن المشترك . الثاني أن يكون ذلك النقل لمناسبة بينهما أو علاقة ولا أجل ذلك لا توصف به الأعلام المنقولة لأنها مجازات مثل تسمية الرجل بالحجر فانه ليس هذا النقل لتعلق بين حقيقة الحجر وبين ذلك الشخص وأما إذا تحقق الشرطان فانه يسمى مجازاً وذلك مثل تسمية النعمة أو القوة باليد لما بينهما من التعلق فان النعمة انما تعطى باليد والقوة انما تظهر بكاملها في اليد . . ومن ذلك أيضاً تسمية المزادة بالراوية وهي اسم للبعير الذي يحمل عليه في الأصل ومثل ما بين التبت والغيث والسماء والمطر حيث قالوا رعيننا الغيث يريدون التبت الذي الغيث سبب نشوء عادة وقالوا أصابتنا السماء يريدون أصابنا المطر . . وقال قوم المجاز لا يصح الا بنسبة مع علاقة بين مدلول الحقيقة والمجاز وتلك النسبة متنوعة فاذا قوى التعلق بين محلي الحقيقة والمجاز فهو الظاهر الواضح واذا ضعف التعلق الى حد لم تستعمل العرب مثله ولا نظير له في المجاز فهو مجاز التعقيد ولا يحمل عليه شيء في الكتاب والسنة ولا يوجد مثله في كلام فصيح . وقد تقع علاقة بين الضعيفة والقوية فن العلماء من يتجاوز بها لقبها بالنسبة الى العلاقة الضعيفة ومنهم من لا يتجاوز بها لأنحطاطها عن العلاقة القوية وهذا مذكور في الكتب المختصة بأصول الفقه (الخامس) أقسامه وهي كثيرة . الأول مجاز التعبد . لفظ المتعلق به عن المتعلق . أمه ككثرة . . وقد انتهت عدة

ما احتوى عليه الكتاب العزيز الى أربعة وعشرين قسماً (الاول) التجوز بلفظ العلم عن المعلوم كقوله تعالى «ولا يُحيطون بشيء من علمه» أراد بشيء من معلومه . وكقوله تعالى «ذلك مبينهم من العلم» أى من المعلوم . وكذلك قوله تعالى «فما اختلفوا حتى جاءهم العلم» أى المعلوم (الثانى) التجوز بلفظ المعلوم عن العلم وسيأتى بيانه وأمثله (الثالث) التجوز بلفظ المقدور عن القدرة مثل قولهم رأينا قدرة الله أى مقدور الله . ومنه قوله تعالى «صنع الله الذى أتقن كل شيء» أى مصنوعه (الرابع) التجوز بلفظ الارادة عن المراد كقوله تعالى «يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله» والمعنى ويفرقون بين الله ورسله بدليل أنه قوبل بقولهم ولم يفرقوا بين أحد منهم ولم يقل ويريدون أن يفرقوا بين أحد منهم (الخامس) التجوز بلفظ المراد عن الارادة كقوله تعالى «وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط» معناه وإن أردت الحكم فاحكم بينهم بالعدل وفيه مجاز من وجهين . أحدهما التعبير بالحكم عن ارادته . والآخر التعبير بالماضى عن المستقبل (السادس) اطلاق اسم الفعل على الجزء الأول منه وعلى الجزء الاخير منه ومثاله قوله تعالى «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» أراد بالرمى المنفى آخر أجزاء الرمي التى وصل التراب به الى أعينهم وبالرمى المثبت شروعه فى الرمي وأخذه فيه فيكون المعنى وما أوصلت التراب الى أعينهم اذ شرعت فى الرمي وأخذت فيه . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم صلى بى جبريل عايه السلام الظهر حين زالت الشمس أى شرع فى الصلاة وأخذ فيها وصلى بى الظهر فى اليوم الثانى حين صار ظل الشيء مثله أراد بذلك آخر أجزاء الصلاة وهو السلام . . وهذا من مجاز التعبير بلفظ الكل عن البعض وكذلك نظائره ويصحح هذا ما بين الارادة والمراد من النسبة والتعلق ويجوز أن يكون المصحح كون المراد مسبباً عن الارادة فيكون تجوزاً باسم المسبب عن السبب بخلاف التعبير بالمعلوم عن العلم فانه ليس مسبباً عنه ولا مؤثراً فيه (السابع) التجوز بلفظ الامل عن المأمول وذلك فى قوله تعالى «والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيراً أملاً» أى وخير مأمولاً (الثامن) التجوز بلفظ الوعد والوعيد عن الموعود من ثواب وعقاب وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى «أفمن

وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ « ومثله « إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا » أى موعوده
 (التاسع) إطلاق العهد والعقد على المائزَمَ منهما وهو فى القرآن كثير . من ذلك
 قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » وقوله تعالى « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ »
 وقوله تعالى « وَأَوْفُوا بِعَهْدِي » عبّر بهذه العهود كلها عن موجبها ومقتضاها وهو
 الذى التزم بها (العاشر) إطلاق اسم البشرى على المبشر به وهو فى القرآن كثير .
 من ذلك قوله تعالى « بُشِّرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ » وقال أبو على التقدير بشراكم اليوم
 دخول جنات أو خلود جنات لأن البشرى مصدر والجنات جرم فلا يخبر بالجرم عن المعنى
 وقال الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام لاحاجة الى هذا التعسف لأن البشرى
 ليست عين الدخول ولا عين الخلود كما انها ليست عين الجنات ولا بد من تأويله على كلا
 القولين بما ذكرناه وإلا كان خلفاً لأن البشرى قول ولا يجوز أن يخبر عن القول بأنه
 جرم ولا بأنه دخول ولا خلود (الحادى عشر) إطلاق اسم القول على المقول فيه
 وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ » ومنه
 قوله « سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا » أى عن مداول قولهم . ومنه قوله
 تعالى « وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا » معناه وجب عليهم العذاب المقول فيه . ومنه
 قوله تعالى « فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا » أى من مقولهم وهو الأذرة (الثانى عشر) إطلاق اسم
 النبأ عن النبأ عنه وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ
 مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » ومنه قوله تعالى « قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ » وان أريد به القرآن
 فهو من باب إطلاق اسم البعض على الكل لأن القرآن كله ليس هو نبأ . ومنه قوله
 تعالى « وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ » (الثالث عشر) إطلاق الاسم على المسمى وهو فى
 القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمِيكُوهَا »
 معناه ما تعبدون من دونه لإلالمسميات . ومنه قوله تعالى « سُبِّحَ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى »
 أى سبح ربك الأعلى ولذلك نُقِلَ عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا اذا قرأوها
 قالوا سبحان ربى الأعلى . وقال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى سجودكم . ومنه قوله
 صلى الله عليه وسلم بسم الله الذى لا يضرُّ مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

ومن جعل الاسم هو المسمى في قوله « بسم الله الرحمن الرحيم » كان التقدير فيه أقرأ بالله أى بمعونته وبتوقيقه ومن جعله التسمية كان التقدير أتبرك بذكر اسم الله وبهذا يُرد على من قدّر ابتدائي أو بدأت باسم الله إذ لا وجه للتبريك على بعض الفعل دون سائر ولا لنسبة ابتداء الفعل الى التوفيق دون سائر لأن الحاجة داعية الى التبرك والتوفيق في جميع الفعل دون انتهائه وابتدائه (الرابع عشر) اطلاق اسم الكلمة على المتكلم به ومنه في القرآن كثير من ذلك قوله تعالى « ولا مبدل لكلمات الله » أى لا مبدل لعذاب الله أو لا مبدل لمقتضى عذاب الله ومنه قوله تعالى « ان الله يشرك بكلمة منه اسمهُ المسيح عيسى بن مريم » تجوز بالكلمة عن المسيح لكونه تكون بها من غير أب بدليل قوله تعالى « وجهي في الدنيا والآخرة ومن المقربين » ولا تنصف الكلمة بذلك وأما قوله اسمهُ المسيح فإن الضمير فيه طائد الى مدلول الكلمة والمراد بالاسم المسمى فاللفظ المسمى المبشر به المسيح بن مريم (الخامس عشر) اطلاق اسم اليمين على الخلف وهو في القرآن في موضعين أحدهما قوله تعالى « ولا تجعلوا الله عرضة لآيمانكم » أى ولا تجعلوا قسم الله أو يمين الله مانعاً لما تحلفون عليه من البر والتقوى بالصالح بين الناس^(١) (السادس عشر) اطلاق اسم الحكم على المحكوم به وذلك قوله تعالى « ان ربك يقضى بينهم بحكمه » أى بما يحكم به لكل واحد منهم من ثواب وعقاب فتجوز بالحكم عن متعلقه وهو المحكوم به وكذلك التعبير بلفظ القضاء عن المقضى به في قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من سوء القضاء أى من سوء ما قضيت به إذ لا تصح الاستعاذة من قضاء الله لانه صفة قديمة له لا يمكن تبديلها ولا تغييرها ومثله « فاصبر لحكم ربك » أى فاصبر لما حكم به عليك وكذلك قول الداعى اللهم رضى بقضائك أى بما قضيته لى أو على من غير معصية فان المعاصى مقضية أيضاً وقد أمرنا الله تعالى بكراتها فتمثل أمر الله تعالى في كراتها وان وقعت (السابع عشر) التجوز بلفظ العزم على المعزوم عليه وهو كثير في القرآن ومنه قوله تعالى « ولن

صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ، أى ان ذلك الصبر والفقر مما يعزم عليه من الأمور ومنه قوله تعالى « ولا تعزموا عقدة النكاح » تجوز بالعزم عن المعزوم عليه لعلقه به ومعناه ولا تعقدوا عقدة النكاح أو يكون التقدير ولا تعزموا على تنجيز عقدة النكاح (الثامن عشر) التجوز بلفظ الهوى عن المهوى وهو فى القرآن العظيم فى موضعين أحدهما قوله تعالى « ونهى النفس عن الهوى » معناه ونهى النفس عما تهواه من المعاصى ولا يصح نهيا عن هواها وهو ميلها لأنه تكليف ما لا يطاق الا ان تقدر حذف مضاف معناه ونهى النفس عن اتباع الهوى فيكون من مجاز الحذف . ومنه قوله تعالى « أرايت من اتخذ إلهه هواه » يحتمل أن يريد به بهواه لانهم كانوا يعبدون الصنم فان استحسنوا غيره عبدوه وتركوا الأول ويحتمل أن يكون المراد به مجاز التشبيه فان الانسان اذا طواع هواه فيما يأتيه ويتركه فقد نزل الهوى منزلة المعبود المطاع (التاسع عشر) اطلاق اسم الخشية على الخشية وهو فى القرآن العزيز فى قوله تعالى « ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون » معناه هم من عقوبة ربهم خائفون (العشرون) اطلاق اسم الحب على المحبوب وذلك قوله تعالى « انى أحبت حب الخير عن ذكر ربى » معناه أحبت محبوب الخير عن ذكر ربى (الحادى والعشرون) اطلاق اسم الظن على المظنون وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة » معناه أى شئ مظنونهم أهو الهلاك أو النجاة . الثانى قوله تعالى « وما خلقتنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا » معناه ذلك الخلق الباطل مظنون الذين كفروا . وأما قوله تعالى « اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم » فيجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره اجتنبوا كثيراً من اتباع الظن ان اتباع الظن ذنب ويجوز أن يكون تجوز بالظن عن المظنون وهو أمره باجتناب فعل وقع منهم (الثانى والعشرون) اطلاق اسم اليقين على المتيقن وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « واعبد ربك حتى ياتيك اليقين » معناه واعبد ربك حتى يأتيك الموت المتيقن لكل أحد . ومنه قوله تعالى « وكنا نكذب بيوم الدين

حتى أنا اليقين» معناه حتى أنا الموت المتيقن لكل أحد (الثالث والعشرون) اطلاق اسم الشهوة على المشتى وهو فى القرآن العظيم فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « زين للناس حب الشهوات » أى حب المشتيات بدليل أنه قال « من النساء والبنين » الثانى قوله « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا » معناه ان الذين يشتهون الفاحشة فى أعراض الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ولذلك أوجب عليهم فى الدنيا الحد وفى الآخرة العذاب ولا يتعلق الحد بمجرد حب الاشاعة (الرابع والعشرون) اطلاق اسم الحاجة على المحتاج اليه وهو فى القرآن العظيم كثير . فمن ذلك قوله تعالى « ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ . الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها » معناه ما كان دخولهم يدفع عنهم من قضاء الله وقدره شيئاً ولكن طاب حاجة فى نفس يعقوب قضاها ويحمل ولكن حاجة فى نفس يعقوب قضاها لأن الحاجة الحقيقية التى هى الافتقار لا تقضى وانما يقضى متعلقها الذى هو المحتاج اليه . ومنه « ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا » معناه ولا يجدون فى قلوبهم تملئ شئ يحتاجون اليه مما أعطيه المهاجرون . وهذه الاقسام كلها من مجاز التعبير بلفظ المتعلق عن المتعلق به أو من مجاز التعبير بلفظ المتعلق به عن المتعلق ومصحح المجاز فيه ما بينهما من النسبة

﴿ القسم الثانى ﴾

اطلاق اسم السبب على المسبب وهو أربعة أقسام

(القسم الاول) قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » سعى عقوبة الاعتداء اعتداء لانه المسبب عن الاعتداء . ومنه قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » تجوز بلفظ الجناية عن القصاص فانه مسبب عنها والتقدير جزاء جناية قبيحة عقوبة قبيحة مثلها فى القبح وان عبرت بالسيئة عما ساء أى أحزن لم يكن من هذا الباب لأن الأساءة تحزن فى الحقيقة كالجناية . ومنه قوله تعالى « ومكروا ومكر الله » تجوز

بلفظ المكر عن عقوبته لأنه سبب لها . . . ويحمل أن يكون مكر الله حقيقة لأن المكر هو التدبير فيما يضر الخصم خفية وهذا متحقق من الله تعالى لاستدراجه إياهم بما أجرى عليهم من نعمه مع ما أعد لهم من نعمة (الثاني) إطلاق اسم الكتابة على الحفظ فإن الكتابة سبب لحفظ المكتوب وهو في القرآن العظيم في موضعين . أحدهما قوله تعالى « سنكتب ما قالوا » أي سنحفظه ولا ننساه حتى نجازيهم به . والآخر قوله تعالى « سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء » أي نحفظه عليهم فإن الملائكة قد كتبوا ذلك لما قالوا وقتلوا الأنبياء فاستعمل اللفظ المسنبل في حفظه دون كتابته « وأما » قوله تعالى « أولئك كتب في قلوبهم الإيمان » فانه تجوز بالكتابة عن الثبوت والدوام فإن الكتابة مستمرة باقية في العادة . وأما « قوله تعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » فغنيه مذهباً . أحدهما أنه من مجاز الحذف تقديره « إن المنافقين يخادعون رسول الله والله خادعهم فيكون خداعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة » . وأما خدع الله إياهم فيجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب ويجوز أن يكون من مجاز التشبيه معناه أنه عامهم معاملة المخادع بما أخفاه عنهم من إرادة إيضارهم وإهلاكهم ويجوز أن يكون حقيقة بما ذكرناه في المكر ويتأتى أن يكون مخادعهم الله من مجاز التشبيه بمعنى أنهم يعاملونه معاملة المخادع ويكون خدعهم من مجاز المعاملة ويجوز أن يكون من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب فيكون من مجاز المجاز فإن مخادعهم مجازية تجوز بها عن شبهها وكان إطلاق اللفظ من مجاز التشبيه (الثالث) إطلاق اسم السمع على القبول وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ما كانوا يستطيعون السمع » معناه ما كانوا يستطيعون قبول ذلك والعمل به لأن قبول الشيء مرتب على استماعه ومسبب عنه ويجوز أن يكون نبي السمع لانتفاء فائدته فيصير كقولهم أنهم لا إيمان لهم أي لا وفاء إيمان لهم . . . ومنه قول الشاعر

وإن حافت لا ينقض النأي عهداً فليس لمخضوب البنان يمين

معناه ليس لمخضوب البنان وفاء يمين (الرابع) إطلاق اسم الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة وهو في القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « وما كان الله ليضيع إيمانكم » (٣ - فوائد)

معناه ما كان الله ليضيع أجر صلاتكم الى الصخرة قبل النسخ . ومنه قوله تعالى « أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » معناه أفتصلون ببعض التوراة وهو فداء الأسارى فتجوز بالايان عن العمل بما يوافق الكتاب لأنه مسبب عن الايمان وتتركون العمل ببعض وهو قتل اخوانكم واخراجهم من ديارهم . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق . جعل القول وامطة الأذى عن الطريق ايمانا لأنهما مسبيان عن الايمان

القسم الثالث

اطلاق اسم المسبب على السبب وهو ثمانية أقسام

(القسم الأول) اطلاق اسم العقوبة على الاساءة والجناية . ومنه قوله تعالى « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به » معناه وإن أردتم معاقبة مبيء فعاقبوه بمثل ما بدأكم به من الاساءة فقوله - وإن عاقبتم - من مجاز التعبير بلفظ الفعل عن ارادته وقوله - بمثل ما عوقبتم به - من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن السبب وقوله - فعاقبوا - حقيقة اكتشفها المجازان . وكذلك قوله « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُني عليه لينصرنه الله » فعاقب حقيقة وعوقب به من مجاز تسمية السبب باسم المسبب . ومن هذا النوع قول العرب كما تدين تدان معناه كما تفعل تجزى لأن الدين هو الجزاء فتجوز به عن الجناية لأنه مسبب عنها . . . وكذلك قول الشاعر

ولم يَنقِ سِوَى الْعُدُوِّا نِ دِنَانِهِمْ كَمَا دَانُوا

معناه جزيناهم بما فعلوا فدناهم حقيقة ودانوا مجاز (القسم الثانى) اطلاق الأكل على الأخذ لما كان الأكل مسيئاً عن الأخذ . ومنه قوله تعالى « ولأنأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » معناه لا تأخذوا أموالكم بالسبب الباطل كالقمار ونحوه (القسم الثالث) اطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التى هى مسبب عنها . ومنه قوله تعالى « إن يكن منكم

عشرون صابرون يَغْلِبُوا مِائَتِينَ » عبر بلفظ الغلبة عن المقاتلة لأن الغلبة مسيئة عن المقاتلة (الرابع) اطلاق اسم الرجز على عبادة الأصنام . ومنه قوله تعالى « وَالرَّجَزُ فَاحْجِرْ » تجوز بالرجز وهو العذاب الشديد عن عبادة الأصنام لأن العذاب مسبب عنها (وأما) قوله تعالى « وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ » فهو من مجاز التعبير بلفظ المسبب عن سبب سببه لأن وساوس الشيطان سبب لمعصية الرحمن ومعصية الرحمن سبب لعذاب الديان فبان أن الوسوسة سبب للمعصية والمعصية سبب للعذاب ويجوز أن تجعل الوسوسة نفسها رجزاً لمشتقتها على أهل الإيمان وكلما اشتدت مشقته على النفوس فهو رجز . . قال أبو عبيد الرجز والرجس هما العذاب الشديد . وكذلك ما أشبهه (الخامس) اطلاق اسم المغفرة على التوبة . ومنه قوله تعالى « وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِأَذْنٍ » تجوز باسم المغفرة عن التوبة (السادس) اطلاق اسم الكبرياء على الملك لأنها مسيئة عن الملك . ومنه قوله تعالى « وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ » (السابع) اطلاق اسم القوة على السلاح لأن القوة على القتال تكون عنها . ومنه قوله تعالى « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ » لأن القوة على قتالهم مسيئة عن الأسلحة فسموها باسم مسيئها أو يكون ذلك من مجاز الحذف تقديره وأعدوا لهم ما استطعتم من أسباب قوة أو من أدوات قوة (الثامن) اطلاق اسم الاعطاء والإيتاء على الالتزام فمن ذلك قوله تعالى « فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ » معناه إذا سلمتم ما التزمتموه بالمعروف لما كان التسليم مسيئاً عن الالتزام فعبّر به عنه . ومن ذلك قوله تعالى « وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكْفُرُوا إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ » أي إذا التزمتم لهن مهورهن . . ويحتمل أن يكون من مجاز الحذف تقديره إذا آتيتم أهلن مهورهن ولا يدل قوله فانكحوهن بأذن أهلن على صحة النكاح بغيرولي لأنه لم يذكر المأذون له ويجوز أن يكون المراد الوكيل ويجوز ويحتمل أن تكون المرأة وحمله على الوكيل أولى لأن الغالب في الأنكحة أنه يتولى ذلك الرجال دون النساء فيجب الحمل على الغالب لأن مباشرة المرأة النكاح في غاية الندور فلا يجوز حمل الكلام عليه إذ لا يوجد مثل هذا نظير في كلام العرب من أنهم أرادوا بيان شيء والارشاد الى مصالحة فيبينونه بأن



اطلاق اسم الفعل على غير فاعله لما كان سبباً له وهو أربعة أقسام

(الأول) نسبة الفعل الى من كان سبباً له . من ذلك قوله تعالى « قل هو من عند أنفسكم » وهو من عند الله على الحقيقة ولكنه نسب ما أصابهم من قتل اخوتهم الى سببه . ومنه قوله تعالى « فلا أنفسهم يمهّدون » والماهد هو الله على الحقيقة ولكنه نسب اليهم تمهيد المرقد لتسببهم اليه بالعمل الصالح (الثاني) اطلاق نسبة الفعل على سبب سببه وهو في القرآن كثير . ومنه قوله تعالى « ربّنا من قدّم لنا هذا فزِدْهُ عذاباً ضعفاً في النار » نسبوا صليّ النار الى سبب سببه لأن الكبراء أمروهم وهم امتاؤوا والمقدّم على الحقيقة هو الله تعالى وسبب كفرهم أمر رؤسائهم اباهم بالكفر . ومنه « فأخرجهم مما كانوا فيه » ومنه قوله تعالى « كما أخرج أبويكم من الجنة » ومنه « فلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » المخرج والنازع على الحقيقة هو الله تعالى (الثالث) نسبة الفعل الى الأمر به وهو في القرآن كثير . منه قوله تعالى « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ومنه « الزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما » ومنه قوله تعالى « فاجلدوهم ثمانين جلدة » فان كان هذا أمراً للولاية فهو أمراً بالأمر باقامة الحدود وان كان أمراً لمستوفي الحقوق أو مباشرها فهو حقيقة (فأما) قوله رَجَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماعزاً والقامدية . وقوله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . فكل ذلك من باب نسبة الفعل الى الأمر به . ومن ذلك قوله تعالى « ونادى فرعون في قومه » أى أمر من ينادى في قومه (الرابع) نسبة الفعل الى الآذن فيه وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « وأخذنّ منكم ميثاقاً غليظاً » الآخذ على الحقيقة هو الوليّ والمرأة الآذنة فيه وهذا أخذ مجازي

ولسبته اليهن مجازية أيضاً كما ذكرناه . . وقد اختلف في الميثاق فقيل انه المقعد وقيل انه قول الولي " زواجك على ما أمر الله به من إمسالك بمعروف أو تسريح باحسان " ومنه قوله تعالى « فلا تعضواهن » أن ينكحن أزواجهن » وقوله تعالى « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » نسب النكاح اليهن لاذنهن فيه وهذا على قول من قال ان المرأة العاقلة البالغة الثيب لا تنكح نفسها . وأما على قول من قال انها تنكح نفسها فهو حقيقة فيهن مجاز فيما سواهن

القسم الخامس

الاخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم وفي خطابهم بما يتعاق ببعضهم وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون » معناه ثم اتخذ العجل بعض أسلافكم فان جميع الخلف والسلف لم يتخذوا العجل إلهاً وانما وجد من بعضهم فصار هذا كقول امرئ القيس

فان تقتلونا نقتلكم وإن تقصدوا لدمٍ نقصد

معناه فان قتلتهم بمضنا نقتلكم إذ لا يتصور أن يقتلوه بعد استيعاب جميعهم بالقتل وهذا الباب كله من مجاز الحذف وله قاعدة يتفرع عليها وهي ان كان البعض واحداً كان التقدير وإذا فعل أحدكم . ومثاله قوله تعالى « وإذا قتلتم نفساً » وان كان البعض أكثر من واحد كان التقدير وإذا فعل بعضهم . ومثاله قوله تعالى « وإذا قاتم يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة » وكان القائلون لذلك سبعين ومن زعم أنه نسب الفعل اليهم لانهم رضوا به لا يستقيم قوله لأننا نعلم أنهم لم يتفقوا على الرضى في قتل النفس ولا باتخاذ العجل ولا بقولهم - لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة - ولا بقولهم - لن نصبر على طعام واحد » وأيضاً فان نسبة الفعل الى الراضى به مجاز والى فاعله حقيقة فاذا حمل - على - عليهما كان محالاً على حقيقة غالبية ومجاز مغلوب وذلك لا يجوز .

- القسم السادس -

اطلاق اسم البعض على الكل وهو سبعة عشر قسماً

(الاول) التعبير بالقيام عن الصلاة • ومن ذلك قوله تعالى « قم الليل إ قليلا » أى صلّ الليل إ قليلا • وقوله تعالى « لا تقم فيه أبداً » أى لا تصل فيه أبداً (الثانى) التعبير بالركوع عن الصلاة وهو فى قوله تعالى « واركع مع الراكعين » أى صلى مع المصلين • وقوله تعالى « واذا قيل لهم إركعوا لا يركعون » أى واذا قيل لهم صلوا لا يصلون (الثالث) التعبير عنها بالسجود • وذلك فى قوله تعالى « ومن الليل فاسجد له » أى فصلّ له • ومنه قوله تعالى « فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم » أى فاذا صلوا فليكونوا من ورائكم • ومنه قوله تعالى « يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » أى وهم يصلون لأن التلاوة منتهى عنها فى السجود الحقيقى فلا يصح المدايح فيما نهى عنه (الرابع) التعبير عنها بالقراءة فى قوله تعالى « وقرآن الفجر » وفى قوله « فاقرأوا ما تيسر من القرآن » (الخامس) التعبير عنها بالتسبيح فى قوله « وسبحه ليلاً طويلاً » وفى قوله « وسبح بحمد ربك قبل طُلوع الشمس وقبل الغروب » وفى قوله « وسبحوه بُكرةً وأصيلاً » وأمثاله فى القرآن كثير (السادس) التعبير عنها بالدكر فى قوله « واذكّر اسم ربك بُكرةً وأصيلاً » وفى قوله « فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون » معناه فاذا أمنتم فصلوا لله (السابع) التعبير عنها بالاستغفار فى قوله « وهم يستغفرون » وحمله بعضهم على الحقيقة (الثامن) التعبير بالذقن عن الوجه فى قوله تعالى « يخشعون للأذقان سجداً » وفى قوله « يخشعون للأذقان يبتكون » أى للوجوه (التاسع) التعبير بالأنف عن الوجه فى قوله تعالى « سنسئه على الخرطوم » (العاشر) التعبير بالرقبة عن الجملة فى قوله تعالى « فتحرير رقبة » وفى قوله « وفى الرقاب » وفى قوله « فطئت أعناقهم لها خاضعين » فإن هذه الأفعال لا تختص بالرقاب بل تعم الأجساد وكذلك ما أشبهه

(الحادى عشر) التعبير باليدين عن الجملة وهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ذلك بما قدّمت يداك » (الثانى عشر) التعبير باليمين عن الجملة . ومنه قوله تعالى « لأخذنا منه باليمين » (الثالث عشر) التعبير بالعضد عن الجملة فى قوله تعالى « سنشدّ عضدك باخيك » (الرابع عشر) التعبير بالأصابع عن الكف والارجل كقوله تعالى « فاضربوا منهم فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان » (الخامس عشر) التعبير بالوجه عن الجسد . ومنه قوله عز وجل « ووجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » ومنه قوله تعالى « ووجوه يومئذ عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية » عبر بالوجوه عن الأجساد لان العمل والنصب صفتان للأجساد (السادس عشر) التعبير بالمسجد الحرام عن الحرم كله فى قوله تعالى « انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا . (ويجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره فلا يقربوا حرم المسجد الحرام (السابع عشر) التعبير بمكة عن الحرم كله فى قوله عليه الصلاة والسلام ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض لا ينفّر صيدها ولا بعض شجرها . ومعلوم أن البلد نفسه لا صيد فيه مباح ولا شجر أيضاً (وأما) قوله تعالى « ثم محلاها » فانه تجوز بالبيت العتيق عن الحرم كله إذ لا يجوز النحر فيما أتصل بالبيت من المسجد المحيط (ويجوز) أن يكون من مجاز الحذف تقديره ثم محلاها الى حرم البيت العتيق

- القسم السابع -

اطلاق اسم الكل على البعض وهو أحد عشر قسماً

(الأول) قوله تعالى « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم » ومعلوم انه لم ير جلتهم وانما دائر وجوههم وما يبدأ منهم (الثانى) قوله تعالى « فأجلدوهم ثمانين جلدة » (الثالث) قوله تعالى « فأمسحوا برؤوسكم » على قول من قال استيعاب مسح الرأس ليس بواجب (الرابع) قوله تعالى « يجعلون أصابهم فى آذانهم » وانما جعلوا بعض أناملهم (الخامس)

قوله تعالى «ادخلوا مصر» ومعلوم أنهم لم يستوعبوها (السادس) قولهم «خرجت من المسجد» ومثله في القرآن كثير (السابع) وصف البعض بوصف الكل وهو في قوله تعالى «يعلم خائفة الأعين» (الثامن) قوله تعالى «لنسفنن بالناسية ناصية» كاذبة خاطئة الخطأ صفة للكل فوصفت به الناصية (وأما) قوله -كاذبة- فلـكاذب على الحقيقة هو اللسان ونسبة الكذب إلى الإنسان من مجاز وصفه بصفة بعضه وتجاوز عن هذا المجاز بأن وصفت به الناصية فيكون مجازاً عن مجاز (التاسع) نسبة الظن إلى الوجوه في قوله تعالى «تظن أن يفعل بها فاقرة» فإن الظن وصف للقلوب على الحقيقة ويضاف إلى الأجساد على التجوز فيكون مجازاً عن مجاز (العاشر) وصف الوجوه بالخشوع فإن محل الخشوع القلوب ثم توصف به الجملة ثم توصف الوجوه بصفة الجملة (الحادي عشر) وصفها بالرضى في قوله تعالى «لسعيها راضية» وصف لها بصفة القلوب وهذا كله من مجاز القلوب

- القسم الثامن -

في التجوز بوصف الكل بصفة البعض وهو أربعة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «أنا منكم ورجاؤن» والوجل الخوف ومحل القاب ويدل عليه قوله تعالى «وبشر المحبتين الذين إذا ذكر الله وجاءت قلوبهم» (الثاني) قوله تعالى «لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولمأثت منهم رعباً» والرعب انما يعلا القلوب فنسب إلى الأجساد ووصف القلوب بالامتلاء مجازاً أيضاً (الثالث) قولك زيد عالم وجاهل وراغب وخائف وآمن ومتفكر وشاك ومتذكر وعامل ولين وقاس وقابع فهذه كلها من أوصاف القلوب وقد وصفت بها الجملة (الرابع) قوله تعالى «كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعقلون بشيراً ونذيراً» وصف القرآن بالبشارة والندارة وكلاهما بعض من أبعاضه لاشتماله على الأمر والنهي والحدود والحلال والحرام وسائر الأحكام ونسبة البشارة والندارة إليه مجازية أيضاً

— ﴿ القسم التاسع ﴾ —

اطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه وهو قسبان

﴿ الأول ﴾ قوله تعالى « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف » معناه
وإذا طلقتم النساء فقاربن انقضاء عِدِّ دهن وشارفته فأمسكوهن بمعروف ﴿ الثاني ﴾ قوله
تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً » معناه والذين يقاربون الوفاة وترك
الأزواج ويشارفونها .. وكذلك ما أشبهه



— ﴿ القسم العاشر ﴾ —

اطلاق اسم الشيء على ما كان عليه وهو قسبان

﴿ الأول ﴾ من ذلك قوله تعالى « وآتوا اليتامى أموالهم » معناه الذين كانوا يتامى إذ
لا يُتَمَّ بعد البلوغ ﴿ الثاني ﴾ قوله تعالى « ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن » معناه
الذين كانوا أزواجهن لأنها نزلت في معقل بن يسار وأخته لما حلف أنه لا يزوجه
من زوجها عبدالله بن رواحة

— ﴿ القسم الحادي عشر ﴾ —

اطلاق اسم الشيء بما يؤل اليه وهو قسبان

﴿ الأول ﴾ من ذلك قوله تعالى « كتب عليكم القصاص في القتلى » أي فمن يقتل
من القتلى ﴿ الثاني ﴾ قوله تعالى « أنى أرانى أعصر خراً » أي أعصر عبأً .. ومن
ذلك قوله تعالى « ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً »

— القسم الثاني عشر —

اطلاق اسم المتوهم على المحقق وهو خمسة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «يرونهم مثليهم رأي العين» أى فى ظنكم وحسبانكم
(والثانى) قوله تعالى «وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون» أى فى ظن الناظر اليهم
وحسبانه (الثالث) قوله تعالى «والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم» ولم
يصر كالعرجون القديم الا فى الحسبان والظن ورأى العين . . . وكذلك تقديره منازل انما
هى منازل من رأى العين فان القمر فى الفلك الأول والمنازل فى الفلك الثامن ولا يتصور
نزوله فى شئ منها وانما يقع ذلك فى نظر الناظرين وحسبان الظانين (الرابع) قوله
تعالى «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون»
أى يسبحون فى رأى العين فان الناظر الى الفلك يعتقد ساكناً والكواكب جارية
فيه وليس كذلك (الخامس) قوله تعالى «فكان قاب قوسين أو أدنى» أى كان قاب
قوسين أو أدنى فى ظن رائيه وحسبانه

— القسم الثالث عشر —

اطلاق اسم الشئ على الشئ الذى يظنه
المعتقد والأمر على خلافه وهو ستة أقسام

(الأول) من ذلك قوله تعالى «ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً» ذكر
ذلك بالنسبة الى ظنهم وزعمهم إذ ليس له ضد ولا نقيض (الثانى) قوله تعالى «أين شركائى»
وليس هذا اثباتاً للشركاء بل هو يتنزل على قول الخصم معناه أين شركائى بزعمكم وقوله
صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه «من عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته لشريكى» معناه
تركته لشريكى بزعمه (الثالث) قوله تعالى «ان رسولكم الذى أرسل اليكم لجنون»

لم يقرّ فرعون برسالة موسى عليه السلام بل المعنى بزعمه أنه رسول (الرابع) قوله عز وجل « يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون » ليس هذا إقراراً بتنزيل الذكر وإنما المعنى يا أيها الذي نزل عليه الذكر بزعمه (الخامس) قوله تعالى (١)

القسم الرابع عشر

التضمين وهو أن يُضمن اسماً معنى اسمٍ لافادة معنى الاسمين فتعديده تمديته في بعض المواطن وهو أربعة أقسام

(الأول) قوله تعالى « حقيقٌ على أن لا أقولَ على الله إلا الحق » ضمن حقيقاً معنى حريصٍ ليفيد أنه محقق يقول الحق وحريص عليه (الثاني) من التضمين أيضاً أن تُضمّن فعلاً معنى فعلٍ آخر لافادة معنى الفعلين وتعديده أيضاً تعديته في بعض المواطن وهو في القرآن كثير . منه قوله تعالى « لا تُشركُ بي شيئاً » ضمن لا تشرك معنى لا تعدل والعدل التسوية أى لا تسوى بالله شيئاً في العبادة والمحبة فانهم عبدوا الأصنام كعبادة الله وحُبُّوها كحب الله ولذلك قال الذين في النار « تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نُسوِّبكم ربَّ العالمين » وما سوَّوهم به إلا في العبادة والمحبة دون أوصاف السكّال ونعوت الجمال والجلال (الثالث) قوله عز وجل « إن كادَتْ تُبْدِي به لولا أن ربَّنَا على قلبها » ضمن لتبدي به معنى لتخبر به أو لتعلم ليفيد الاظهار معنى الاخبار لأن الخبر قد يقع سرّاً غير ظاهر (الرابع) قوله تعالى « عينا يشربُ بها عبادُ الله » ضمن يشرب معنى يروي أو معنى يلتذ ليفيد الشرب والرى أو الشرب والالتذاذ جميعاً

القسم الخامس عشر

في مجاز اللزوم وهو ثمانية تحت كل قسم أقسام قد بينها فيه

(الأول) التعبير بالاذن عن المشيئة لأن الغالب أن الاذن في الشيء لا يقع الا بمشيئة الاذن واختياره الملازمة الغالبة مصححة للمجاز . ومن ذلك قوله تعالى « وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله » أي إلا بمشيئة الله . ويجوز أن يراد في هذا بالاذن أمر التكوين والمعنى وما كان لنفس أن تموت الا بقول الله موتى . ونظيره « فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم » فحذف تقديره فقال لهم الله موتوا فأتوا لدلالة قوله « ثم أحياهم » عليه . ومثله « وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله » ومنه « وأبرئ الأكمة والأبرص وأحي الموتى باذن الله » أي بمشيئة الله أو بأمر التكوين فان ملازمة المشيئة للأمر غالباً كملازمة مشيئة المرید غالباً (الثاني) التعبير بالاذن عن التيسير والتسهيل وهو في قوله تعالى « والله يدعوك الى الجنة والمغفرة باذنه » أي بتسهيله وتيسيره اذ لا يحسن أن يقال دعوته باذني ولا قت وقعدت باذني هذا قول الزمخشري . ويجوز أن يراد بالاذن ههنا الأمر أي يدعوكم الى الجنة والمغفرة بأمره (الثالث) تسمية المسافر بابن السبيل . وذلك في قوله تعالى « وابن السبيل » لملازمته السبيل وهو الطريق كما يلزم الولد أمه . ومنه قيل للطير ابن الماء لملازمته الماء (الرابع) نفي الشيء لانتفاء ثمرته وفائدته للزومها عنه غالباً في مثل قوله تعالى « كيف يكون للمشركون عهد » أي وفاء عهد وإتمام عهد فنفي العهد لانتفاء ثمرته وهو الوفاء والاتمام . ومنه قوله تعالى « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفرانهم لا أيمان لهم » نفي الايمان بعد اثباتها لانتفاء ثمرتها وفائدتها وهو البر والوفاء . ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره أنهم لا وفاء أيمان لهم (الخامس) اطلاق اسم الريب على الشك لملازمة الشك القلق والاضطراب فان حقيقة الريب قلق النفس بدليل قوله « نترصد بكم ريب المتون » أي مقامقات الدهور . وبدليل قوله عليه الصلاة والسلام في الظبي الحاقب لا يريبه أحد وقوله صلى الله عليه وسلم ان فاطمة بضعة

منى يربنى ما يربها . . ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى
* أمن المتون ورَّيبها تتوجع *
منه قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل »

(السادس) التعبير بالمسافة عن الزنا لان السفح صب المنى وهو ملازم للجماع غالباً لكنه خص بالزنا إذ لا غرض فيه سوى صب المنى بخلاف النكاح فان مقصوده الولد والتعاضد والتناصر بالأختان والأصهار والاولاد والأحفاد . ومثاله قوله تعالى « محصنين غير مسافحين » أى غير مزانيين . وقوله تعالى « محصنات غير مسافحات » أى غير مزانيات
(السابع) اطلاق اسم المحل على الحال فيه لما بينهما من الملازمة الغالبة كالتعبير باليد عن القدرة والاستيلاء وبالعين عن الادراك وبالصدر عن القاب وبالقلب عن العقل وبالفواه عن الألسن وبالألسن عن اللغات وبالقرية عن قاطنيتها وبالساحة عن نازليها وبالنادى والندى عن أهلها وبالغائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان لانهم كانوا فى الغالب يقضون الحاجة فى الأما كن المنخفضة تسترا عن الناس (أما) التعبير باليد عن القدرة فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى « يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى » وقوله تعالى « تبارك الذى بيده الملك » وأما التعبير بالعين عن الادراك فهو فى قوله تعالى « أم لهم أعين يُبصرون بها » أى يبصرون بادراكها أو بنورها (وأما) التعبير بالصدر عن القلب فهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « فلا يكن فى صدرك حرج منه » أى فى قلبك . ومنه قوله تعالى « وما تخرى صدورهم أكبر » (وأما) بالقلب عن العقل فهو فى القرآن فى موضعين . أحدهما قوله تعالى « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قاب » والثانى فى قوله تعالى « لهم قلوب لا يفقهون بها » أى لهم عقول لا يفقهون بها . . ويجوز أن يكون من مجاز الحذف تقديره لهم قلوب لا يفقهون بعقولها كما فى قوله « ولهم آذان لا يسمعون بها » أى لا يسمعون بأسماعها أو بادراكها (وأما) التعبير بالفواه عن الألسن فهو فى قوله تعالى « من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم » أى بألسنتهم لان القول انما يكون باللسان ومنه قوله تعالى « يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم » (وأما) التعبير بالألسن عن اللغات فهو فى القرآن كثير من ذلك قوله تعالى « فاتما يسرناه بلسانك » أى باغتك ومنه . قوله

تعالى « بلسان عربي مبين » أى بكلام عربي مبين « وأما » التعبير بالساحة عن نازلها
 ففي قوله تعالى « فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين » معناه فاذا نزل بهم « وأما »
 التعبير بالقرية عن قاطنيتها ففي قوله تعالى « واسئل القرية التى كنا فيها » « وأما »
 التعبير بالنادى عن أهله ففي قوله تعالى « فليدع ناديه » « وأما » التعبير بالنادى عن
 أهله ففي قوله « أى الفريقين خيرٌ مقاماً وأحسنُ ندياً » أى أحسن أهل مجلس
 « وأما » التعبير بالفائط وهو المكان المنخفض عما يخرج من الانسان ففي قوله تعالى
 « أو جاء أحدكم من الفائط » . ومن مجاز الملازمة وهو التعبير بالارادة عن المقاربة لان
 من أراد شيئاً قربت موافقته إياه غالباً وهو في قوله تعالى « فوجدنا فيها جداراً »
 يريد أن ينقض فأقامه « أى قارب الانقضاء » . ومنه قول الشاعر

يُرِيدُ الرَّمْعُ صَدْرَ أَبِي رِيَّاحٍ وَيَرْغَبُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ

(ومنه) التعبير بترك الكلام عن الغضب لان الهجران وترك الكلام يلزمان الغضب
 غالباً وهو في القرآن العظيم في موضعين . أحدهما قوله تعالى « ولا يكلمهم الله يوم
 القيامة ولا يزكهم » والآخر قوله تعالى « ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة »
 (ومنه) التجوز بالاياس عن العلم لان الاياس من تقيض المعلوم ملازم للعلم غير
 منقلب عنه . من ذلك قوله تعالى « أفلم يئأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس
 جميعاً » (ومنه) التعبير بالدخول عن الوطء لان الغالب من الرجل اذا دخل
 بامرأته انه يطأها ليلة عرسها . ومثاله قوله تعالى « وربائبكم اللاتي في حجوركم من
 نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم » ومنه وصف
 الزمان بصفة ما يشغل عليه ويقع فيه وهو في القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى
 « فذلك يومئذ يومٌ عسيرٌ » وصفه بالعسر والعسرُ صفةٌ للأحوال الواقعة في ذلك اليوم
 ومنه قوله تعالى « فيأخذكم عذابٌ يومٍ عظيم » وصف اليوم بالعظم وهو صفةٌ للمذاب
 الواقع فيه . وأما قوله تعالى « فيأخذكم عذاب يوم عقيم » فانه مجاز تشبيه شبه اليوم في
 انقطاع خيره بانقطاع ولادة العقيم . ومنه قوله تعالى « وقال هذا يومٌ عَصيبٌ »
 وصفه بكونه عصيباً وهو صفةٌ للشر الذى يقع فيه

❦ القسم السادس عشر ❦

التجوز بالمجاز عن المجاز

وهو أن يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الأول عن الثاني بملاقة بينهما وبين الثاني • مثال ذلك قوله تعالى « ولكن لا تواعدوهن » سرّاً • فانه مجاز عن مجاز فان الوطاء تجوز عنه بالسّر لانه لا يقع غالباً الا في السر فلما لازم السر في الغالب سمي سرّاً وتجوز بالسّر عن العقد لانه سبب فيه فالصحيح للمجاز الأول الملازمة والمصحح للمجاز الثاني التعبير باسم المسبب الذي هو السر عن العقد الذي هو سبب • كما سمي عقد النكاح نكاحاً لكونه سبباً في النكاح وكذلك سمي العقد سرّاً لانه سبب في السر الذي هو النكاح فهذا مجاز عن مجاز مع اختلاف المصحح فعنى قوله - ولكن لا تواعدوهن سرّاً - لا تواعدوهن عقد نكاح وكذلك قوله « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله » قال مجاهد « ومن يكفر بلا إله الا الله فقد حبط عمله فان حمل قوله على ظاهره كان هذا من مجاز المجاز لأن قول لا إله الا الله مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والتعبير بلا إله الا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه والأول من مجاز التعبير بلفظ السبب عن المسبب لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان

❦ القسم السابع عشر ❦

التجوز في الاسماء وهو على سبعة أقسام

(الأول) اطلاق اسم الأسد على الشجاع (الثاني) التجوز بالبحر عن الجواد (الثالث) اطلاق اسم الفوز والحياة على الايمان والعرفان (الرابع) اطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل والضلال (الخامس) اطلاق اسم السراج والنور على الهادي (السادس) اطلاق اسم الخطب على النجمة بانارتها نار الحقد والفضب (السابع) اطلاق اسم الانسان على تمثاله وكذلك الحيوان والبلدان وقد تقدم جميع أمثلة ذلك إلا الخطب المعبر به عن النجمة فانه في قوله تعالى « حمالة الخطب »

﴿ القسم الثامن عشر ﴾

التجوز في الافعال وهو على عشرة أقسام وتحت كل قسم منها أقسام

(الأول) التجوز بالماضي عن المستقبل تشبيهاً له في التحقيق والعرب تفعل ذلك لفائدة وهو أن الفعل الماضي اذا أخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبغ وأكد وأعظم موقفاً وأنغم بياناً لان الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان وجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها . ومنه قوله تعالى « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله وكل أتوه داخرين » فانه انما قال - ففزع - بلفظ الماضي بعد قوله - يُنفخ - وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وثبوته وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل بكونه مقطوعاً به . ومن هذا الجنس قوله تعالى « وبرزوا لله جميعاً » فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان ما أخبر الله به لصدقه وصحته فانه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله عزاسمه « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » فأتى هنا بمعنى يأتي وإنما حسن فيه لفظ الماضي لصدق إثبات الأمر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة أتى ومضى . وكذلك قوله تعالى « ويوم نُسيرُ الجبال وترى الأرض بارزة وحسرتهاهم فلم تغادر منهم أحداً » فانه انما قال - وحسرتهاهم - ماضياً بعد - نُسير - وترى - وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الأحوال كانه قال وحسرتهاهم قبل ذلك وهو في القرآن العظيم كثير . قال الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام في كتابه المعروف بالمجاز أكثر ما يكون هذا في الشروط وأجوبتها وقديجي في غيرها . مثاله في غير الشرط قوله تعالى « وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » ومنه « ونادى أصحاب الأعراف » ومنه « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار » ومنه « ونادوا يامالك » ومنه « وقال قرينه هذا ما لدى »

عتيدته» ومنه «وقالوا الجلودهم» . ومنه «إنا أعتدنا للظالمين نارا» . ومنه «وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا» وأمثاله فى القرآن كثير (وأما) مثاله فى الشرط فقوله تعالى « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » معناه وإن تكونوا فى ريب . ومنه « وإن تبتم فهو خير لكم » معناه وإن تتوبوا فهو خير لكم . ومنه «فإن كنت فى شك مما نزلنا إليك » معناه فإن شك فى شك . ومنه « إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا » معناه إن تكونوا مؤمنين بالله فعليه توكلوا (وأما) فى جواب الشرط فقوله تعالى « الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة » . ومنه « ولئن أرسنا ريحا قرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون » قال الخليل معناه ليظن . ومنه « وإن عدتم عدنا » معناه وإن تعودوا إلى قتال محمد عدنا إلى نصره والسرط لا يكون إلا مستقبلا والمرتب على المستقبل مستقبل لا محالة وهذا من مجاز التشبيه شبه المستقبل فى الحقيقة وثبوته بالماضى الذى دخل فى الوجود بحيث لا يمكن رفعه (الثنى) التعبير بالمستقبل عن الماضى وهو فى القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى « واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان » . ومنه « فريقا كذبتهم وفريقا تقتلون » معناه وفريقا قتلتم . . ويجوز أن يكون القول فى هاتين الآيتين حكاية حال ماضية مثله فى قوله تعالى « تُريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا » وكما فى قوله تعالى « ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل » . ومنه قوله تعالى « وكانوا يصرون على الحنث العظيم » ومنه « وقد كانوا يدعون إلى السجود » ومنه « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه » معناه وإذ قلت وهو فى القرآن كثير (وانما) قصدت العرب بالاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل لأن الاخبار بالفعل المضارع إذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لأن الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى والفرق بينه وبين القسم الذى قبله هو أن الفعل الماضى يخبر به عن المضارع إذا كان الفعل المضارع من الأشياء الهائلة التى لم توجد والأمور المتعاطفة التى لم تحدث فتجعل عند ذلك فيما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع إذا أخبر به عن الماضى فإن الغرض بذلك تعيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه

يعاينها ويشاهدها (الثالث) التجوز بلفظ الخبر عن الأمر وهو في القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » ومنه قوله تعالى « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » . ومنه قوله تعالى « تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » معناه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ولذلك أجيب بالجزم في قوله « يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات » ولا يصح أن يكون جواباً للاستفهام في قوله - هل أدلكم - لأن المغفرة وإدخال الجنات لا يترتب على مجرد الدلالة وهذا من مجاز التشبيه شبه الطلب في تأكيده بخبر الصادق الذي لا بد من وقوعه وإذا شبه بالخبر الماضي كان تأكيداً وكذلك الدعاء والأمر والنهي بالخبر الماضي إذا أريد تأكيده ماعبر عنها بالخبر المستقبل فإن بالفت في التأكيده تجاوزت عنها بالخبر الماضي (الرابع) التجوز بلفظ الخبر عن الدعاء وهو في القرآن العظيم كثير. من ذلك قوله تعالى « لا تزيب عليكم اليوم يغفر الله لكم » معناه اللهم أغفر لهم . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يرحم الله أخى لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد . ومن ذلك تسميت العاطس يرحمك الله وفي إجابته يهديكم الله ويصالح بالكم . المعنى اللهم ارحمهم اللهم اهدهم (الخامس) التجوز بلفظ الخبر عن النهي وهو في القرآن كثير. من ذلك قوله تعالى « وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله » معناه ولا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله . ومنه قوله تعالى « لا تعبدون إلا الله » معناه لا تعبدوا إلا الله . ومنه قوله تعالى « لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم » (السادس) التجوز بلفظ الأمر عن الخبر تأكيداً للخبر لأن الأمر للإيجاب فيشبه الخبر به في إيجابه وهو في القرآن في موضعين قوله تعالى « قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدداً » تقديره قل من كان في الضلالة يمدد له الرحمن مدداً أو مدد له الرحمن مدداً . الثاني « اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم » (السابع) التجوز بجواب الشرط عن الأمر وهو في القرآن العظيم كثير . من ذلك قوله تعالى « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » معناه عند الجمهور فليغلبوا مائتين . ومنه « وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً » معناه فليغلبوا ألفاً

ومنه « فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين » معناه فليغلبوا مائتين » وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » معناه فليغلبوا ألفين والمراد به التأكيد لانه خبر تجوز به عن الطلب (الثامن) التجوز بلفظ النهى عن أشياء ليست مرادةً بالنهى وانما المراد بها ما يقاربها أو يلزمها أو تكون مسببة عنه وهو فى القرآن العظيم كثير . فمن ذلك قوله تعالى « وَذَرُوا الْبَيْعَ » نهى عن البيع فى اللفظ وهو مباح وأراد ما يلزم عنه من ترك الواجب . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » النهى عن الموت نفسه لا يصح لانه يتنافى التكليف لكنه تجوز به عما يقارنه من الكفر فكأنه قال ولا تكفروا عند موتكم . ومنه « قولهم لا أرينك ها هنا » معناه لا تحضرن فأراك فتجوز برؤيته عن سببها وهو الحضور . ومنه نهيه صلى الله عليه وسلم عن البيع على بيع الأخ ليس النهى عن نفس البيع لأنه مجتمعة بشرائط الصحة انما النهى عن أذية الأخ المقترنة بالبيع . ومنه النهى عن الخطبة على خطبة الأخ ليس النهى عن الخطبة نفسها وانما النهى عما يلزمها من تأذى الخاطب (التاسع) التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه والمراد به من يصح نهيه وهو فى القرآن كثير . فنهى قوله تعالى « وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ » النهى فى اللفظ للعينين والمراد بذلك ذو العينين أى لا تنظر الى غيرهم . ومنه « لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله » النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى لذوى الأموال والأولاد . ومنه « لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد » النهى فى اللفظ للتقلب والمراد به النهى عن الاغترار بالتقلب . ومنه قوله « فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا » النهى فى اللفظ للحياة الدنيا والمراد به نهى المخاطبين عن الاغترار بها . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ » النهى فى اللفظ للأموال والأولاد وفى المعنى نهى المخاطبين عن الاعجاب بهما . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فى دِينِ اللَّهِ » النهى للرأفة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى . ومنه قوله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » النهى لضمير الفتنة فى اللفظ وللمخاطبين فى المعنى لا تعرضن لا صابة الفتنة اياكم لسبب تقريرها وترك تكبرها والتقدير واتقوا تقدير فتنة لا تصيبن عقوبتها أو شؤمها أو وبالها الذين ظلموا

منكم خاصة (الماشر) التجوز بنهى من يصح نهيه والمنهى فى الحقيقة غيره وهو فى القرآن العظيم كثير . منه قوله تعالى « وَلَا يَصِدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ » معناه ولا تصدن عن آيات الله بسبب صدهم إياك . ومنه « فَلَا يَصِدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا » معناه فلا تصدن عنها . ومنه قوله تعالى « وَلَا يَسْتَخْفِنُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ » معناه ولا تخفن

القسم التاسع عشر

التجوز بالحروف بعضها عن بعض وهو عشرة أقسام

(الاول) هل- يُتجوز بها عن الأمر والنهى والتقدير وهو فى القرآن العظيم كثير . . أما التجوز بها عن الأمر فى مواضع . منها قوله تعالى « فهل أنتم مسلمون » معناه أسلموا . ومنه قوله تعالى « فهل أنتم مُنْتَهُون » معناه فأنتهوا . . أما التجوز بها فى النهى فهو فى مواضع . منها قوله تعالى « فهل ترى لهم من باقية » وقوله تعالى « فهل يهلك إلا القوم الفاسقون » معناه فأتري لهم من باقية فلا يهلك إلا القوم الفاسقون . وقوله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » معناه ما ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل ومثل هذا فى القرآن كثير . وأما قوله تعالى « هل من مزيد » فقليل انه نفي الاستزادة معناه لا مزيد فى وقيل انه طاب لها معناه زدنى . . وأما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن العظيم فى آيتين . احدها قوله تعالى « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا » الثانية فى قوله تعالى « هل لكم مما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ من شركاء فيما رزقناكم » (الثانى) همزة الاستفهام- ويتجوز بها عن النهى وعن الأمر والایجاب والتقرير والتوبيخ . . أما التجوز بها عن النهى فى القرآن العظيم منه كثير . من ذلك قوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » معناه لست مكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تَنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » معناه لست منقذ من فى النار . وقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ » معناه لست مسمع

الأصم ولا هادى الأعمى ومثله فى القرآن كثير . . وأما التجوز بها فى الإيجاب فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « أليس الله بكاف عبده » معناه الوعد بكفاية العباد . وقوله « أليس الله بعزیز ذى انتقام » وقوله تعالى « أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » . . ومنها قول جرير
أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونٌ رَاحَ

وقول الآخر

أَلَسْتُ أَرَى النِّجْمَ الَّذِى هُوَ طَالِعٌ عَلَيْهَا وَهَذَا لِلْمُحِبِّينَ نَافِعٌ
وأما التجوز بها فى التقرير فهو فى القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ » وقوله تعالى « أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْمَنَةِ يَا إِبْرَاهِيمَ » وقوله تعالى « أَلَمْ تَكُنْ مِنْ حَرَمٍ أُمِّ الْآثِنِينَ » . . وأما التجوز بها فى التوبيخ فهو فى القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ » وقوله تعالى « أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » وقوله تعالى « أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ » وقوله تعالى « أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ » (الثالث) التجوز - بنى - وله حقيقة تتحقق فى قسمين . أحدهما احتواء جرم على جرم كقوله تعالى « أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ » وقوله تعالى « وَهُمْ فِي الْفُرُقَاتِ آمِنُونَ » الثانى احتواء جرم على معنى كقوله تعالى « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » وقوله تعالى « وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ » وكقوله « إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ » وأمثاله فى القرآن كثير . . وأما التجوز بها فهو أنواع . الأول أن يجعل المعنى ظرفاً لتعلقه بمعنى آخر وذلك قوله تعالى « وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وهو طاعته واجتناب معصيته أو القتال فى سبيله ظرفاً لتعلق الجهاد والجهاد قائم بالمجاهد . ومن ذلك قوله تعالى « لَا رَيْبَ فِيهِ » ومن ذلك قوله تعالى « وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَارِيبَ فِيهَا » جعل الساعة والكتاب ظرفين لتعلق الريب لا لنفس الريب فان الريب حال فى المرتاب . ومنه قوله تعالى « وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ » أى فى توريثهن جعل التورث محلاً لتعلق الاستفتاء ثم قال « قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ » أى فى توريثهن فجعل التورث

محلا لتعلق بيان الفتيا وهو قول المفتي . ومنه قوله تعالى « فهدى الله الذين آمنوا لما
اختلفوا فيه من الحق باذنه » جعل الحق محلا لتعلق الاختلاف والاختلاف قائم بالمختلفين
• ومنه قوله تعالى « فادّارأتم فيها » أى فادّارأتم فى قتلها فجعل القتل محلا لتعلق الدرء
• ومنه قوله تعالى « فذلِكُنَّ الذى كُنتُنَّ فيه » جعل حبه أو مرادته ظرفا لتعلق لومهن
لا لنفس اللوم فان لومهن قائم بهن • • الثانى التجوز بها عن الباء التى للسبب وهى فى
القرآن العظيم كثير • فمن ذلك قوله تعالى « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به »
أى بسبب ما أخطأتم • ومنه قوله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله » أى بسبب نصرة
سبيل • وكذلك الحب فى الله والبغض فى الله أى بسبب تعظيم الله وله نظائر كثيرة
ولما كان المسبب متعلقا بالسبب فجعل السبب ظرفا لتعلق المسبب • • الثالث من التجوز
به وهو أن يجعل الجرم محلا لتعلق المعنى وهو فى القرآن المجيد كثير • من ذلك قوله
تعالى « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض » جعل الأجرام محلا لتعلق الفكر
لا لنفس الفكر فان الفكر قائم بالتفكر • ومنه قوله تعالى « أو لم ينظروا فى ملكوت
السموات والأرض وما خلق الله من شئ » جعل السموات والأرض والمخلوقات كلها
محلا لتعلق النظر لا لنفس النظر فان الناظر قائم بالنظر حال فيه • ومنه قوله تعالى
« أو لم يتفكروا فى أنفسهم » (الرابع) من التجوز به أن يجعل المعنى محلا للجرم
وهو عكس الأول فتجوز به عن كثرة ما جعل ظرفا مجازا لما كان الحاوى أعظم من
المحوى شبه به ما توالى أو كثر من المعانى ومنه فى القرآن شئ كثير • من ذلك قوله
تعالى « إنا لنراك فى ضلال مبين » ومنه « صمّ بكم فى الظلمات » أى صم وبكم فى
الضلالات • ومنه قوله تعالى « فهم فى ربهم يترددون » ومنه قوله تعالى « ألا إناهم
فى مريقة من لقاء ربهم » وأما قوله تعالى « إن المتقين فى جنات ونعيم » فى جنات ونهره
فى جنات وعيون وفواكه • فن جمع بين الحقيقة والمجاز جعل - فى - بالنسبة الى
الجنان ظرفا حقيقيا وبالنسبة الى العيون والنهر والنعيم ظرفا مجازيا ومن لم يجمع بينهما
يقدر ان المتقين فى جنات وفى نعيم وفى عيون وفى نهر فيكون فى الثانية مجازا محضاً
مشعراً بكثرة النعيم والانهار والعيون والفواكه ويدع الأولى على حقيقتها ولك أن

نُفْرِجْ عَلَى نَادِي قَوْمِهِ أَوْ عَلَى مَحَلِّ قَوْمِهِ • ومثله قوله تعالى « اخْرِجْ عَلَيْهِمْ » فَمَعْنَاهُ اخْرِجْ عَلَى مَجْلِسِهِمْ أَوْ مَكَانِهِمْ • ومثله قوله تعالى « كَلِمَاتٍ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا » معناه كلما دخل مكانها أو محرابها (السادس) - عن - وهي حقيقة في مجاوزة جرم عن جرم وتعديته عنه ثم يستعمل في المعاني على طريق التشبيه كقوله تعالى « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا » شبه انصراف البصيرة عن تأمل ذكره بانصراف المجاوز عما يجاوز • وكذلك قوله تعالى « فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ » إن حمل على ترك القتال كان المعنى فأنصرف عن قتالهم وإن حمل على غيره فمعناه تجاوز عن أذيتهم وفي الحديث تجاوز عما تعلم المعنى ترك المُواخِذَةَ لأن المتجاوز عن الشيء تاركٌ له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمي عما حدثت به أنفسها (السابع) حرف - من - وهي حقيقة في ابتداء غاية الأمكنة ويتجاوز بها عن ابتداء الغاية في الأزمنة مثل قوله تعالى « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ » فاستعملها غاية في الأزمنة لشبهها بالآماكن • وكذلك تجاوز بها عن التعليل في مثل قوله تعالى « يَمَّا تَخِطَايَاهُمْ أَغْرَقُوا » أي من أجل خطاياهم أغرقوا لأن ابتداء غاية المعلول صادر عن علة فشبه ذلك بابتداء الغاية بالمكان (الثامن) حرف - ثم - ويستعمل حقيقة في تراخي الزمان والمكان ثم يتجاوز بها في تراخي بعض الرتب عن بعض بالنسبة المعنوية فشبه التراخي المعنوي بالتراخي الزماني والمكان وهو في القرآن العظيم كثير • فمن ذلك قوله تعالى « ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَفُتِحَتْ بَنُومُهُمْ لِلتَّرَاخِي الَّذِي بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ فَمَنْ الْإِيمَانُ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ فَهُوَ مَتَرَاخٍ فِي الْفَضْلِ عَنْ فَكِّ الرِّقَابِ وَإِطْعَامِ السَّعْيَانِ فَهُوَ مُؤَخَّرٌ فِي الْفَضْلِ مُقَدَّمٌ فِي الْفَضِيلَةِ وَالرَّبَّةِ عَلَى تَبَاعُدِ وَتَرَاخٍ بَدَلِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا سُئِلَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ قَالَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيَدُلُّ أَنْ - ثم - هاهنا لتراخي الرتب لا لتراخي الزمان لأن الإيمان شرط في اعتبار فك الرقاب وإطعام السفابي فلا يجوز أن ينقدم المشروط على شرط • • ومنه قال الشاعر

* إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ *

جاء ثم لتراخ بين السؤدد من الفضل • ومنه قوله تعالى « ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم » على قول بعضهم قال جئ بتم لتفاوت ما بين نعمة التصوير ونعمة السجود لآدم قال فان اسجد الملائكة له أكل أحسان وأتم إنعام من التصوير • وقدر بعضهم ولقد خلقنا طينتك ثم صورناكم في ظهر أبيكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • وقال بعضهم نسبة الخلق والتصوير الينا من مجاز نسبة ما يتعلق بالواحد الى جماعة • ومثاله قوله عز وجل « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » نسب المعاهدة الى الجماعة والمراد بها معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومثل قوله تعالى « أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ » نسب النكث الى الكل وانما نكث بعضهم • ومثله قوله تعالى « وقالت اليهود عذير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله » ولم تقل اليهود كلها ذلك وكذلك النصارى لأن بعضهم قال ذلك وبعضهم قال هو الله وبعضهم قال هو نالك ثلاثة وقال بعضهم هو عبد الله ورسوله فنسب الى الفريقين ما وجد من بعضهم • ومثله قول امرئ القيس

* فَاِنْ تَقْتُلُونَا نَقْتُلُكُمْ *

(وأما) من يقول إن - ثم - تستعمل في تراخي بعض الاخبار عن بعض فلا يستقيم في هذه الآية ولا في قول الشاعر

* إِنْ مِنْ سَادَ ثَم سَادَ أَبُوهُ *

لأننا نعلم أن الله تعالى ما راخى بين الاخبار في قوله - ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم - وكذلك قول الشاعر - إن من ساد ثم ساد أبوهُ - يعلم أنه لم يقل - إن من ساد ثم - وقف زماناً طويلاً • تراخياً ثم قال - ساد أبوهُ - وان استعمالها في تراخي الأخبار بعيد في استعمال العرب لان التراخي الموجود في كلامهم انما يقع في مداولات الألفاظ لا بين أنفس الألفاظ وهذا انما يصح استعماله في مقالات للاخبار فيها تعاقب إن ثبت أنه قول من يعتقد على قوله في هذا الشأن (التاسع) حرف - الباء قال سيويوهى للاصاق والاختلاط والاصاق أضرب • أحدها حقيقى وهو الصاق جرم بجرم كقولك ألصقت القوس بالغراء والخشبة بالجدل • والثاني مجاز الصاق المعنى بجرم

كقولك لطفك يزيد ورأفتُ بعمره فكأنك ألصقت اللطف والرأفة به لتعلقهما به
وكقولك مررت بزيد ولا بد فيه من حذف تقديره مررت بمكان زيد أو بمحل زيد
وهو من مجازات التشبيه كأنك ألصقت المرور بالمكان . الثالث الصاق المعنى بالمعنى
كقوله تعالى « أن النفس بالنفس والعين بالعين » أى النفس مقتولة بقتل النفس
والعين مفقوءة بفقء العين أتى بالباء ليكون المسبب وهو القصاص منسوباً الى الجناية
نسبة التشبيه وهو جار في جميع الأسباب (العاش) حرفان وهما - لعل - وعسى - وهما
مجاز تشبيه أو تسبب وحقيقتهما الترجى والتوقع قاله سبحانه تعالى ونزه أن يوصف
بحقيقتهما بل يصح حملهما على مجاز التشبيه والتسبب . أما مجاز التشبيه فلأن معاماته
بالأمر والنهى والوعد والوعيد مشبه بمعاملة ملك عامل عبيده بذلك على رجاء إجابتهم
فإن كل من سمع الملك يأمر وينهى ويعد ويوعد يرجو اجابة المأمول واثابته لاسيما اذا
كان ذلك الملك كريماً صدوقاً لا يخلف الميعاد . وأما مجاز التسبب فلأن رجاء الاجابة
وما يترتب عليها من الفلاح مسبب عن لين الخطاب وحسن الترغيب والترهيب فكذلك
أمر الرب ونهيه مع وعده وإيماده يوجبان لكل من سمعهما خوفاً ورجاء لا يوجد
مثلهما في حق غيره . ويحقق ذلك أن الكلام المتفرع لا يتوقع منه اجابة ولا إجابة
والكلام اللين المرغوب يتوقع كل من سمعه الاجابة والاثابة فلذلك قيل لموسى وهرون
عليهما السلام « فقولاً له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى » لما كان القول اللين سبباً
للتذكر والخشية أمرهما به لتقوم عايه الحجة فهذا الرجاء المتعلق بكلامه . وأما الرجاء
المتعلق بأفعاله فكما في قوله سبحانه « والله أخرجكم من بطون أممهاكم لاتعلمون
شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » لما ذكر هذه النعم
الجسام التي لا يتصور وجودها من غيره أردفها بقوله - لعلكم تشكرون - من جهة
أن الشكر مرجو من النعم عليه متوقع منه ولا سيما عند هذه النعم لانه عاملهم بهذه
النعم معاملة الراجي كما عاملهم بالفتن معاملة الفاتن فوصفه نفسه بكونه راجياً كوصفه
نفسه بكونه فاتناً وكذلك نظائره

— القسم العشرون —

من أقسام المجاز الاستعارة وهي على أربعة أقسام • وقيل على قسمين
وقيل على سبعة أقسام • وقد بينها في الوجه الثالث من الكلام عليها

اعلم وقفنا الله وإياك أن اللفظ اذا استعمل فيما وُضع له فهو حقيقة • وان استعمل
في غير ما وُضع له فان لم يكن لمناسبة بينه وبين ما وُضع له فهو الموكّل^(١) وان كان لمناسبة
بينهما فان حسن فيه أدوات التشبيه فهو مجاز التشبيه وان لم يحسن فيه اظهار أدوات
التشبيه فهو الاستعارة • • واذا تقرر هذا فالكلام في الاستعارة على وجوه • الأول
هل هي من أنواع المجاز أم لا • • الثاني في حدها • • الثالث في أقسامها • • الرابع
في اشتقاقها • • الخامس فيما تنهياً به الاستعارة وما لا تنهياً • • السادس في الاستعارة
التخييلية • • السابع في الاستعارة المجردة • • الثامن في الاستعارة المرشحة • • التاسع
في الاستعارة الحسنة • • العاشر في الاستعارة القبيحة • • الحادي عشر في بيان ما يُظن
أنه استعارة وليس باستعارة • • الثاني عشر في الاستعارة بالكناية • • الثالث عشر فيما
تنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة (أما الأول) فقد اختار الامام نجر الدين رحمه الله
أن الاستعارة ليست من المجاز لعدم النقل وجهور علماء هذا الشأن عدوها من المجاز
لاستعمال اللفظ في غير ما وُضع له (وأما الثاني) فقد اختلفت عبارات علماء هذا الشأن
في حدها فقال علي بن عيسى الاستعارة استعمال العبارة لغير ما وضعت له في أصل الالفة
وقد أبطل الامام نجر الدين ما قاله ابن عيسى في حد الاستعارة من وجوه أربعة •
الاول أنه يلزم أن يكون كل مجاز لقوى استعارة • الثاني يلزم أن تكون الاعلام المنقولة
من باب المجاز • الثالث استعمال اللفظ في غير معناه للجهل بذلك • الرابع أنه يتناول
الاستعارة التخيلية على ما سيأتي • • وقال قوم الاستعارة جعل الشيء الشيء أو جعل
الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه • فالأول كما تقول لقيت أسداً وتعني الشجاع

(١) كذا في الاصل وكتب بهامشه لعله المنقول فليحذر

فقد جمعت الشجاع أسداً فهذا جعلُ الشيء الشيء . والثاني كقول الشاعر

* إذ أصبحت بيد الشمال زمامها *

وسياتى . . وقال المتقدمون من أرباب هذه الصناعة الاستعارة الاستدلال بالشيء المحسوس على المعنى المعقول . وهذا هو أحد أنواع الاستعارة فان الاستعارة على أقسام وسياتى بيانه . . وقال قوم الاستعارة ادعاء معنى الحقيقة فى الشيء للمبالغة فى التشبيه مع طرح المشبه . . وقال الامام نحر الدين رحمه الله الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة فى التشبيه . فقوله ذكر الشيء باسم غيره - احترازاً عما اذا صرح بذكر المشبه كقولك زيد أسد فانك ما ذكرت زيدا باسم الاسد بل ذكرته باسمه الخاص فلا جرم أن ذلك لم يكن استعارة . وأما قوله - وإثبات ما لغيره له - ذكره لتدخل فيه الاستعارة التخيلية . وقوله - لأجل المبالغة فى التشبيه - ذكره لتتميزه عن المجاز (وأما الثالث) فقد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة فى أقسامها فقال قوم أقسامها أربعة . الاول أن يكون المستعار والمستعار منه محسوسين . الثانى أن يكون معقولين . الثالث أن يكون المستعار معقولا والمستعار منه محسوسا . الرابع أن يكون على العكس . . أما استعارة المحسوس للمحسوس فهى على قسمين أحدهما أن يكون الاشتراك فى الذات والاختلاف فى الصفات والثانى أن يكون العكس . فمثال الاول أن يكونا حقيقتان تتفاوت إحداها فى الفضيلة أو النقص والقوة والضعف فينقل اللفظ الموضوع للاكمل فى ذلك النوع الى الانقص . مثاله استعارة الطيران العدو فانهما يشتركان فى الحقيقة وهى الحركة المكانية إلا أن الطيران أسرع من العدو فلما تساوىافى الحقيقة واختلفا فى القوة والضعف فى السرعة لاجرم نقلوا اسم الكامل فى السرعة الى الناقص فيها فسموا العدو طياراً . وقد يقع فى هذا الجنس ما يظن أنه مستعار ولا يكون كذلك وذلك اذا كانت جهة الاختلاف خارجة عن مفهوم الاسم كقول بعضهم وفى يدك السيف الذى امتعت به صفاة الهدى من ان تدرك فتخرقا

فالظاهر ان الخرق حقيقة فى الثوب مجاز فى الصفاة ولكن التحقيق بأباه لان الشق يستعمل فى الخرق فبقال شقت الثوب والشق عيب فى الثوب وهذه الملاقاة على وجه

الحقيقة فلما قام الشق مقام الخرق وجب ان يقوم الخرق مقام الشق ظاهراً والا لو كان للخرق مفهوم سوى مفهوم الشق لكان لفظ الخرق مشتركاً بينهما وهو خلاف الاصل فثبت أن الخرق والشق لفظان مترادفان ولما كان الشق حقيقة في الصفة كان الخرق المرادف له حقيقة أيضاً فيه . نعم لوقات خرق الحشمة لم يكن من الحقيقة في شيء لأنه ليس هناك شق فهذا الطريق عرفنا أن الخرق ليس اسماً للترق من حيث أنه لا شق هناك كما تقدم خلاف ما تقدم من حيث أن الشق حاصل في الثوب بل هذه الخصوصية خارجة عن مفهوم لفظ الخرق ولما كانت لفظة الخصوصية التي بها تتميز تفرق أجزاء الحجر بعضها من بعض عن تفرق أجزاء الثوب غير داخلة في مفهوم الخرق كان استعمال الخرق في الموضعين حقيقة ولو قدرنا دخول تلك الخصوصية في الخرق كان استعمال الخرق في الحجر على طريق الاستعارة فهذا هو القانون في هذا الباب بعد أن لا تضاييق في المثال هذا كله اذا كان الاشتراك في الحقيقة والاختلاف في العوارض والصفات . . وأما اذا كان بالعكس وهو أن يكون الاشتراك في الصفات والاختلاف في الحقيقة فمثل قولهم رأيت شمساً ويريدون انساناً يتهلل وجهه كالشمس فيشاركه في الوصف . . وأما القسم الثاني وهو استعارة اسم شيء معقول لشيء معقول وهذا أيضاً انما يكون في أمرين يشتركان في وصف عديم أو ثبوتي وأحدهما بذلك الوصف أولى وفيه أكل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين إما أن يكونا متعاندين أو لا يكونا كذلك فان تعاندا فاما أن يكون التعاند بالثبوت أو بالافتناء أو بالتضاد . مثال الاول استعارة اسم المعلوم للموجود أو الموجود للمعدوم . أما الأول فعند ما لا يحصل من ذلك الموجود فائدة مطلوبة فيكون ذلك الموجود مشاركا للمعدوم في عدم الفائدة لكن المعدوم بذلك أولى فيستعار لذلك الموجود اسم المعدوم . وأما الثاني فعند ما تكون الآثار المطلوبة من الشيء باقية عند عدم الشيء فيكون عند ذلك المعدوم مشاركا للموجود بتلك الفوائد لكن الموجود أولى بذلك فيستعار لذلك المعدوم اسم الموجود . وأما اذا كان التعاند بالتضاد حقيقة كان أوظاهراً فمثاله تشبيه الجهال بالأموات لأن المقصود بالحياة الإدراك والعقل فإذا عُدما فقد عُدمت الآثار المطلوبة من الحياة فتصير تلك الحياة مساوية

للموت في عدم الفائدة المطلوبة والموت أولى بذلك فتنزل الحياة منزلة • ثم الضدان
إذا كانا متقابلين الأشد والأضعف ففي أحد الطرفين اسم الأزيد وفي الطرف الآخر اسم
الأقلص • فشرط مساوي التشبيه مثلاً كل من كان أقلّ علماً وأضعف قوة كان أولى
أن يستعار له اسم الميت • ولما كان الإدراك أقدم من الفعل في كونه خاصية للإنسان
لا حرم كان الأقل علماً أولى باسم الميت أو الجمد من الأقل قوة باسم الحياة فلاشرف
علماً أولى بذلك لقوله تعالى «أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ» هذا إذا كانا متقابلين أما إذا
لم يكونا كذلك وهو أن يكونا موجودين يشتركان في وصف معقول إلا أن ذلك الوصف
لأحدهما أولى فيتنزل الناقص منزلة الكامل مثل قولهم فلان لقي الموت إذا كان لقي
شيئاً من الشدائد لأنها مشاركة للموت في الكراهية لكن الموت أولى بها فتنزل تلك
الشدائد منزلة الموت لاشتراكها في المكروهية وعلى هذا قوله تعالى « وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ » (وأما الثالث) فهو أن يستعار للمعقول اسم المحسوس
وهو كاستعارة الحجة للنور الذي هو محسوس بالبصر واستعارة العدل للقسطاس المدرك
بمحاسة العين (وأما الرابع) فهو استعارة اسم المعقول للمحسوس وهو غير جائز إلا
على التأويل الذي نذكره في باب التشبيه إن شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾

وهذه جملة مما احتوى عليه الكتاب العزيز من أقسام الاستعارة وصنوفها نذكرها
مفصلة مبينة على حكم ما تقدم من الأقسام الأربعة إذ الغرض من هذا الكتاب معرفة
ما تضمنه الكتاب العزيز من أنواع البيان وأصناف البديع وفنون البلاغة وعيون
الفصاحة وأجناس التجنيس • أما ما جاء في الكتاب العزيز من استعارة المحسوس للمحسوس
فآيات كثيرة • منها قوله تعالى « وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا » إذ المستعار منه النار والمستعار
له الشيب والجامع بينهما الانبساط ولكنه في النار يقوى • وفي هذه الآية ثلاث فوائد
أخر غير الاستعارة (الفائدة الأولى) أنه سلك في الآية طريق ما أسند فيه الشيء
إلى الشيء وهو شيء آخر لما بينه وبين الأول من التعلق فيرفع ذكر ما أسند إليه

ويؤتى بالذى الفعل له فى المعنى منصوباً بعده مبيناً ان ذلك الاستناد الى ذلك الأول
انما كان من أجل هذا (الفائدة الثانية) بيان ما بينهما من الاتصال كقولهم طاب
زيد نفساً وتصيب عرقاً وأشباههما فيما تجدد الفعل فيه منقولاً عن الشيء الى ما ذلك
الشيء من سببه قائماً نعلم أن الاشتغال للشيب فى المعنى وهو للرأس فى اللفظ كما أن
طاب للنفس وتصيب للعرق وإن أسند الى ما أسند اليه والدليل على أن شرف هذه
الآية بسبب ذلك أننا لو تركنا هذا الطريق وأسندنا الفعل الى الشيب صريحاً فقلنا
اشتعل شيب الرأس أو الشيب فى الرأس لانتفا ذلك الحسن . فان قلت فما السبب فى
ان كان اشتعل اذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل . فنقول السبب
فيه أن يفيد مع لمعان الشيب فى الرأس أنه شمل وشاع وأخذ به من نواحيه وعم بجملته
حق لم يبق من السواد شيء الا القليل فهذه الفائدة لا تحصل اذا قيل اشتعل الشيب
فى الناس لا يوجب اللفظ أكثر من ظهور الشيب فيه . يانه أنك تقول اشتعل النار
فى البيت فلا يفيد أكثر من اصابها جانباً . ومثاله من التنزيل قوله تعالى « وفجرنا
الارض عيونا » فالتفجير للعيون فى المعنى لكنه وقع فى اللفظ على الارض ليفيد
أن الارض بالكلية صارت عيونا (الفائدة الثالثة) تعدية الرأس بالالف واللام
وإفادة معنى الاضافة من غير الاضافة وهو أحد ما أوجب المزية ولو قيل واشتعل
رأس لذهب الحسن . . ومن هذا الباب قوله تعالى « وتركنا بعضهم يمجج فى
بعض » أصل الموج حركة الماء فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة . وقوله
عز وجل « والصبح اذا تنفس » للظهور . . وأما استعارة المحسوس للمحسوس
لشبهه عقلى فكقوله تعالى « اذ أرسنا عابهم الريح العقيم » المستعار له الريح
والمستعار منه المرأة العقيم والجامع بينهما المنع من ظهور النتيجة . ومنه قوله تعالى
« وآية لهم الليل نساخ منه النهار » المستعار له ظهور النهار من ظلمة الليل
والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلده والجامع أمر عقلى وهو ترتيب أحدهما على
الآخر . ومنه قوله تعالى « فجعلناها حصيداً كأن لم تكن بالامس » أصل الحصيد
للنبات والجامع الهلاك وهو أمر عقلى . وقوله « خامدين » أصل الخود للتأمر . ومنه

قوله تعالى « وإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ » وهو أفصح من أن يقال في أصل الكتاب . . وأما استعارة المحسوس للمعقول فكقوله تعالى « بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ » فالنقذف والدمغ مستعاران . ومنه قوله تعالى « ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيُّنَمَا تُقْفُوا إِلَّا يُجِبِلَ مِنَ اللَّهِ وَجِبِلٌ مِنَ النَّاسِ » . ومنه قوله تعالى « فَيَبْذُوه وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ » . ومنه قوله تعالى « وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ » وكل خوض ذمه الله في القرآن فلفظه مستعار من الخوض في الماء . ومنه قوله تعالى « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ » استعارة لبيان عما أوحى إليه لظهور ما في الزجاجة عند اصداعها . ومنه قوله تعالى « أَقْنِ أَقْسَ بِنْيَانِهِ » البنيان مستعار وأصله للحيطان . ومنه قوله تعالى « وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا » الموج مستعار . ومنه قوله تعالى « لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » وكل ما في القرآن من الظلمات والنور مستعار . ومنه قوله تعالى « فَجَعَلْنَاهُمْ نَارًا مَنُورًا » . ومنه قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ » الوادي مستعار وكذلك الهيمن وهو على غاية الافصح . ومنه قوله تعالى « قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » جعل للسموات والأرض قولاً وطاعة . ومنه قوله تعالى « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَقْبِكَ » الآية . . وأما استعارة المعقول للمعقول فنه قوله تعالى « مَنْ بَشَا مِنْ مَرْقَدِنَا » استعار الرقاد للموت وهما أمران معقولان والجامع عدم ظهور الأفعال . ومنه قوله تعالى « وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ » والسكوت والزوال أمران معقولان . . وأما استعارة المعقول للمحسوس فنه قوله تعالى « إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَانًا كَمْ فِي الْجَارِيَةِ » المستعار منه التكبر والمستعار له الماء والجامع الاستعلاء المضر . ومنه قوله تعالى « وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا فَذُكِّرُوا صُرُورًا » والعنوها هنا مستعار . ومنه قوله تعالى « تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ » فافقظ الغيظ مستعار . ومنه قوله تعالى « وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُورَةً » وهو أفصح من مضيئة . ومنه قوله تعالى « حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا » هذا الذي اختاره الإمام نحر الدين ومن قبله من المحققين . . وقال قوم الاستعارة على قسمين . الأول ان يعتمد نفس التشبيه وهو أن يشترك شئان في وصف واحد أحدهما أقص من الآخر فيعطى الناقص اسم مبالغة في تحقيق

ذلك الوصف له كقولك رأيت أسداً وأنت تعنى رجلاً شجاعاً وعنت لناظبية وأنت تعنى امرأة وتجيء الاقسام الاربعة وقد تقدمت • الذئب أن تعتمد لوازمه وهو عند ما تكون جهة الاشتراك وصفاً إنما يثبت بكماله في المستعار منه بواسطة شئ آخر فيثبت ذلك الشئ في المستعار له مبالغة في اثبات المشترك ويسمى استعارة تخيلية كقول لبيد

وغداة ربح قد وزعت وقرّة إذ أصبحت بيد الشمال زمامها
استعار اليد للشمال وليس هناك مشار إليه يمكن أن يجرى اسم اليد عليه كما أجرى الأسد على الرجل لكنه خيل الى نفسه أن الغداة في تصريف الشمال على حكم طبيعتها كالإنسان المتصرف في بعيره وزمامه ومقاداته في يده وتصرف الإنسان إنما يكمل باليد فثبت لها اليد تحقيقاً للغرض وحكم الزمام في الاستعارة للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال • وكذلك قول تأبطشراً نصف سيفاً

إذا هزّه في عظم قرن تهالّت نواجذ أفواه المنايا الضواحك
لما شبه المنايا عند هزه السيف بالمسرور وكما الفرح والسرور إنما يظهر بالضحك الذي تهلل فيه النواجذ لاجرم انته تحقيقاً للوصف المقصود والافايس للمنايا ما ينقل اليه اسم النواجذ • وكذلك له في الحماسة

سقاء الردى سيف إذا سل أو مضت اليه ثنابا الموت من كل مرقد
• • ومن ذلك قوله تعالى « وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة » تحقيق هذا الخلاص عن التشبيه فإن من وضع في نفسه أن كل اسم يستعار فلا بد أن يكون هناك شئ تمكن الإشارة اليه تناوله في حال المجاز كما يتناوله في حال الحقيقة • • وقال ابن الاثير تقسم الاستعارة الى قسمين • الأول يجب استعماله وهو ما كان بينه وبين ما استعير له تشابه وتناسب ولنضرب له أمثلة يستدل بها عليه • فن ذلك قوله تعالى « وآية لهم الليل نساخ منه النهار » وهذا الوصف إنما هو على ما يظهر للعين لا على حقيقة المعنى لان الليل والنهار اسمان يقمان على هذا الجو عند إظلامه وإضاءته بغروب الشمس وطلوعها وليس على الحقيقة شيئين ينساخ أحدهما من الآخر إلا أنهما في رأى العين كأنهما كذلك - والناسخ - يكون في الشئ الملتحم بعضه ببعض فلما كانت

هو ادى الصبح عند طلوعه كالمثحمة باعجاز الليل أجرى عليهما اسم السليخ وكان ذلك
لائقاً فى بابيه وهو أولى من قوله يخرج لأن السليخ أدل على الالتحام المتوهم . من
الايخارج . الثانى ما لا يجب استعماله وسيأتى بيانه . . . وقال قوم الاستعارة على سبعة
أقسام . الأول الاستعارة للمناسبة وهى على أربعة أقسام كما تقدم . الثانى الاستعارة
التخييلية وقد تقدم بيانها . الثالث الاستعارة المجردة . الرابع الاستعارة المرشحة .
الخامس الاستعارة البديعة . السادس الاستعارة القبيحة . السابع الاستعارة فى
الكناية وقد بينا متقدماً بعضها وسنين الباقى إن شاء الله تعالى (الوجه الرابع)
من التقسيم الأول فى اشتقاقها وهى مشتقة من العارية التى حقيقتها فى الاجرام ولهذا
قال ابن الاثير الاستعارة هى أن تريد تشبيه الشئ بالشئ فتدع الافصاح بالتشبيه واظهاره
وتجئ على اسم المشبه به فتعبر به عن اسم المشبه بتجريبه عليه كقولك رأيت رجلاً هو
كالأسد فى شجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً والسين التى
فى الاستعارة ليست سين الالتماس والطلب التى هى فى قولهم استعان اذا طلب المعونة
واستجار اذا طلب الجيرة وانما هى كالتى فى قوله تعالى « فاستجاب لهم ربهم » . وكقول
الشاعر
* فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

(الوجه الخامس) فيما نصح منه الاستعارة وفيما لا نصح . . قال الامام نضر الدين وجاعة
من المحققين إن الاسماء على ثلاثة أقسام . اسماء أعلام . واسماء مشتقة . واسماء أجناس . .
فأما الاسماء الأعلام فلا استعارة فيها لأن المشابهة بين الأصل والفرع معتبرة فى
الاستعارة وهى غير معتبرة فى الأعلام . . وأما الاسماء المشتقة فلا استعارة أيضاً لا تدخلها
دخولاً أولياً وهل تتحقق فى الفعل أم لا . فنقول الفعل شأنه الدلالة على ثبوت المصدر
لشئ فى زمان معين فلا استعارة تقع أولاً فى المصدر بواسطة ذلك فى الفعل فاذا قلت
نطقت الحال وهذا انما يصح لان الحال مشابهة للنطق فى الدلالة على الشئ فلا جرم
استعير النطق لتلك الحالة فلا استعارة أولاً واقعة على المصدر بواسطة فى الفعل فاذا
الاستعارة فى الحقيقة ليست إلا فى المصدر فاذا عرفت ذلك تبين لك أن الاسماء المشتقة
أيضاً كذلك فإن الاسم المشتق هو الذى يدل على ثبوت المشتق منه لشيء مع عدم

الدلالة على زمان ذلك الثبوت فظهر منه أن الاستعارة إنما تقع وقوعاً أولياً في أسماء الاجناس . . . وتأنى في هذا الكلام أن المعنى يستعار أولاً بواسطة استعارة اللفظ وأن الاستعارة تقع في المصدر ثم بواسطة الفعل واستعارة الفعل أما من جهة فاعله كقولك نطقت الحال بكذا ولعبت به الهموم وأما من جهة مفعوله كقول ابن المعتز

مُجِيعَ الْحَقِّ لَنَا فِي إِمَامٍ قَتَلَ الْجُوعَ وَأَحْيَا السَّمْحَ

أو من جهة مفعوله كقول القطامي

نُقْرِئُهُمْ لِهَذِهِ مَيَّاتٍ نَقْدُهَا مَا كَانَ خَاطَ عَلَيْهِمْ كُلُّ زَرٍّ

أو لكليهما كقول الحريري

وَأَقْرِئِ الْمَسَامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ بَيَانًا يَقُودُ الْحُرُونَ الشَّمُوسَا

أو من جهة الفاعل والمفعول كقوله تعالى « يَكَادُ الْبَرْقُ يُخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ » . . . وقال ابن الأثير في جامعہ اعلم أن الاستعارة قد جاءت في الأسماء والصفات والأفعال جميعاً تقول رأيت ليوناً. ولقيت صماً عن الخير. وأضاء الحق. إلا أنه قد استعمل الضرب الثاني الذي ذكرناه وهو قولنا - زيد أسد - في باب الاستعارة وأورده جماعة من العلماء مثل قدامة والجاحظ وأبي هلال العسكري والغامدي وأبي محمد بن سنان الخفاجي في تصنيفاتهم في باب الاستعارة ولم يذكروا أن الأصل فيه أنه تشبيه بليغ فما أعلم هل ذلك لخفاءه عليهم أو أنهم عرفوه ولم يذكروه وهو الأصل المقيس عليه في التشبيه الذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان وقد أوردناه نحن في كتابنا هذا في باب الاستعارة تشبيهاً بالقوم واستثنانا بسنتهم لأنهم السابقون في هذا الفن بالتصنيف إلا أن موضعه باب التشبيه فأعرف ذلك (الوجه السادس) الاستعارة التخيلية وقد تقدم الكلام فيها ونزيد ذلك وضوحاً وهو أن علماء البيان قالوا إن أكثر الآيات التي يتمسك بها أهل التشبيه من هذا فنها قوله تعالى « وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّكِّ مِنَ الرَّحْمَةِ » أثبات الجناح للذل استعارة تخيلية . . . روى أن أبا تمام لما نظم قوله (هو حبيب بن أوس الطائي)

لَا تَسْقِي مَاءَ الْمَلَامِ فَنِي صَبَّ قَدْ اسْتَعْدَبْتُ مَاءَ بَكَائِي

جاءه رجل بقصعة وقال اعطني قليلاً من ماء الملام فقال أبو تمام لا أعطيكه حتى تأتيني

بريشة من - جناح الذل - فأخفم الرجل • ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « سنفرغ لكم أيها الثقلان » • ومنه قوله تعالى « ذرني ومن خلقت وحيداً » • ومنه قوله تعالى « إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح » • ومنه قوله تعالى « واعتصموا بحبل الله جميعاً » وفي القرآن العظيم من ذلك كثير (الوجه السابع) الاستعارة المجردة وهي أن تنظر الى المستعار من غير نظر الى غيره كقوله تعالى « فأذاقها الله لباس الجوع والخوف » وكقول زهير

* لدى أسدٍ شاكي السلاح مقذف *

لو نظر الى المستعار منه لقال - فكساهم الله لباس الجوع - ولقال زهير - لدى أسد وافي الخالب - أو وافي البرائن - (الوجه الثامن) الاستعارة المرشحة وهي أن تنظر الى جانب المستعار فتراعى جانبه وتواليه ما يستدعيه وتضم اليه ما يقتضيه مثل قول كثير

* رمى بسهم ريشه الكحل لم يضر *

وقول النابغة

* وصدر أراح الليل عازب كهم *

المستعار في كل واحد منهما وهو الرمي والازاحة منظور اليه في لفظي - السهم - والعازب - (الوجه التاسع) الاستعارة البديعة البالغة وهي أن تتضمن المبالغة في التشبيه مع الإيجاز وغالب استعارات الكتاب العزيز كذلك وفي أشعار فصحاء العرب منها كثير (الوجه العاشر) الاستعارة القبيحة وليس في الكتاب العزيز منها شيء وأما في أشعار العرب وغيرهم فكثير • • ومن قبيح الاستعارة قول أبي تمام

سبعون ألفاً كآساد الشرى نصبت أعمارهم قبل نضج التين والعنب

وهذا البيت ليس فيه وجه من وجوه الحسن وقد روى في غير هذه الرواية - نصبت جلودهم قبل - وعلى هذه الرواية ليس في البيت استعارة قبيحة فان القتلى أنصبت الشمس جلودهم كما تنضج التين والعنب • • وكذلك قوله

* أيا من رمى قاي بسهم فأدخلا *

أقام - أدخل - مقام أنفذ • وفي رواية - فأقصدا - وفي رواية - فأفندا - فعلى

من روى فأقصدا وأنفذا فهي استعارة حسنة . . ومما يزيد الاستعارة حسناً وهو أصل في هذا الباب أن يجمع بين عدّة من الاستعارات قصداً لالحاق الشكل بالشكل لاتمام التشبيه كقول امرئ القيس في وصف ليل طويل

فقلتُ له لما تَمَطَّى بَصَابِهِ وأردفَ أعجازاً وناءً بَكَاسِكِي

لما جعل لليل صلباً قد تَمَطَّى به بيّن ذلك فجعل له كل كلا قد ناء به فاستوفى جملة أركان الشخص وراعى ما يراه الناظر من جميع جوانبه (الوجه الحادى عشر) الاستعارة بالكناية وبيان ما تنزل به الاستعارة بالكناية منزلة الحقيقة . . أما الاستعارة بالكناية فهي اذا لم يصرح بذكر المستعار بل بذكر بعض لوازمه تنبيهاً به عليه كقول أبى ذؤيب واذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع

فكأنه حاول استعارة السبع للعنية لكنه لم يصرح بها بل بذكر لوازمها تنبيهاً بها على المقصود (الثانى عشر) ما تنزل به الاستعارة منزلة الحقيقة وهو أن يذكر لفظاً يوهم به أن الاستعارة أصلاً كقول أبى تمام

ويصعدُ حتى يظنّ الجهو لُ بأنّ له حاجةً في السماء

لما استعار العلوّ لزيادة العلوّ في الفضل والقدر ذكره ذكر من يذكر علو مكان . . وكقول ابن العميد

قامتُ تَظْلِلَانِي من الشمس نفسٌ أعزُّ على من نفسى

قامتُ تَظْلِلَانِي ومن عجب شمسٌ تَظْلِلَانِي من الشمس

ومدار هذا النوع على التعجب وقد يجيى على عكسه كقوله

لا تعجبوا من بلا غلالنه قد زرّ أزراره على القمر

وهذا إنما يتم بالحكم الجدى بكونه قرأ ليكون من شأنه أن يبلى الكتان (الوجه الثالث عشر) شروط الاستعارة الكاملة . . قال ابن الاثير لا بد للاستعارة من ثلاثة أشياء . مستعار . ومستعار منه . ومستعار له . فاللفظ المستعار قد نقل من أصل الى فرع للإبانة والمستعار منه والمستعار له لفظان حمل أحدهما على الآخر فى معنى من المعانى هو حقيقى للمحمول عليه مجازى للمحمول . مثال ذلك قوله تعالى « واشتعل الرأسُ شيباً » فهذا

مستعار ومستعار منه ومستعار له فالمستعار هو الاشتعال وقد نقل من الاصل الذى هو النار الى الفرع الذى هو الشيب قصداً للابانة وأما المستعار منه فهو النار والاشتعال لها حقيقة وأما المستعار له فهو الشيب والاشتعال له مجاز

— القسم الحادى والعشرون —

التشبيه والكلام عليه من وجوه

الاول هل هو من المجاز أو لا . . . الثانى بيان الغرض بالتشبيه . . . الثالث فى حده . . . الرابع فى معرفة الاشياء التى يكون منها التشبيه . . . الخامس فى أقسامه . . . السادس فى ذكر أدوات التشبيه ما يكون بأداة وما يكون بغير أداة . . . السابع فى تشبيه الشئين بالشئ الواحد . . . الثامن فى ذكر ما حسن به موقع التشبيه . . . التاسع فى الشرط الذى لا يكون التشبيه حسناً الا به . . . العاشر فيما يجوز عكسه من التشبيه وما لا يجوز . . . الحادى عشر التشبيه فى الهيئات التى تقع عليها الحركات . . . الثانى عشر الفرق بين الاستعارة والتشبيه (أما الاول) فالذى عليه مُجْهَرُ أَهْل هذه الصناعة أن التشبيه من أنواع المجاز وتصانيفهم كلها تصرح بذلك وتشير اليه . . . وذهب المحققون من متأخري علماء هذه الصناعة ومُحْدَاقِهَا الى أن التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعانى وله حروف وألفاظ تدل عليه وضماً كان الكلام حقيقة أو مجازاً فاذا قامت زيدا كالأسد . . . وهذا الخبر كالشمس فى الشهرة . . . وله رأى كالسيف فى المضاء . . . لم يكن . . . مثل نقل اللفظ عن موضوعه فلا يكون مجازاً (وأما الثانى) فالغرض بالتشبيه وفائدته الكشف عن المعنى المقصود مع ما يكتسب من فضيلة الایجاز والاختصار والدليل على ذلك قولنا - زيد أسد - فان الغرض بهذا القول أن نبين حال زيد وأنه متصف بشهامة النفس وقوة البطش والشجاعة وغير ذلك مما جرى هذا المجرى إلا إنا لم نجد شيئاً يدل عليه سوى جعلناه شبيهاً بالأسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به مقصورة عليه فصار ما قصدناه من هذا القول أن تكشف

وأين من أن لو قلنا زيد شجاع قوى البطش جرى الجنان وأشباه ذلك لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به فانه معروف بها مشهور بكونها فيه (وأما الثالث) فقد اختلفت عبارات أهل هذا الشأن في حد فقال قوم حده أن يثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به . . وقال قوم حده الدلالة على اشتراك شيئين في معنى من المعاني وأن أحدهما يسد مسد الآخر وينوبُ منابه سواء كان ذلك حقيقة أو مجازاً أما الحقيقة فهو أن يقال في شيئين أحدهما يشبه الآخر في بعض أوصافه كقولنا زيد أسد فهذا القول صواب من حيث العرف وداخل في باب المبالغة الا أنه لم يكن زيد أسد على الحقيقة (وأما الرابع) فقال المحققون من علماء هذا الشأن الاشياء التي يكون منها التشبيه لا يخلو إما أن تكون صفة حقيقية أو حالة اضافية . فأما الأول فلا يخلو إما أن يكون كيفية جثمانية أو نفسانية والأول لا يخلو إما أن تكون صفة محسوسة أو لا تكون محسوسة فان كانت محسوسة فاما أن تكون محسوسة أولاً أو ثانياً والمحسوسات الاول هي مدركات السمع . والبصر . والشم . والذوق . واللمس . فالاشتراك في الكيفية المبصرة مثل تشبيه الورد بالحد لا شترا كهما وكذلك تشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل . والاشتراك في كيفية مسموعة كتشبيه أطيظ الرحل بأصوات الفراريح في قول الشاعر

كأن أصوات من ايغالهن بنا أواخر الميس أصوات الفراريح

التقدير - كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريح من ايغالهن بنا - فصل بين المضاف والمضاف اليه . والاشتراك في كيفية مذوقة كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر . والاشتراك في كيفية مشمومة كتشبيه بعض الرياحين برائحة الكافور والمسك والاشتراك في كيفية ملموسة كتشبيه لين ناعم بالخز والحريز والخشن بالمسح من الشعر هذا اذا كان فيه الاشتراك محسوساً أولاً . أما اذا كان محسوساً ثانياً . فالمحسوسات الثانية هي الاشكال . والمقادير . والحركات . والاشكال إما مستقيمة أو مستديرة فالتشبيه لأجل الاشتراك في الاستقامة مثل تشبيه المستوى المنتصب بالرمح والقذ بالقضيب والفصن . وان كان الاشتراك في الاستدارة فكتشبيه الشيء المستدير بالكرة تارة وبالحلقة أخرى . وان كان الاشتراك في المقادير فكتشبيه عظيم الجثة بالجبل والفيل

وان كان في الحركة مع اعتدال الاستقامة فكتشبيبه الناهب على الاستقامة بنفوذ السهم
وأما اذا كان الاشتراك في كيفية جثمانية غير محسوسة فهو كالاشتراك في الصلابة .
والرخاوة . وأما اذا كان الاشتراك في كيفية نفسانية فهو كالاشتراك في الغرائز والاخلاق
مثل الكرم . والحلم . والقدرة . والثلى . والذكر . والفطنة . والنيقظ والمعرفة .
وأما اذا كان الاشتراك في حالة الاضافية لافى كيفية حقيقية فهو مثل قولك بهذه حجة
كالشمس - فاشتراكهما ليس في شيء من الكيفيات الحقيقية ولكن في أمر إضافي
وهو أن كل واحد منهما مزيل للحجاب . . ثم ان هذه الاضافات قد تكون جليلة او قد
تكون خفية وربما يبلغ العجلى في القوة الى أن يقرب من القسم الاول . مثال العجلى
تشبيه الحجة بالشمس . وكذلك قولهم في صفة الكلام ألفاظ كنماء في السلاسة .
وكالتسيم في الرقة . وكالعسل في الحلاوة . يريدون أن اللفظ اذا لم تتنافر حروفه وتنافراً
يثقل على اللسان ولم يكن غريباً حوشياً بل كان مألوفاً ثم ان القلب يرتاح له والنفوس
تنشرح به فاسرعة وصوله الى النفس صار كنماء الذى يسوغ في المحلق وكالتسيم الذى
يسرى في البدن ويتخال المسالك اللطيفة ولأجل اهتزاز^(١) النفس به أشبه العسل الذى
يلذ طعمه ويميل الطبع اليه . . هذا المثال أشد حاجة الى التفسير من تشبيه الحجة بالشمس
ولكنه مع ذلك غير بعيد عن الفهم وأما المتوغل في البعد عن الطبع وشدة الحاجة الى
التأويل فكقول من ذكرنى المهلب هم كالحلقة المفرغة لا ينتهى طرفاها ألا ترى أنه لا يفهم
المقصود من ذلك إلا من له طبع يرتفع عن طبع العامة . . ومن وجوه التشبيه أيضاً التشبيه
بالوجه المعقول وهو عندهم أقوى وأظهر من التشبيه بالمحسوس لأن تشبيه المحسوس
بالمحسوس يمكن أن يكون لأجل الاشتراك في وصف محسوس ويمكن أن يكون لأجل
الاشتراك في وصف معقول ويمكن أن يكون لأجلهما جميعاً . مثال الأول تشبيه الخلد
بالورد . ومثال الثانى قوله عليه الصلاة والسلام أيّاكم وخضراء الدّ من الحسن الظاهر القبيح
الباطن وهو أمر عقلى . وكذلك تشبيه الرجل النبيه بالشمس فان النباهة صفة عقلية
وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام أصحّابى كالنجوم المعنى به أنه يهتدى بهم في أمور الأديان

كما يهتدى بالنجوم في الايام المظلمة فالشبه في أمر عقلي . ومثال الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس . وأما الاقسام الثلاثة أعني تشبيه المعقول بالمعقول والمعقول بالمحسوس والمحسوس بالمعقول فيمتنع أن يكون وجه المشابهة غير عقلي لأن وجه المشابهة لو كان مشتركاً بين الجانين لكان المعقول الموصوف به محسوساً من ذلك الوجه وهو محال فثبت أن التشبيه بالوصف المعقول أعم من التشبيه بالوصف المحسوس وإذا علم هذا وتبين الوجه الذي يكون منه التشبيه تعين ذكر أقسام التشبيه مبنية منزلة على ما قدّمناه (وأما الخامس) فقد أطبق جمهور علماء هذه الصناعة على أن أقسامه أربعة . الاول تشبيه محسوس بمحسوس . الثاني تشبيه معقول بمعقول . الثالث أن يكون المشبه معقولا والمشبه به محسوساً . الرابع أن يكون المشبه محسوساً والمشبه به معقولا . وقد زاد ابن الاثير قسماً خامساً وسماه غلبة الفروع على الاصول وسيأتي بيانه . . أما الأول وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس فكقوله تعالى « والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم » وقوله تعالى « كأنهم أعجاز نخل خاوية » ومن شرط هذا النوع أن يكون المشبه والمشبه به مشتركين من وجه مختلفين من وجه ولا يخلو إما أن يكون اشتراكهما في الذات واختلافهما في الصفات وأما أن يكون بالعكس . فالاول مثل تشبيه العدو بالطيران لانه ليس الاختلاف بينهما الا بالسرعة وبالبطء . والثاني كتشبيه الشعر بالليل والوجه بالنهار . . وأما القسم الثاني وهو تشبيه المعقول بالمعقول فهو كتشبيه الموجود العاري عن الفوائد بالمعدوم أو تشبيه الشيء الذي تبقى فوائده بعد عدمه بالموجود . ومنه قول الشاعر

فرحت وأمالى كحظي كواسف وعزى يحاكي سعيه في المكارم

. . وأما القسم الثالث الذي هو تشبيه المعقول بالمحسوس فهو كقوله تعالى « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة » . وقوله « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل الصنكوت اتخذت بيوتا » . وقوله تعالى « مثل الذين كفروا ببرهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف » وأيضاً مثل تشبيه الحجة بالشمس وبالنور الذي هو محسوس بالبصر وليس لأحد أن يقول الحجة أيضاً مسموعة . قلنا المفيد هو المعاني العقلية (٨ - فوائد)

الحاصلة في الذهن ووجه المشابهة أن القلب مع الشبه كالبصر مع الظلمة في أن البصر في الظلمة لا يفيد لصاحبه مكنة السعى ولو سعى فربما دُفع إلى الهلاك فتردّى في أهوية ومن الأمثلة تشبيه العدل بالقسطاس . . . وأما القسم الرابع وهو تشبيه المحسوس بالمعقول فهو غير جائز لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية إليها ولذلك قيل من فقد حساً فقد علماً وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيبه به يكون جعلاً للفرع أصلاً وللأصل فرعاً وهو غير جائز وكذلك لو حاول محاول المبالغة في وصف الشمس بالظهور أو المسك بالطيب فقال الشمس في الظهور كالحبة والمسك في الطيب كخلق فلان كان سُخفاً من القول مع أنه قد ورد في الكلام الفصيح وأشعار العرب والمتأخرين منه ما لا يحصى . فمن ذلك قول بعضهم

وكانَ النجومَ بينَ دُجَاهَا سُننٌ لَاحَ يَبنهنَّ ابتدَاعُ

.. وكقول بعضهم

ولقد ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامُ كَانَهُ يَوْمَ النُّوَى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَمُشِقْ

.. وقول بعضهم

كَأَنَّ آيِبِضَاضَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غِيَمِهِ نَجَاةٌ مِنَ الْبَأْسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِهِ

.. وقول التنوخي

أَمَا تَرَى الْبَرْدَ قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهُ وَعَسَاكِرُ الْحَرِّ كَيْفَ اصْصَاعُ مُنْطَلِقَا
فَاتَهَضَ بِنَارٍ إِلَى خَمٍّ كَأَنَّهُمَا فِي الْعَيْنِ ظُلُمٌ وَأَنْصَافٌ قَدْ انْفَقَا
جَاءَتْ وَنَحْنُ كَقَلْبِ الصَّبِّ حِينَ سَلَا بَرْدًا فَصَرْنَا كَقَلْبِ الصَّبِّ إِذْ عَشَقَا

.. وقال آخر

رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ أَمَلِي فَيَسْكُ وَمَدْرُحْتُ عَنْكَ بِالْحَرِّ مَانِي

.. وقول صاحب حين أهدى العطر إلى القاضي أبي الحسن

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي نَفْسِي لَهُ فِي قُرْبِ عَهْدٍ لِقَائِهِ مُشْتَاقَةٌ
أَهْدَيْتُ عِطْرًا مِثْلَ طِيبِ ثَنَائِهِ فَكَأَنَّمَا أَهْدَيْتُ لَهُ أَخْلَاقَهُ

ومثل هذا في أشعارهم كثير لا يحصى والذي يجمع بين هذا وبين الفوائد العقلية أن

هذه الاشياء المعقولة لتقررها في الذهن وتخيّلها في العقل صارت بمنزلة المحسوسات فلما نزلت منزلة المحسوسات صح التشبيه وقويت وصار المعقول للمبالغة أثبت في النفس وأقوى من المحسوس فصار لذلك أصلاً يشبه به . ومن هذا قوله تعالى « طَلَمَهَا كَأَنَّهُ رَؤُسُ الشَّيَاطِينِ » ولهذا قال امرؤ القيس يُشبهه نصول الرماح
* ومستوننة زُرُقٍ كَأَنِّيَابٍ أَغْوَالِ *

فاتهم وان كانوا لم يُشاهدوا الغول وأنيابها لكنهم لما اعتقدوا فيها أى في أنيابها غاية الحدة حسن التشبيه والصحيح أن المحسوس أعرف من التشبيه بالوصف المعقول لثلاثة أوجه . الأول أن أكثر الغرض من التشبيه التخيل الذي يقوم مقام التصديق في الترهيب والترغيب والخيال أقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الأمور الإضافية . الثاني أن الاشتراك في نفس الصفة أسبق من الاشتراك في مقتضاها . الثالث أن المشابهة في الصفة قد تباع إلى حيث يتوهم أن أحدها الآخر . وأما المشابهة في مقتضى الصفة لا تباع إلى هذا الحد لأن من المستحيل أن لا يجد العاقل فصلاً بين ما يقتضيه ذوق العسل في نفس الذائق وبين ما يحصل بالكلام المقبول في نفس السامع . . . وأما القسم الخامس فقال ابن الأثير ومن أقسام التشبيه قسم يقال له غلبة الفروع على الأصول وهو ضرب من الكلام ظريف لا يكاد يوجد منه شيء إلا والغرض به المبالغة . . . فما جاء من ذلك قول ذي الرثمة

وَرَمَلٍ كَأَوْرَاكِ الْعَدَا رَأَى قِطْعَتُهُ إِذَا أَلْبَسْتُهُ الْمَظْلِمَاتِ الْعُنَادِرِ

.. ومثل ذلك قول بعضهم

فِي طَاعَةِ الْبَدْرِ شَيْءٌ مِنْ مَلَا حَتَهَا وَفِي الْقَضِيبِ نَصِيبٌ مِنْ تَنِيهَا

والغرض بهذا النوع المبالغة في وصف المشبه به كأن هذا المعنى ثبت له وصار أصلاً (وأما السادس) في أدوات التشبيه فأدواته أسماء وأفعال وحروف . أما الأسماء فمثل بسكون التاء وتحريكها وشبه بسكون الباء وتحريكها وأشياء ذلك . وأما الأفعال كحسبت وخلت ومحسب ويخال ونظائرهما . وأما الحروف فالكاف مفردة وإذا أضيف إليها ما يجري مجرى ذلك وقد نطق بذلك كله الكتاب العزيز والسنة . أما الأسماء فقال الله تعالى

« مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً » • وقال تعالى « مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرر » • وقال تعالى « مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع » • وقال تعالى « فأتوا بسورة من مثله » • وقال تعالى « فجزاها مثل ما قتل من النعم » • وقال تعالى « وأوتوا به متشابهاً » • وقال تعالى « إن البقر تشابه علينا » وفي الحديث الصحيح « فن أين يكون الشبه والشبه » • وأما الأفعال فكقوله تعالى « يحسبه الظمان ماء » • وقال تعالى « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » • وأما الحروف فكقوله تعالى « كالذي ينفق ماله رياء الناس » • وقوله تعالى « كرماد اشتدت به الريح » • وقوله تعالى « كدأب آل فرعون » • وأما - كأن - فكقوله تعالى « كأنه رؤس الشياطين » وفي القرآن من هذا كثير • وأما في كلام العرب الفصحاء منهم وأشعارهم فشئ كثير أضربنا عن ذكره لكثرة وشهرته • • وقال ابن الأثير وقد وقع في القرآن العزيز التشبيه بغير أداة في مواضع كثيرة • منها قوله تعالى « صمكم عمى فهم لا يرجعون » • وقوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » وهو أبلغ في التشبيه • • قال جمهور علماء هذا الشأن التشبيه يكون بأداة تارة وتارة بغير أداة لكن إذا كان بغير أداة كان أبلغ وأوجز لان قولنا - زيد أسد - يعطى ظاهره من المعنى أنا أخبرنا عن زيد انه أسد وذكرنا أنه هو الا أن حرف التشبيه في ذلك مقدر وإذا قلنا - زيد كأنه أسد - فيكون قد أظهرنا فيه حرف التشبيه الذي كان مخفياً في الاول فيصير حينئذ تشبيهاً لزيد بالأسد والاول كان قد جعل هو الأسد وحرف التشبيه يقدر فيه تقديرأ فمن هذا الوجه كان الأول أبلغ وأشد وقمافي النفس • وأما كونه أوجز فلأن قولنا - زيد أسد - أخص من قولنا - زيد كأنه الأسد - وان كان المعنيان سواء (وأما السابع) في تشبيه الشئين بالشئ الواحد اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان قالوا أصل التشبيه أن يشبه شيئاً بشئ وقد يشبه الشئين بالشئ الواحد وانما جاز ذلك لان المشبه قد يأخذ صفة من صفات نفسه وصفة غيره ثم يشبههما بشئ آخر كقول الشاعر

صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي

وقد وقع تشبيه الشئين بالشئ الواحد وانما جاز ذلك لانه لا يخلو الشئان في تشبيه أحدهما

بالآخر من ثلاثة أقسام • اما تشبيه معنى بمعنى • واما تشبيه معنى بصورة • واما تشبيه صورة بصورة وكل واحد من هذه الاقسام الثلاثة لا يخلو من ثلاثة أقسام • إما تشبيه مفرد بمفرد • واما تشبيه مركب بمركب • واما تشبيه مفرد بمركب • فأما تشبيه المفرد بالمفرد فكقول البحري

بسم وقطوب في ندى ووغى كالغيث والبرق تحت العارض البرد
• ومنه قوله تعالى « وآتاهم نورا الذي آتينا آياتنا فانسأخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الفاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فثله كمثل الكلب • الآية • واما تشبيه المركب بالمركب فقوله تعالى « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما تأكل الناس والانعام » الى قوله « كأن لم تكن بالأمس » الآية • فشبه حال الدنيا في سرعة زوالها وانقراض نعمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض وذلك تشبيه معنى بصورة وهو أبداع ما يجي في هذا القسم • ومثله في حق المنافقين « مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون » تقديره أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله واتق ما يخاف وأمن فيما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى مظلما خائفا متحيرا وكذلك المنافق اذا أظهر كلمة الايمان استنار بها واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فاذا مات عاد الى الخوف وبقي في العذاب والنقمة • ويجوز أن يكون المعنى أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى - عقب ذلك بهذا التمثيل مثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد - والضلالة - التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ثم قال الله - صم بكم عمى - كانت حواسهم سليمة لكن لما سدوا مسامعهم عن الإصاغة الى الحق وأبوا أن ينطقوا به بالسنتهم وأن ينظروا ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما أصابت هذه الحواس منهم الآفات وهذا من عجائب التشبيه وطريقته عند علماء البيان طريقة قولهم - ليوث - للشجمان - بحور - للكرام • • وبعض علماء هذه الصناعة يجعلون ما كان على مثال قوله تعالى « صم بكم عمى » استعارة وليس كذلك لأن المستعار مذكور

.. ومن هذا القسم قول الشاعر
بكيتُ عليه حين لم يبلغ المنى ولم يرو من ماء الحياة المكدرة

ومنه قول المتنبي

«كأن الجفون على مُقلتي ثياب شققن على ناكل

.. وأما تشبيه المفرد بالمركب فن ذلك قول بعضهم

«كأن السهمي إنسان عين غريقة من الدمع بيد وكما ذرفت ذرفاً

(وأما الثامن) في ذكر ما يحسن به موقع التشبيه .. قال أئمة هذا الشأن ان كثرة التقييدات يعظم بها حسن موقع التشبيه وتكون أدخل في التشبيه من غيرها لأنها عقلية . مثال ذلك قوله تعالى « انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء » الى قوله « كأن لم تغن بالأمس » وهذه فيها عشر جل قيد بعضها ببعض حتى صارت جملة واحدة وهي مع ذلك لا يمتنع أن تكون صور الجمل معناها حاصلًا يمكن أن يشار إليها واحدة واحدة ثم أن التشبيه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض فانك لو حذفته منها جملة واحدة من أي موضع كان أدخل ذلك بالمغزى من التشبيه .. وقد يقع من التشبيه مجمل لا يخل اسقاط بعضها بالتشبيه وهي كل جملة جمعت أغراضاً كثيرة كل واحد منها منفرد بنفسه ولهذا النوع خاصيتان . الأولى أنه لا يجب فيها الترتيب ألا ترى أنك اذا قلت زيد كالأسد بأساً . والبحر جوداً . والسيف مضاء والبدر بهاء - لم يجب عليك أن تحفظ في هذه التشبيهات نظاماً مخصوصاً وهو كقول بعضهم

يا هلالاً يدعى أبوه هلالاً جلّ باريك في الورى وتعالى

أنت بدرٌ حسناً وشمس علواً وحسامٌ حزمًا وبحر نوالا

.. الثانية اذا سقط البعض فانه لا يتغير حال الباقي كقولهم يصفو ويكدر ويحلو ويمرولو تركت ذكر الكدورة والمرارة لو وجدت المعنى في تشبيهك بالماء في الصفاء والعسل في الحلاوة باقياً على حاله . وقد وقع في بعض الاشعار ما يظن أن فيه تشبيهات مجموعة وليس كذلك ل هو تشبيه واحد وذلك كقول الشاعر

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رَجَوْها أقشمت وثجات
(وأما التاسع) فهو في الشرط الذي لا يكون التشبيه حسناً الا به وهو أن يكون
التشبيه جلياً ويكون بحال يتبادر الذهن اليه والى ادراكه ولا يحتاج الى اطالة فكرة
ولا امعان نظرفان الغرض بالتشبيه بيان حسن موقع التشبيه وظهور زينة المشبه بحسن
حال المشبه به أو قبحه ولذلك هجنوا تشبيه من شبه الشمس بالمرآة في كف الأنثى
وكتشبيه البرق بأصبع السارق في قول بعضهم

أرقت أم نمت لَضوءِ بارقٍ مُؤْتلقاً مثلَ الفؤادِ الخافقِ
كأنه لِأصْبَعٍ كَفِ سَارِقٍ

(وأما العاشر) فيما يجوز عكسه من التشبيه ومالا يجوز . فأما الذي لا يجوز عكسه
فكل تشبيه كان الغرض به الخالق الناقص بالزائد مبالغة في اثبات الحكم للناقص فهذا
يتمتع عكسه وهو كما اذا شبهت شيئاً أسود بما هو الاصل في شدة السواد كخافيتي الغراب
والقار امتنع فيه العكس لان تنزيل الزائد منزلة الناقص تصاد المبالغة في الاثبات . وأما
الذي يجوز عكسه فهو الجمع بين شيئين في مطلق الصورة أو الشكل أو اللون فالعكس
مستقيم فيه فهو كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء بل لاجل وقوع
منير في مظلم وحصول بياض في سواد مع كون البياض قليلاً بالاضافة الى السواد
وكذلك تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة والدينار الخارج من السكة كقول ابن المعتز فهذا
حسن مقبول وان عظم التفاوت بينهما لا يكسر لم تضع التشبيه على مجرد النور وانما قصدت
الى مستدير يتلألاً ويأمع ثم خصوص جنس اللون الموجود في المرآة المجلوة والدينار
للتخلص من حمى المسبك يوجد في الشمس فأما مقدار النور بأنه زائد أو ناقص والجرم
عظيم أو صغير فما لم يتعرض له وعلى هذا اخرج قوله تعالى «الله نور السموات والارض
مثل نور كشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري» الآية
فانه سبحانه وتعالى لم يرد بالتشبيه بهذه الزجاجة الموصوفة بهذه الصفة المشاركة بين نوره
وبين نور هذه الزجاجة اذ لا مناسبة بينهما بل كان ذلك من التشبيه الذي ينعكس بل
الذي يتعين عكسه (وأما الحادى عشر) في الهيئات التى تقع عليها الحركات فهي عنده

أرباب هذا العلم على قسمين . أحدهما أن تعرف تغيرها من الاوصاف كالشكل واللون .
 • الثانى أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها . . فن الاول قول ابن المعتز
 والشمس كالمرآة في كفة الأشل

أراد أن يريك مع الاستدارة والاشراق الحركة التى تراها فى للشمس اذا أنعمت
 التأمل ثم ما يحصل فى نورها من أجل تلك الحركة وذلك أن للشمس حركة متصلة
 دائمة ولنورها بسبب ذلك تموج واضطراب ولا يتحصل هذا الشبه إلا بأن تكون
 المرآة فى يد الأشل لان حركته تدوم وتتصل ويكون لها سرعة وبدوام الحركة يتموج
 نور المرآة وتلك حال الشمس لانك ترى شعاعها كأنه يهيم أن ينبسط حتى يفيض من
 جوانبها ثم يبدو له فيرجع من الانبساط الذى تراه الى الانقباض كأنه يجمعه من جوانب
 الدائرة الى الوسط . وقد ملح هذا المعنى ابن سناء الملك فى أبيات هجا فيها الشمس
 قال فيها

لا كانت الشمس فكم أصدأت صفحة خذ كالبحام الصقيل
 وكم صدت بوادى الكرى طيف خيال زارنى من خليل
 تكذب فى الوعد وبرهانه أن سراب القفر منها سليل
 وتحسب النهر حساماً فترتما ع وتحكى فيه قلب الذليل
 وما يشبه التشبيه الاول وان صور فى عين المرآة قول المهلب بن أبى صفرة الوزير
 الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
 كأنها بوثقة أحميت يحول فيها ذهب ذائب

وذلك أن الذهب الذائب يتشكل بشكل البوثقة على النار فانه يتحرك فيها حركة على
 الحد الذى وصفت لك وما فى طبع الذهب من النعومة وفى أجزائه من شدة الاتصال
 والتلاحم . يمنع أن يقع فيها غايان كما فى الماء فيرتفع وسطه ارتفاعاً شديداً وجائته كأنها
 تتحرك بحركة واحدة ويكون فيها ما ذكرناه من الانبساط الى الجوانب ثم انقباض
 ومنها قوله

كان فى غدرانها حواجبا

أراد ما يبدو في صفحة الماء من أشكال كأصاف دوائر صفار ثم إنك تراها تمتد امتداداً ينقص من انحنائها وتحدبها وكأنها تنتقل من التقوس الى الاستواء وذلك أشبه شيء بالحواجب اذا بدت . والثاني ما يكون التشبيه في هيئة الحركة فقط مجردة من كل وصف يقاربها وهناك أيضاً لابد من اخلاط حركات كثيرة في جهات مفترقة مختلفة وكلما كان التقارب أكثر كان التركيب في الهيئة المتحركة أكثر . وقد يقع التشبيه أيضاً بالسكون كقول الاخطل في وصف مصلوب

كأنه عاشق قد مدّ صفحته يوم الوداع الى توديع مرتحل
أو نائم من نعاس فيه لونه مواصل لتطيه من الكسل

فلطفه بسبب ما فيه من التفصيل ولو قال كأنه مقطوع من نعاس واقتصر عليه كان قريب التناول . وقد وقع في القرآن العظيم آيات كثيرة شبه فيها الحركات بالحركات والسكون بالسكون . فن ذلك قوله تعالى « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ » . وقوله « يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ » . وقوله تعالى « يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ » شبه سرعة سير الجبال مع سكون بسرعة سير السحاب مع سكون أيضاً وشبه سرعة وميض البرق بسرعة يد المختطف وشبه حركة التفاف جرم السماء بحركة التفاف جرم الكتاب بعضه على بعض وكذلك السكون . ومنه قوله تعالى « وَاتْرِكِ الْبَحَرَ رَهْواً » - والرهو - الساكن نبيه ذهاب حركة البحر بذهاب حركة الخيل عند سكونها تقول العرب جاء الخيل رهراً أي ساكنة فشبه البحر بها وذلك أنه قام فراقه ساكنين فقال موسى عليه « صلاة » و« سلام » دع البحر ساكناً ماؤه كما أخبر الله سبحانه ونعالى « فَأَوْحِينَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ يُضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحَرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ » . (وأما الثاني عشر) فهو الفرق بين الاستعارة والتشبيه . ذهب جماعة من أهل هذا الشأن الى أن التشبيه والاستعارة شيان وفرق الحدائق وقالوا إن التشبيه حكم إضافي لابد فيه من ذكر مشبه ومشبه به فانك اذا قلت - رأيت أسداً - فهو استعارة لم تذكر شيئاً حتى تشبهه بالأسد ولو كان تشبيهاً لتعين أن تقول زيد أسد أو زيد كالأسد ولم يكن غرضك في قولك زيد أسد إلا المبالغة

في مدح زيد بالشجاعة .. فرق ثان أن التشبيه لا يكون إلا بأداة التشبيه غالباً والاستعارة لا تحتاج الى أداة فالك اذا قلت - لعبت به يد الصبا - لم يكن كقولك - فلان له خلق كالصبا - .. فرق ثالث أن الاستعارة أوجز من التشبيه فانك اذا قلت - زيد أسد - أوجز من قولك - زيد في بسالة الأسد - فثبت على هذا التقدير أن التشبيه أحد غرضي الاستعارة

﴿ فصل ﴾

ومنها التمثيل .. قد أطلق علماء هذه الصناعة اسم التشبيه على كل تمثيل منتزع من أمور مجتمعة بتقييد البعض ببعض وهو قريب من الاستعارة ومنه في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « مَثَلُ الَّذِينَ يُبْغِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتُ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ » . وقوله تعالى « مَثَلُ مَا يُبْغِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » الآية . ومن ذلك قوله تعالى « فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ » . وقوله تعالى « مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا » الآية ومثله في القرآن كثير .. ومن هذا النوع المثل السائر ومعنى السائر أنه كثر استعماله واستعماله على أن الثاني بمعنى الأول لأن ذكرها على تقدير أن يقال في الواقعة المعينة انها بمنزلة من قيل له هذا القول والأمثال كلها حكايات لا تغير وهي أكثر من أن تحصى وقد صنف العلماء فيها كتباً وشرحوا معانيها والخوض في ذكرها يطول وقصدت الاختصار لا الاكثار .. ومن الامثال السائرة في الكتاب العزيز قوله تعالى « ليس لها من دون الله كاشفة » . وقوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّاً السحاب » . وقوله تعالى « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً » .. ومنه في السنة قوله صلى الله عليه وسلم الآن حى الوطيس ورسول الله صلى الله عليه وسلم أول من فاه بهذا المثل ثم صار مثلاً سائراً . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم إياكم وخضراء الدّمن . وفي غرضون كلامه صلى الله عليه وسلم من هذا كثير .. وأما أشعار العرب فقد ورد فيها من ذلك كثير منها ما في البيت مثل واحد ومنها ما في البيت مثلان ومنها

ما فيه ثلاثة ومنها ما فيه أربعة ومنها ما فيه خمسة ومنها ما فيه ستة .. فأما ما فيه
مثل واحد فكقول أبي فراس

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن طلب الحسنة لم يفلح المهر
.. وقول أبي تمام

قلو صورت نفسك لم تردها على ما فيك من كرم الطباع
.. ومما جاء من الشعر فيه مثلان قول بعضهم

الله أنجح ما طابت به والبر خير حقيقة الرجل
في كل قسم منه مثل قائم بنفسه غير مخذج الى صاحبه .. ومنه قول الخطيب
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
.. وقول أبي فراس

ومن لم يؤق الله فهو مضيع ومن لم يعز الله فهو ذليل
.. وقول المتنبي

وكل امرئ يولى الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب
.. وأما ما فيه ثلاثة أمثال فكقول زهير بن أبي سلمى
وفي الحلم إدهان وفي العفو ذلة وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق
.. وأما ما فيه أربعة أمثال فكقول بعض العرب

فالهم فضل وطول العيش منقطع والرزق آت ورزق الله منتظر
.. وأما ما فيه خمسة فكقول الشاعر

خاطر تقذ وارثك تجد واكرم نسذ وانقذ تقذ واصغر تعد الأكر
.. وأما ما فيه ستة فكقول ابن البانة الأندلسي

ته أحقل واستطل أصبر وعز أهن وول أقبل وقل أسمع ومز أطمع
- والمثل - جمعه أمثال وسمى المثل مثلاً لأنه مائل بخاطر الاسان أى شاخص يتأسى
به ويتعظ ويخشى ويرجو والشاخص المتصب وهو من قولهم طلل مائل أى شاخص
وهذا رسمه اللغوى والذي تقدم فى أول الباب حده الصناعي

قسم الثاني والعشرون

من المجاز

الايجاز والاختصار

وهو على قسمين وجيز بلفظه ووجيز بحذف (فأما الوجيز) بلفظه فهو عند أرباب هذه الصناعة أن يكون اللفظ بالتشبيه الى المعنى أقل من القدر المعهود عادة وسبب حسنه أنه يدل على التمكن فى الفصاحة والملاكمة فى البلاغة وحصول ملاذ كثيرة دفعة واحدة واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساوياً لعناه وهو المقدر أو أقل منه وهو المقصور . .
أما المقدر فكماله تعالى . إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون . أمر الله فى أول هذه الآية بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ونهى فى وسطها عن الفحشاء والمنكر والبغى ووعظ فى آخرها وذكر فجمع فى هذه ضروباً من البيان وأنواعاً من الإحسان فذكر العدل والإحسان والفحشاء والمنكر بالاثف واللام التى هى الاستغراق أى استغراق الجنس المحتوى على جميع أنواعه وضروبه وجمع فيها بين الطباق اللفظى والطباق المعنوى أما اللفظى فى قوله - إن الله يأمر وينهى - وأما المعنوى فى قوله - العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى - وقوله - الفحشاء والمنكر والبغى - من الثلاثة الأولى والثلاثة الأولى والثلاثة الأولى من الفعل الحسن والثلاثة الأخيرة من التميمى فطبق بين الحسن والقبیح مطابقة معنوية ثم بين خصوصية ذوى القربى بإعادة الإيضاء عليهم والإيتاء لهم مع أن الأمر بالإحسان قد تناولهم وبدأ بالعدل لأنه فرض وتلاه بالإحسان لأنه مندوب إليه وقد يجب فاحتوت الآية على حسن النسق وعطف الجمل بعضها على بعض فقدم العدل وعطف عليه الإحسان الذى هو جنس عام وخص منه نوعاً خاصاً وهو إيتاء ذى القربى ثم أتى بالأمر مقدماً وعطف عليه النهى بالواو ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات فى العطف بحيث لم يتأخر فى الكلام ما يجب تقديمه ولم يتقدم عليه ما يجب تأخيره ثم ختم ذلك كله بأمر مستحسن ودعا الى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن والقضايا

وأشتات من الاوامر والنواهي والمواعظ والوصايا مالمو بث في اسفار عديدة لما اسفرت
 عن وجوه معانيها ولا احتوت على أصولها ومبانيها - حان من لا يشبه خالقه ذاتاً ولا
 كلاماً ولا إحكاماً ولا أحكاماً. وفي القرآن العظيم من هذا النمط كثير وقد وقع آيات
 كثيرة قلت حروفها وكثرت معانيها وظهرت دلائل الإعجاز فيها مثل قوله تعالى «فأما
 تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء» وقوله تعالى «ومن يطع الله ورسوله
 ويخش الله ويتقه فؤادك هم الفازون» وقوله تعالى «من كفر فعليه كفره»
 وقوله تعالى «قتل الانسان ما أكفره» ومن ذلك في السنة كثير كقوله صلى الله
 عليه وسلم الاعمال بالنيات والمجالس بالامانات. وكقوله الضعيف أمير الركب يعني أنه
 ينبغي متابعتة في السير كما ينبغي متابعة أمير الركب وقد صرح بذلك في قوله صلى الله
 عليه وسلم سيروا سير أضعفكم. ومن ذلك في أشعار العرب وخطبهم كثير وكثرته
 وشهرته أغنت عن ذكره (وأما المقصور) فاما أن يكون من نقصان لفظه عن معناه
 لاحتمال لفظه معان كثيرة أو لا يكون كذلك. الثاني كما في قوله تعالى «خذ العفو
 وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین» وكذلك قوله تعالى «أولئك أهم الامن وهم
 مهتدون» وكقوله تعالى «ولكم في القصاص حياة» وهذا أحسن من قولهم القتل
 أنفي للقتل لوجوه سبعة. الاول أن قولهم القتل أنفي للقتل في ظاهره متناقض لانه جعل
 حقيقة النفي منافية لنفسه وان قيل ان المراد منه ان كل واحد من افراد هذا النوع
 ينفي غيره فهو أيضاً ليس أنفي للقتل قصاصاً بل ادعى له وانما يصح اذا خصص فقيلاً
 القتل قصاصاً أنفي للقتل فيصير كلاماً طويلاً مع أن التقييدات بأسرها حاصلة في الآية.
 الثاني أن القتل قصاصاً لا ينبغي القتل ظلماً من حيث انه قتل بل من حيث أنه قصاص
 وهذه الجملة غير معتبرة في كلامهم. الثالث أن حصول الحياة هو المقصود الاصلى ونفي
 القتل انما يراد لحصول الحياة والتخصيص على الغرض الاصلى أولى من التخصيص على
 غيره. الرابع أن التكرار عيب وهو موجود في كلامهم دون الآية. الخامس أن
 حروف - في القصاص حياة - اثنا عشر وحروف - القتل أنفي للقتل - أربعة عشر.
 السادس أنه ليس في كلامهم كلمة يجمع فيها حرفان متلاصقان متحركان الا في موضع.

واحد بل ليس فيها الاسباب حقيقة متوالية وقد عرف أن ذلك مما ينقص من سلامة الكلام بخلاف الآية . السابع أن الدافع لصدور القتل عن الانسان كراهته لذلك وصارفه القوى عنه حتى انه ربما يعلم أنه لو قُتل قُتلَ ثم لا يرتدع وإنما رادعه القوى هو إما الطمع في الثواب أو الذكر الجليل وإذا كان كذلك فليس أنفى الاسباب للقتل هو القتل بل الانفى لذلك هو الصارف القوى . وقوله تعالى - في القصاص حياة - لم يجعل القصاص مقتضياً للحياة على الاطلاق بل الحياة مذكورة والسبب فيه ان شرعية القصاص تكون رادعة عن الاقدام على القتل غالباً . ثم لتعلم أن في هذا التذكير فائدة أخرى لطيفة وهي أن الانسان اذا علم أنه اذا قُتلَ قُتلَ ارتدع بذلك عن القتل فلم صاحبه فصارت حياة هذا الموهوم قتله في المستقبل مستفادة بالقصاص وصار كأنه قد حي في بقي عمره ولذلك وجب التذكير وامتنع التعريف من جهة أن التعريف يقتضى أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها وليس الأمر كذلك . ومثل هذا التذكير قوله تعالى « وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ » وفائدة التذكير أن الحريص لا بد وأن يكون حياً وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة بل على الحياة المستقبلية ولما لم يكن الحرص متعلقاً بالحياة على الاطلاق بل بالحياة في بعض الاحوال لا جرم جاءت بلفظ التذكير . . . واعلم أن لتذكير في قوله تعالى - في القصاص حياة - فائدة أخرى وهي أن الرجل قد يرتدع بالقصاص حتى لا يقدم على القتل لكن من الجائز أن لا يكون للانسان عدو فيقصد قتله حتى يتمتع خوف القصاص وحينئذ لا تكون حياة ذلك الانسان لأجل الخوف من القصاص ولما دخل الخصوص في هذه القصة وجب أن يقال حياة ولا يقل الحياة وكذلك يقال شفاء ولا يقال الشفاء في قوله تعالى « يُخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ » حيث لم يكن شفاء للجميع . . . ومن بديع هذا النوع أن أبا جعفر المنصور سأل معن بن زيا أيعا أحب اليك دولتنا أودولة بنى أمية فقال ذلك اليك ومناه أن زيادة هذه المحبة وتقصانها بيدك لانها على قدر احساسك . والفرق بين هذا القسم وبين المقدم وهو أن يكون قصان اللفظ لاجل احتمال معاني كثيرة وذلك كاللفظ المشترك أو الذي له مجازات أو حقيقة ومجاز اذا

أريدت معانيه كما في قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » والصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار . وكذلك قوله تعالى « إِنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ » والسجود من الناس وضع الجبهة على الأرض وهو حقيقة شرعية وأيضاً الخشوع وهو حقيقة لغوية ومن غير الناس الإقياد لصنع الله تعالى وهو مجاز . . ومن ذلك قول المتنبي وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

وهذا يحتمل ثلاثة معان . الأول من بات في نعماء المحسود . الثاني من بات في نعماء الحاسد . والثالث من بات في نعماء غير الحاسد والمحسود فيكون ذلك مدحاً للمدحى يبيت في نعمائه وبيانه أن كل أحد يتمكن من تحصيل تلك النعمة بمدح هذا المنعم فيكون حينئذ بمن أعم عليه « وأما الوجيز بالحذف » فالكلام عليه من وجوه . الأول المعنى الذي حسن الحذف من أجله . الثاني في فائدته . الثالث في شرطه . الرابع في أقسامه . الخامس في توابعه . السادس فيما يقبح منه . . أما الأول فإن المعنى الذي حسن الحذف من أجله طاب الإيجاز والاختصار وتحصيل المعنى الكثير في اللفظ القليل . . وأما الثاني ففائدته زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأكثر وكان ذلك أحسن . . وأما الثالث فشرطه أن يكون في اللفظ دلالة على المحذوف وإلا لم يتمكن من معرفته فيكون اللفظ مخملاً بالفهم وتلك الدلالة قد تحصل من أعراب اللفظ وذلك كما إذا كان منصوباً فيعلم أنه لا بد له من ناصب وإذا لم يكن طاهراً لم يكن بُد من أن يكون مقدراً وذلك كقولنا - أهلاً وسهلاً ومرحباً - ومعناه وجدت أهلاً وسألت سهلاً وصادفت رُحباً . ومنه في القرآن كثير كقوله تعالى « الْحَمْدُ لِلَّهِ » على قراءة من قرأ بالنصب . وقوله تعالى « وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ » والتقدير أحمد الحمد أو أقرأ الحمد واحفظوا الأرحام . وقوله تعالى « رِصْفَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ رِصْفَةً » وقوله تعالى « مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ » وفي القرآن منه كثير وفي الكلام الفصيح منه كثير وكثرته تغني عن ذكره . غير أن سيبويه ذكر منه أشياء جعلها حجة في الباب . من ذلك

قول العرب - اللهم ضبعا وذبأ - أى اجعل فيها ضبعا وذبأ . وقول بعضهم حين قيل له لم أفدتم مكانكم فقال - الصبيان بأبى - أى لم الصبيان . ومنه ما قدمناه أولا وهو أهلا وسهلا ومرحبا . وقد تحصل تلك الدلالة بالنظر فى المعنى والعلم بأنه إنما يتم بمحذوف مقدّر وهذا يكون أحسن من الاول لزيادة غموضه كما فى قولهم فلان يحل ويربط ومعناه أنه يحل الأمور ويربطها أى ذو تصرف . وقد عقد بعض علماء هذه الصناعة عقداً فقال اللفظ المحذوف إما أن يكون مفرداً أو مركباً فان كان مفرداً فسيأتى بيانه وان كان مركباً فإما أن يكون كلاماً مفيداً أو لا يكون كذلك فهذه ثلاثة أقسام الاول أن يكون كلاماً مفيداً وهذا أحسن والكلام المفيد المحذوف قد يكون قليلا وهو على وجهين . أحدهما أن يكون المحذوف استفهاماً ويسمى ما يدل عليه استثنافا وهذا إما أن يكون باعادة اسم أو صفة أولا يكون كذلك اما الذى باعادة اسم فكما اذا أعقب اسم من تقدم الحديث عنه كقولنا أحسنت الى زيد زيد أحق باحسانك . وقولنا - زيد أحق باحسانك - جواب عن سؤال كأنه قيل وما وجه الاحسان الى زيد فقيل زيد أحق باحسانك فيكون هذا السؤال محذوفاً . وأما الذى باعادة صفة فكقولنا أحسنت الى زيد صديقك القديم هو أحق بذلك . تقديره وما وجه الاحسان الى زيد فتقول - لانه صديقك القديم - وهذا أحسن من اعادة الاسم لاشتماله على سبب الاحسان . . . وأما الذى ليس كذلك فكقوله تعالى « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » الى قوله « وأولئك هم المفلحون » فقوله - أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون - استئناف وهو جواب اسؤال مقدّر كأنه قيل وما يحصل لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات فقيل انهم على هدى من ربهم وانهم مفلحون وكذلك قوله تعالى « إني آمنتُ برَبِّكم فاسمّونِ قيل ادخل الجنة » فقوله - قيل ادخل الجنة - جواب عن سؤال كأنه قيل وما فعل بهذا فقيل قيل له ادخل الجنة وانما لم يقل قيل له لأن ذلك معلوم . وكذلك قوله تعالى « قل يا قوم اعمأوا على مكانتكم » فان قرئ « فسوف تعلمون » لم يكن فيه استئناف وان قرئ سوف تعلمون كان ذلك كأنه قيل وم يكون اذا عيأنا نحن على مكانتنا وعيأت أنت على مكانتك

فقيل « سوف تعلمون مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ » . وثانيها أن لا يكون المحذوف استفهاماً وذلك كما اذا كان مسيئاً وقد دلّ عليه سببه كقوله تعالى « وما كنت بجانب الغربى » إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين « كأنه قال وما كنت من الشاهدين لما جرى لموسى عليه ولكننا أوحينا اليك وسبب هذا الوحي أنا أنشأنا قرونا الى زمانك فتطاولت عليهم العُمُرُ أى مدة الفترة فَنُسِيَ ما كان جرى فأوحينا اليك فيكون المحذوف هو السبب والمذكور الدال عليه هو سببه . وكذلك قوله تعالى « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا » . . (وأما الرابع فى أقسامه) أما أقسامه فقد تظافرت أقوال أرباب علم البيان على أن المحذوفات على قسمين حسنة وقبيحة . أما القبيحة فهو أن يخل المحذوف بالمعنى أو يحطه عن رتبته وسيأتى بيانه . وأما الحسنة فهى على قسمين . جمل . ومفردات . فأما الجمل فهى على قسمين . موجزة . ومطولة . . فالموجزة مثل قوله تعالى « واللاتى يَدَّسْنَ مِنَ المحيض من نسائك إن ارتبتم فعدنَّهنَّ ثلاثة أشهر واللاتى لم يحضن » تقديره واللاتى لم يحضن فعدنَّهنَّ كذلك . وقد تقدم فى الفصل الذى قبل هذا من نظائره كثير والقرآن العظيم مشحون به . . وأما الجمل المطولة فكقوله تعالى « اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم » الآية . فأعقبه بقوله حكاية عنها « قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلى كتاب كريم » تقديره فأخذ الكتاب فألقاه اليهم فرأته المرأة باقيس وقرأته - وقالت يا أيها الملأ - ومن ذلك قوله تعالى « يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً » فيه محذوف مطول تقديره فلما ولد يحيى ونشأ وترعرع قاننا له - يا يحيى خذ الكتاب بقوة - . . ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام « لن تبرح عابيه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبعنى أفحصيت أمرى » تقديره فلما جاءهم موسى ووجدتهم على تلك الحالة - قال يا هرون - . . ومن ذلك قوله تعالى « فلما رآه مُستقراً عنده قال هذا من فضل ربى » الى قوله « قال نكروا لها عرشها » . . ومن ذلك قوله تعالى « أفن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه » فيه محذوف تقديره أفن شرح الله صدره للاسلام كمن أقسى (١٠ - فوائد)

قلبه وتركه على ظلمة من كفره ودل على المحذوف قوله تعالى «فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ
 عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» وذلك في القرآن العظيم كثير جداً «وأما المفردات» فهي ثلاثة
 أقسام • أسماء • وأفعال • وحروف • أما الأسماء فهي أنواع • الأول حذف الفاعل
 وقد اختلف في حذفه فنص على منع حذفه ابن جني وكثير من النحويين والحق
 جوازه إذا وُجد ما يدل عليه كقوله تعالى «كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ» تقديره إذا بلغت
 الروح التراقي • ومنه قوله تعالى «حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ» تقديره حتى توارت الشمس
 ومن ذلك قوله تعالى «فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ» تقديره فلما جاء الرسول سليمان • الثاني
 حذف المفعول وهو على ثلاثة أقسام • الأول حذفه من كل فعل ليس له مفعول معين
 بل يكون المقصود من الكلام بيان حال الفاعل فقط • ومنه قوله تعالى «هَلْ يَسْتَوِي
 الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» أي هل يستوى ذو العلم ومن لا علم له • وفي مثل
 هذا يتعين أن لا يُعدى الفعل لفظاً ولا تقديرأ ويكون حاله كحال غير المتعدي فان عديته
 تخصه بما تمدته اليه فينقص الغرض • ومن ذلك المحذوف من الأفعال التي لها مفعول
 معين وحذفه لأمر • الأول أن يكون المراد بيان حال الفاعل وأن ذلك دأبه لبيان
 حال المفعول • مثاله قوله تعالى «وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ
 يَسْقُونَ» إلى قوله «فَسَقَى لَهُمَا» فحذف المفعول من أربعة مواضع إذ لو أضافه إلى
 الغنم مثلاً لتوهم أن الإنكار إنما جاء من ذود الغنم لا من مطلق الذود كما تقول مالك
 تمنع أخاك • وكلُّ مَحْلٍ بالمقصود ومثله قول الشاعر

هُمْ خَلَطُونَا بِالنَّفُوسِ وَأَلْجَؤْنَا إِلَى حُجْرَاتٍ أَدْفُتْ وَأُظْلَتِ

أراد أَلْجَؤْنَا وَأُظْلَتْنَا وَأَدْفُتْنَا فحذف فكأنه قد أبهم أمره ولم يقصد شيئاً يقع عليه فلو
 قال أَدْفُتْنَا وَأُظْلَتْنَا لكان الأمر مختصاً بهم وبطل الغرض • الثاني أن يكون المقصود
 ذكره إلا أنك لا تذكره إيهاماً بأك لا تقصد ذكره كقول البحتری

شَجَوُ حُسَّادِهِ وَغِيظَ عُدَاؤُهُ أَنْ يَرَى مُبْصَرُهُ وَيَسْمَعَ وَاعٍ

المعنى أن يرى مبصره محاسنه ويسمع واع أخباره • الثالث أن يحذف لكونه مبيناً
 كقولك - أَصْفَيْتُ إِلَيْكَ - أي أَذْنِي - و - أَغْضَيْتُ عَنْكَ - أي جَفْنِي • وقال

ابن الاثير حذف المفاعيل على قسمين . الاول حذف مفاعيل غاب حذفها على اثباتها كفعول المشيئة والارادة في باب الشرط وباب لو أو كفعول الاقسام . فأما حذف مفعول المشيئة والارادة في باب لو وباب الشرط ففي القرآن العظيم منه كثير . منها قوله تعالى « ولو شاء الله ما اقتتلوا » تقديره ولو شاء الله أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا فحذف مفعول المشيئة لدلالة ما بعده عليه . ومنه قوله تعالى « ولو شاء لهداكم » تقديره ولو شاء الله هدايتكم كلكم لهداكم أجمعين . ومنه قوله تعالى « ولو شاء الله ما فعلوه » ومثله في القرآن كثير . وقد^(١) ومنه قوله تعالى « لو أراد الله أن يتخذ ولدأ » . . وقد ظهر مفعول المشيئة في

قول الشاعر

ولو شئت أن أبكى دماً لبكيتك عليك ولكن ساحة الصبر أوسع
 . . وأما حذف مفعول الافساد . فنه قوله تعالى « إن الله لا يحب المفسدين » .
 وقوله تعالى « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون » .
 وقوله تعالى « يفسدون في الأرض ولا يصلحون » . وقوله تعالى « ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها » وهو كثير . . الثاني ما يحذف لدلالة السياق عليه . فنه قوله تعالى « يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون » تقديره ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله القابض الباسط . وقوله تعالى « وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون » تقديره وما يشعرون أنهم لا أنفسهم يخادعون ونحوه « ونذكر » هاهنا قاعدة ينبنى عليها حكم الفاعل والمفعول وهو أن العرب ينظرون الى مقصود الافادة في هذا الباب ونحوه فان كان المقصود نسبة الفعل الى الفاعل اقتصروا عليه فقالوا - فلان يعطى ويمنع ويصل ويقطع . والله يحيي ويميت - لانه ليس الغرض ذكر المعطى والمنوع والموصول والمقطوع والحيا والمات ولكن الغرض وصف الفاعل بهذه الافعال . فان كان الغرض ذكر المفعول لا غير لم يتعرضوا للفاعل كقوله تعالى

(١) كذا في الأصل . . والظاهر أنه أراد وأما حذف مفعول الارادة في باب

الشرط وباب لو ففي القرآن منه كثير ومنه الخ

« قَتَلَ الْخُرَّاصُونَ » • وقوله تعالى « قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » • وقوله تعالى « كَتَبُوا كُلَّ كَبْتٍ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » • وقوله تعالى « أُولَئِكَ الَّذِينَ أَبْغَاوْا كِتَابَهُ » • وقوله تعالى « لَعِنُوا بِمَا قَالُوا » ليس الغرض من هذا ذكر السكايت ولا القاتل ولا اللاعن ولا المبسل وإنما الغرض نسبة القتل واللاعن والسكايت والابسال الى المذكورين • وان تعلق الغرض بالفاعل والمفعول أتوا بهما كقوله تعالى « خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ » • وقوله « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ » • وقوله « بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ » • وقوله « فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ » • • ومن ذلك حذف ضمائر الموصولات • ومنه قوله تعالى « أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا » تقديره أهذا الذي بعثه الله رسولا • وقوله تعالى « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ » تقديره إنكم وما تعبدونه أو تعبدونهم • وقوله تعالى « وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ » تقديره وما ذرأه • وقوله تعالى « وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ » تقديره خلقه الله • ومنه في القرآن العظيم كثير • • الثالث حذف المضاف تارة والمضاف اليه أخرى وإقامة أحدهما مقام الآخر • • أما حذف المضاف فكقوله تعالى « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا » وكذلك « إِذَا فَتَحْتَ بِأَجُوجُ وَمَأْجُوجُ » أي فتحت سُدُودَهُمْ • وربما نكرت المحذوف كما في قوله « فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ » يريد من أثر حافر فرس الرسول • • ومنه قول الشاعر

إذا قامتا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمُ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرَّ نَفْلِ

• • وأما حذف المضاف اليه فهو أَقْلٌ استعمالاً • ومنه قوله تعالى « اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ مَنْ بَعْدُ » أي من قبل ذلك ومن بعده • • الرابع حذف الصفة تارة وحذف الموصوف أخرى • أما حذف الصفة فكقول النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد • أي لا صلاة تامة أو كاملة • وأما حذف الموصوف فأكثره في النداء والمصدر • • أما النداء ففي قوله تعالى « يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ » تقديره يا أيها الرجل الساحر • وكذلك « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » تقديره يا أيها القوم الذين آمنوا • وقوله تعالى « يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ » تقديره يا أيها القوم المؤمنون • • وأما المصدر فكقوله تعالى

« وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا » وقد ينجي في غير النداء كما في قول البهتري

في أخضر ماس على اصفر يخال في صبغته ورنس

يريد على فرس أصفر .. الخامس حذف الشرط تارة وحذف الجزاء أخرى واقامة أحدهما مقام الآخر .. أما حذف الشرط فكقوله تعالى « يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة » أي فاذا كنتم في أرض لا تتمكنوا فيها من عبادتي فإياي فاعبدون في غيرها . وقوله تعالى « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية » أي فان لم يخلق فعليه فدية .. وأما حذف جزاء الشرط فكقوله تعالى « قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به » معناه ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين . ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى « إن الله لا يهدي القوم الظالمين » .. السادس حذف القسم تارة وجوابه أخرى .. أما حذف القسم فكقوله لا ضربن زيداً . أي والله لا ضربن زيداً . وكقوله تعالى « وإن منكم إلا واريثها » تقديره وإن منكم والله إلا واريثها . ولهذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله لن يرد النار إلا تحلة القسم . ومنه قوله تعالى « لتبلون في أموالكم وأنفسكم » . وقوله تعالى « لتزون الجحيم » وهو في القرآن العظيم كثير .. أما حذف جواب القسم فكقوله تعالى « والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر » معناه وحق هذه لأعذب هؤلاء . يدل على المحذوف قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » . وقوله تعالى « ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيبة » معنى - ق والقرآن المجيد - لتبعن ويدل على ذلك قوله « إذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد » .. السابع حذف جواب - لو - وهو في القرآن كثير . من ذلك قوله تعالى « ولو ترى إذ فرعوا فلا قوت إلا أخذوا من مكان قريب » . تقديره لرأيت أمراً هائلاً ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى « لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » . تقديره لمنعتكم ونحو ذلك . وكذلك قوله تعالى « ولو أن قرآننا سرت به الجبال » . تقديره لكان هذا القرآن .. الثامن حذف جواب - لولا - كقوله تعالى « ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم » . تقديره لما

أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ سِتْرَ هَذِهِ الْفَاحِشَةِ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ » تَقْدِيرُهُ لِعَجَلٍ لَكُمْ الْعَذَابِ . وَيَدُلُّ عَلَى الْمَحْذُوفِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَا تَقَدَّمَهُمَا . . النَّاسِ حَذْفُ جَوَابٍ - لَمَّا - وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَأْتِيهِمُ الْمَجِيبُ نَادِيَةً أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا » تَقْدِيرُهُ كَانَ مَا كَانَ مِنَ اغْتِبَاطِهِمَا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا مِنْ دَفْعِ ذَلِكَ الْبَلَاءِ . . الْعَاشِرُ حَذْفُ جَوَابٍ - أَمَّا - كَقَوْلِهِ تَعَالَى « فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ » تَقْدِيرُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ - أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ - . الْحَادِيَ عَشَرَ حَذْفُ جَوَابٍ - إِذَا - كَقَوْلِهِ تَعَالَى « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ » تَقْدِيرُهُ - وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ - أُعْرَضُوا - وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا أَيْضًا عَنْهَا مُعْرِضِينَ - (قَالَ الْمُصَنَّفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ) هَذِهِ الْأَجُوبَةُ الْمَحْذُوفَةُ بَعْضُهَا يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ فِي بَابِ حَذْفِ الْجُمْلِ وَبَعْضُهَا يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ فِي بَابِ الْأَفْعَالِ لَكِنِ الْأَمَّةُ أوردوها هكذا فأوردناها كما أوردوها والمتأمل اللوذعي لا يخفى عليه ذلك . . الثَّانِي عَشَرَ حَذْفُ الْمَبْتُدَأِ تَارَةً وَالْخَبَرِ أُخْرَى . . أَمَّا حَذْفُ الْمَبْتُدَأِ فَكَقَوْلِ الْمُسْتَهْلِ - الْهَلَالَ وَاللَّهُ - مَعْنَاهُ هَذَا الْهَلَالُ . وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ نِمَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ - الْمِسْكُ وَاللَّهُ - وَكَذَلِكَ مِنْ رَأْيِ شَخْصٍ فَقَالَ - عَبْدُ اللَّهِ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ - أَيُّ هَذَا عَبْدُ اللَّهِ . وَحَذْفُ الْمَبْتُدَأِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ كَثِيرٌ . مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ » تَقْدِيرُهُ فَقَالُوا - هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ - وَمِنْهُ « إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُونٌ » . وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ » . . وَأَمَّا حَذْفُ الْخَبَرِ فَكَقَوْلِ بَعْضِهِمْ - خَرَجْتُ فَإِذَا السَّبْعُ - تَقْدِيرُهُ قَامْتُ أَوْ رَافِضٌ . وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى « وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ » وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ » تَقْدِيرُهُ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ كَذَلِكَ وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى « فَصَبِّرْ نَجِيلٌ » شَاهِدٌ لِلْوَجْهِينِ بِمَجُوزِ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْخَبَرِ وَمِنْ بَابِ حَذْفِ الْمَبْتُدَأِ فَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ حَذْفِ الْمَبْتُدَأِ كَانَ التَّقْدِيرُ فَلَا تُرَى أَوْ فَأَمْرِي صَبْرٌ نَجِيلٌ وَإِنْ جَعَلْتَهُ مِنْ بَابِ حَذْفِ الْخَبَرِ يَكُونُ التَّقْدِيرُ

فصبر جميل أجمل . . . وقد يحذفان جملة وهو قابل . ومنه قوله تعالى « واللّٰثِي يُشْنِ
من المحيض من نسائكُم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللّٰثِي لم يحضن » تقديره
واللّٰثِي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر (وأما الافعال) فحذفها على قسمين . الأول
مادل على حذفه بيان مفعوله كما في قوله تعالى « ناقة الله وسقياها » وكقول النبي
صلى الله عليه وسلم لجابر وقد تزوج - هلا بكرة ألعياها وتلاعبك - أى هلا تزوجت
جارية بكرة . وكذلك قولهم - أهلك والليل - أى أدرك أهلك وبادر الليل . ومنه
في القرآن كثير . الثانى ما لا يدل عليه مفعوله ولكن يعرف بالنظر كقوله تعالى
« وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا » . وقوله تعالى « ولقد جئتمونا فرادى كما
خلقناكم » معناه فقل فقد جئتمونا . وكذلك « ويوم يعرض الذين كفروا على
النار اذهبتم طيباتكم » وكذلك « فأجمعوا أمركم وشركاءكم » والمراد فأجمعوا أمركم
وادعوا شركاءكم . وكذلك قوله تعالى « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب »
أى فاضربوا رقابهم ضربا . وكذلك قوله تعالى « وقال الملك ائتوني به أستخلصه
لنفسى فلما كلمه قال لىك اليوم » تقديره قاتوه به - فلما كلمه - (وأما) حذف
فعل الأمر فله مثال واحد كقوله تعالى « انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة » .
وقوله تعالى « أفغير الله أبنتى حكما » تقديره قل - أفغير الله أبنتى حكما - (وأما
الحروف) أعنى حذف الحروف التى لها معان وليست حروف الهجاء التى تكلم
النحويون على اثباتها وحذفها وابدالها لأنهم أرادوا بذلك تصحيح الألفاظ وردّها
الى أصولها وليس هذا من غرضنا فى هذا الكتاب انما غرضنا الحروف التى يفيد حذفها
واثباتها معنى لم يكن . . . وهى عند علماء البيان على قسمين . مفردة ومركبة (فالمفردة)
مثل - الواو - التى حذفها مع ما فيه من الإيجاز يجعل للكلام بلاغة ويكون فى معناه
أشد وذلك لأن اثباتها يقتضى تغاير المعطوف والمعطوف عليه فاذا محذفت أشعر
ذلك بأن الكل كالشئ الواحد . ومن ذلك قول أنس بن مالك رضى الله عنه - كان
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون لا يتوضئون - اثبات الواو أدل على
عدم الوضوء من قوله - لا يتوضئون - . ومن هذا النوع قوله تعالى « يا أيها الذّٰر

آمنوا لا تتخذوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ » تقديره مولا يألونكم خبالاً وقد بدت البغضاء . وقد ثبت الواو فيما من شأنه أن لا يكون فيه واو فيكون ذلك أيضاً أبلغ وأحسن كما في قوله تعالى « وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلوم » (وأما المركب) فكثير وهو على أقسام . الاول حذف - لا - في قوله تعالى « تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يَوْسُفَ » تقديره لا تفتأ تذكر يوسف أى لا تبرح . ومنه قوله تعالى « وعلى الذين يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ » تقديره وعلى الذين لا يطيقونه على قول بعض المفسرين . ومثله في القرآن العظيم كثير . ومنه قول امرئ القيس

فقلتُ يمينَ اللهِ أبرحُ قاعداً ولو قطعوا رأسى لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
معناه لا أبرح قاعداً . الثاني حذف - لو - وهو في قوله تعالى « ما آتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كلُّ إله بما خلقَ ولَعَلَّا بعضهم على بعضٍ » تقديره لو كان معه آلهة لذهب كل إله بما خلق . وقوله تعالى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون » معناه لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون . ومن هذا النوع قول الشاعر

لو كنتُ من مازنٍ لم تستبحِ ابلى بنو اللقيطة من ذهلٍ بنِ شيبانا
إذا لقامَ بنصرى معشرٌ مُخَشَّنٌ عندَ الحفيظةِ إنْ ذوِ لوثَةٍ لانا

تقديره إذا لو كنت منهم لقام بنصرى

(الحذف التبيح) وسبب قبحه اخلاله بالمعنى . قال ابن الاثير ومن الحذف أيضاً المحل بالمعنى وهو يُطلق على ما يحذف من أصل اللفظ وهو اسقاط بعض حروفه ولا يجوز استعماله في القرآن العظيم ولا في التأليف لـ كنهه يجوز في الشعر لأن العرب قد أوردته في أشعارها واستعماته في كلامها فحذفت بعض الالفاظ استخفاً حذفاً لا يخل بالباقي وتعرّض بالشبهة . فمنها قول علقمة

كأنَّ ابريقهم ظبيُّ على شَرَفٍ مُفدِّمًا بسبا الكتانِ مائِومٌ

فقوله - بسبا الكتان - يريد بسباب الكتان . وكذلك قول لبيد

* دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالَعِ قَابَانَ *

أَرَادَ الْمَنَازِلَ • وَعَلَى نَحْوِ مَنْ هَذَا جَاءَ قَوْلُ أَبِي دُوَادَ

يَذَرِينَ جَنْدَلَ جَابِرٍ بِجَنُوبِهَا فَكَأَنَّمَا تَذَكَّرُ سَنَابِكُهَا الْعُجْبَا

أَرَادَ الْجَبَاحِبَ - وَالْجَبَاحِبَ - طَائِرٌ عَلَى مِثَالِ الْجَنْدَبِ الصَّغِيرِ يُرَى مِنْهُ نُورٌ ضَعِيفٌ لَيْلًا • وَهَذَا وَأَمْثَالُهُ قَلِيلٌ جَدًّا وَإِيَّاكَ أَيُّهَا الْمُؤَلِّفُ أَنْ تَسْتَعْمِلَهُ فِي كَلَامِكَ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا وَقَدْ وَرَدَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِثْلُهُ (قَالَ الْمَصْنَفُ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ) هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ فِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّهُ قَدْ صَحَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٍ مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ أَنَّ هَذِهِ الْحُرُوفَ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ كُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا دَالٌ عَلَى كَلِمَةٍ مُحذَفَةٍ أَكْثَرُهَا وَدَلَّ هَذَا الْمَنْطُوقُ بِهِ عَلَى الْمَحذُوفِ • وَقَالُوا إِنَّ مَعْنَى « الْم » « أَنَا اللَّهُ الْمَلِكُ » وَقَالُوا فِي « كَهَيْعَصَ » أَنَّ السَّكَافَ مِنْ كَافٍ وَالْهَاءُ مِنْ هَادٍ • وَاسْتَنْدَلُوا عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الْعَرَبَ اسْتَفْنَتْ بِذِكْرِ حَرْفٍ مِنَ الْكَلِمَةِ عَنْ ذِكْرِهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهَا وَأَشْعَارِهَا فَفَهِمَتْ الْمُرَادَ مِنْ ذَلِكَ الْحَرْفِ • وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ

جَارِيَةٌ قَدْ وَعَدْتَنِي أَنْ تَأْتِيَنِي تَذَهْنُ رَأْسِي أَوْ تَفْلِي أَوْ تَأْتِي

أَرَادَ أَنْ تَأْتِيَنِي وَتَذَهْنُ رَأْسَهُ وَتَفْلِي أَوْ تَمْسَحَ • وَقَالَ آخَرُ

نَادَوْهُمْ أَنْ تُلْجِمُوا إِلَّا تَأْتِيَنَا قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ إِلَّا قَا

• • وَقَالَ آخَرُ

قَاتُ لَهَا الْأَقْفَى قَالَتْ قَافٌ لَا تَحْسِبْنِي أَنَا نَسِينَا الْأَلْفَ

أَيُّ قَفٍ أَنْتَ • وَمِثْلُ هَذَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ كَثِيرٌ وَإِذَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ كَانَ مِنَ الْكَلَامِ الْفَصِيحِ مَعْدُودًا وَحَسَنًا فِي التَّرْكِيبِ وَكَلِمًا بَعْدَ غُورِ الْكَلِمَةِ وَاسْتَعْجَمَ مَعْنَاهَا كَانَ فَهْمُهُ بِأَوَّلِ وَهَلَةٍ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ الْأَفْهَامِ وَجُودَةِ الْقِرَائِنِ وَسَلَامَةِ الطَّبَاعِ وَحَسَنِ مَوْقِعِ اللَّفْظِ بِهِ

﴿ فَصْل ﴾

وَمِنْ أَنْوَاعِ الْمَحذُوفِ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مَرْكَبًا وَلَكِنْ لَيْسَ بِكَلَامٍ وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ

(١١ - قَوَائِدُ)

تعالى « قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس » تقديره وجعلناه لنجعل له آية للناس فيكون المحذوف ههنا هو السبب والدال عليه هو سببه . . . وقد يكون بعكس هذا كما في قوله تعالى « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » تقديره واذا أردت قراءة القرآن فالمحذوف هنا الارادة وهي سبب القراءة ويجوز أن يكون التقدير واذا قرأت القرآن وحضرك الشيطان فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم

٥ - القسم الثالث والمشرون

(في التقديم والتأخير . والكلام عايه من وجوه ثلاثة)

الاول في ذكر المعنى الذى أتى به من أجله . الثانى فى هل هو من المجاز أم لا . الثالث فى أقسامه (أما الاول) فانهم أتوا به دلالة على تمكنهم فى الفصاحة وملكتهم للكلام وتالعهم به وتصرفهم فيه على حكم ما يختارونه واتقياده لهم لقوة ملكتهم فيه وفى معانيه ثقة بصفاء اذهانهم وغرضهم فيه أن يكون اللفظ وجيزاً بليغاً وله فى النفوس حسن موقع وعدوبة مذاق (وأما الثانى) فقد اختلف أرباب علم البيان فيه . . . فقال قوم هو من المجاز لأن فيه تقديم مارتبه الأخير كأنقول وتأخير مارتبه التقديم كالفاعل والمفعول به فى نقل كل واحد منهما على رتبته وحقه . . . وقال قوم ليس هو من المجاز لأن المجاز نقل مما وضع له الى ما لم يوضع له (وأما الثالث) فقال علماء هذا الشأن أقسامه أربعة . . . وقالوا التقديم والتأخير لا يخلو إما أن يكون موجباً لزيادة فى المعنى أو لا يكون كذلك وإما أن يكون ما قدم الاول به التقديم أو الاول به التأخير أو يتكافأ الامر ان فيه . . . أما الاول فهو ما يلزم فيه زيادة معنى فلا يخلو إما أن يكون المقصود بتقديمه زيادة المعنى خاصة كقوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فإن المقصود بتقديم - إياك - تعظيم الله سبحانه وتعالى والاهتمام بذكره مع افادة اختصاص العبادة والاستعانة بالله تعالى ليصير الكلام حسناً متناسقاً ولو قال نعبدك ونستعينك لم يكن الكلام متناسباً . . . وكذلك

قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » فان هذا مع افادته ان نظرها لا يكون الا الى الله تعالى يفيد في جودة انتظام الكلام . وكذلك قوله تعالى « وألفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق » . وأما ما يراد بتقديمه زيادة المعنى فقط . فانه تقديم المفعول في قوله تعالى « قل أفقر الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون » . وكذلك « بل الله قاعبد » وكن من الشاكرين » فان المراد هاهنا بتقديم المفعول لتخصيصه بالعبادة ولو أخره ما أفاد ذلك فانه لو قيل ضربت زيدا لم يشعر ذلك باختصاص زيد بالضرب ولا كذلك لو قيل زيد أضربت . ومنه تقديم الخبر على المبتدأ كما في قوله تعالى « وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله » ولو قال وظنوا أن حصونهم من الله مانعهم لما أشعر بزيادة وثوقهم بمنعها إياهم . وكذلك « أراغب أنت عن آلهي يا ابراهيم » ولو قال أنت راغب عنها ما أفاد زيادة الانكار على ابراهيم بالرغبة عنها . وكذلك « واقترب الوعد الحق » فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا » ولم يقل فإذا أبصار الذين كفروا شاخصة وكان يستغنى عن الضمير لأن هذا لا يفيد اختصاص الذين كفروا بالشخص ولا اختصاص الذين كفروا بالضمير . وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في البحر - هو الطهور وماؤه الحل ميتته - . وكذا تقديم الظرف في الهيئات كقوله تعالى « إن الينا إياهم ثم إن عاينا حسابهم » . . . وتقديم الجار والمجرور كقوله تعالى « له الملك وله الحمد » فان هذا يفيد اختصاص ذلك بالله تعالى . . . وأما اذا كان الظرف في النفي فان تقديمه يفيد تفضيل المنفي عنه كما في قوله تعالى « لا فيها غول » ولا هم عنها ينزفون » أى ليس في خر الجنة ما في خر غيرها من الغول . وأما تأخيرها فانهما يفيد النفي فقط كما في قوله تعالى « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » وكذلك اذا قلت لا عيب في الدار كان معناه نفي العيب عن الدار واذا قلت لا في الدار عيب كان معناه انها تفضل على غيرها بعدم العيب . . . وأما الثاني فهو مالا يلزم تقديمه زيادة في المعنى ومع ذلك يكون تقديمه أحسن وهذا انما يكون كذلك لامر يتعاقب بالمتقدم والمتأخر أو لأمر خارج عنهما . والذي لأمر يتعلق بهما اما أن يكون ذلك بالنسبة الى شئ خارج عنهما أولا يكون كذلك . فالاول كما اذا كان التقدم أدل على قدرة الخالق من التأخر كقوله تعالى « فمنهم من

يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع . والثاني
 اما ان يكون المتقدم تأثير في وجود المتأخر أو لا يكون كذلك ^(١) . والثاني كما اذا كان
 المتقدم أكثر وجوباً كما في قوله تعالى « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
 بالخيرات باذن الله » والاول اما أن يكون المتقدم في الوجود المتأخر بالذات أو بالعرض .
 أما الذي بالذات فكما في قوله تعالى « وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً لنحيي به بلدة ميتة
 ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناساً كثيراً » فانه قدم الانعام لان صلاح حالها سبب لصلاح
 حال الناس . وأما الذي بالعرض فكما في قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » فانه
 قدم العبادة لانها وسيلة الى تحصيل الاستعانة . وأما الذي يكون كذلك لأمر خارج
 عن المتقدم والمتأخر فاما أن يكون ذلك لأجل كلام تقدم أو لا يكون كذلك . والذي
 لأجل الكلام المتقدم إما أن يكون لتعلق المذكور أولاً به أو لتعلقه هو بالمذكور أولاً
 . والاول كما في قوله تعالى « وما يعزبُ عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا
 في السماء » فانه قدم الأرض - لأن هذا بعد قوله تعالى « ولا تعملون من عمل إلا
 كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه » وهذا الخطاب لأهل الأرض وعملهم يكون في
 الأرض . والثاني إما أن يكون ذلك لما يتعلق بمعنى الكلام الاول أو بلفظه . والمتعلق
 بمعنى كما في قوله تعالى « فمنهم شقي وسعيد » فانه قدم الشقي لان المراد بهذا وما قبله
 التخويف . والمتعلق بلفظه كما في قوله تعالى « فأما الذين شقوا ففي النار » ثم قال
 « وأما الذين سعدوا ففي الجنة » فان تقديم حال الاشقياء هاهنا لأجل تقديمه أولاً
 الشقي . والذي يكون كذلك لا لأجل المتقدم اما أن يكون لأجل حال في الكلام نفسه
 أو لا يكون كذلك . والثاني كما في قوله تعالى « يَهَبُ لمن يشاء إِنَّانا وَيَهَبُ لمن يشاء
 الذُّكُورَ » فان تقديم الاناث هنا انما كان لأن المقصود بيان أن الخلق كله بمشيئته
 سبحانه وتعالى لا على وفق العباد . والاول كما اذا كان يتم بذلك السجع وذلك كما في
 هذه الآية وكما في قوله تعالى « خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه » ولو قال ثم صلوه
 الجحيم لأفاد المعنى ولكن كان يفوت السجع فلذلك كان الاحسن تقديم الجحيم . وقيل

ان هذه الصورة تفيد أيضاً الاختصاص كما في القسم الاول . . قال الامام نجر الدين وهو الذي يظهر لي وان منعه الآخرون فهذه أسباب عشرة . وقد يجتمع في شيء واحد عدة منها فيكون تقديمه أولى واذا تعارضت أسباب روى أقواها وان تساوت كان المتكلم بالخيار في تقديم أى الامرين معاً . وأما الثالث فهو الذى لا يلزم تقديمه زيادة في المعنى ويكون الاحسن تأخيرها فاذا قدّم كان ذلك مفاضلة معنوية وذلك كتقديم الصفة على الموصوف والعلّة على المعلول ونحو ذلك . وهذا لا يمكن وروده في القرآن لركننه وسماجنه . مثاله قول الفرزدق

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حتى أبوه يُقاربه
معناه وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه . وقال أيضاً
الى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تُصاهره
معناه الى ملك أبوه ما أمه من محارب أى ما أم أبيه منهم . وقال أيضاً
ولست خراسان الذى كان خالد بها أسد اذ كان سيفاً أميرها

معناه ليست خراسان بالبلدة التى كان خالد بها سيفاً اذ كان أسد أميرها . والغرض مدح خالد وذم أسد المتولى بعده « وأما الرابع » فهو ما يتكافأ تقديمه وتأخيرها وهذا كالحال فانه يقدم كقولك - جاء راكباً زيد - ويؤخر كقولك - جاء زيد راكباً - وهما سواء . وكذلك المستثنى كقولنا - ما قام إلا زيداً أحد . وما قام أحد إلا زيداً - . وقد وقع في الكتاب العزيز آيات فيها تقديم وتأخير جارية على نمط ما تقدّم . من ذلك قوله تعالى « حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » . وقوله تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر » على قول من قال إن الذكر هاهنا القرآن . . وقال بعض العلماء في قوله تعالى « ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » أن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره ولقد هممت به ولولا أن رأى برهان ربه هم بها وهذا حسن لكن في تأويله قلق ولا يضطر الى هذا التأويل إلا على قول من قال ان الانبياء معصومون من الكبائر والصغائر . وأما على قول من قال ان الصغائر يجوز وقوعها منهم . فلا يضطر الى هذا التقديم والتأخير . . ومنه أيضاً قوله تعالى « اقتربت »

الساعة والشق القمر . وقوله تعالى « فجعله غداً أحوى » والتقدير فجعله أحوى غداً . ومنه قول الشاعر

طاف الخيال وأين منك لما
فارجع لزورك بالسلام سلاما

تقديره طاف الخيال لما وأين منك . . وقال الفرزدق

نفاقها من لم تنله سيوفنا
بأسيافنا هام الملوك القمام

تقديره نفاق بأسيافنا هام الملوك القمام ومن لم تنله سيوفنا -وها- لتنبيهه تقديره تنبهوا لهذا المعنى . وانما دعاه الى التقديم والتأخير ايقاع الابس على السامع وجعله من باب الانجاز

القسم الرابع والعشرون

في الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظة واحدة

والجمع بينهما عندهم رآه مجازاً لانه استعمال اللفظ في غير ما وضع له فانه وضع للحقيقة وحدها ثم استعمل فيها وفي المجاز . وله أمثلة

أحدها في قوله تعالى « أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » - ولعنة الله - ابعاد - ولعنة الملائكة والناس - دعاؤهم بالابعاد وقد جمعها في لفظة واحدة ومن لا يرى ذلك يقدر أولئك عليهم لعنة الله ولعنة الملائكة فيكون من مجاز الحذف . والثاني منه قوله تعالى « ان الله وملائكته يصلون على النبي » - الصلاة - حقيقة في الدعاء مجاز في اجابة الدعاء لار الاجابة مسببة عن الدعاء فصلاة الملائكة حقيقة لانها دعاء وصلاة الله من مجاز التعبير نافظ السبب الذي هو الدعاء عن المسبب الذي هو الاجابة وقد جمع بينهما في قوله - ان الله وملائكته يصلون على النبي - فيكون الضمير في - يصلون - لله والملائكة وجمعه معهم في الضمير مستكره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكر على بعض خطباء العرب قوله - ومن يعصهما ففوق غوي -

وقال بش خطيب القوم أنت • وقد جمع بينهما عليه الصلاة والسلام في قوله - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما - وفي قوله عليه الصلاة والسلام - فإن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم - وإنما أنكر على الأصحابي الجمع لاعتقاده التسوية بينهما والرسول عليه الصلاة والسلام آمن من ذلك • ومن لا يرى الجمع بين الحقيقة والمجاز يقدر أن الله يصلى على النبي وملائكته يصلون على النبي فيكون يصلون على النبي حقيقة في حق الملائكة ويكون يصلى المقدره مجازاً في حق الله • وكذلك القول في قوله تعالى « هو الذى يصلى عليكم وملائكته » في الجمع بين الحقيقة والمجاز وافرادها • ومثل هذا قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » لو قال أحق أن يرضوهما لكان جامعاً بين الله ورسوله في الضمير وبين الحقيقة والمجاز فإن رضى الرسول عليه الصلاة والسلام حقيقى ورضى الله تعالى مجزى • ومن لا يرى ذلك يقول والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه كقول الشاعر

نحنُ بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأى مختلفٌ

وهذه الاربعة وعشرون قسماً التى ذكرناها من أقسام المجاز تحت كل قسم منها أقسام كثيرة يعرف ذلك من تأملها ونظر فيها • وحيث انتهى الكلام في الفصاحة والبلاغة والحقيقة والمجاز فلما أخذ في ذكر ما تضمنه الكتاب العزيز من فنون البلاغة وعيون الفصاحة وضروب علم البيان وبدائع البديع وأجناس التجنيس • • ولبدأ من ذلك فيما يتعاقب بالمعاني ثم نتلوه بما يتعاقب بالالفاظ والاعتماد في ذلك معونة الله تعالى وتوفيقه وتيسيره وهدايته الى الصواب والارشاد الى ما يودى الى جزيل الثواب وحسن المآب • • أما ما يختص بالمعاني فيقسم الى أقسام

• القسم الأول •

(المناسب • ويسمى التشابه أيضاً)

وهو ترتيب المعاني المتأخية التى تتلاءم ولا تتنافر • والقرآن العظيم كله متناسب

لا تنافر فيه ولا تباين .. ومنه قول النابغة

الرفق يُمن والأناة سعادةٌ فاستأن في رفق تنال نجاحا

والياس عماقات يُعقب راحةٌ ولرب مطعمة تعود ذباحا

ويسمى التشابه أيضاً .. وقيل التشابه أن تكون الالفاظ غير متباينة ولكن متقاربة في الجزالة والتمانة والدقة والسلاسة وتكون المعاني مناسبة لالفاظها من غير أن يكسب الالفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد بل يصاغان معاً صياغة تتناسب وتتلاءم حتى لا يكون الكلام كما قيل

وبعض قريض القوم أولاد علة يُكل لسان الناطق المتحفظ

(قال المصنف عفا الله عنه) المناسبة عند أرباب هذا الشأن على قسمين . معنوية . ولفظية . فالمعنوية أن يتدعى المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه في المعنى دون الالفظ . ومنه قوله تعالى « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا » أخبر سبحانه في فاصلة الآية بأنه قوى عزيز ليدل على أن تلك الريح التي أصابت المشركين ليست اتفاقاً وليست هي من أنواع السحر بل هي من ارساله على أعدائه كمادته وسنته في أمثاله من نصره لعباده المؤمنين مرة بالقتال كيوم بدر ومرة بالريح كيوم الأحزاب ومرة بالرعب كبنى النضير وأن النصر من عند الله لا من عند غيره ولهذا لم ينصرهم حين خالفوا نبيهم يوم أحد وحين أعجبهم كثرتهم يوم حنين وبعد ذلك كانت العاقبة لهم . وقد صرح سبحانه وتعالى في قوله « وما النصر إلا من عند الله » . وقوله تعالى « إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَنَاصِيَاتُ الَّذِينَ يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَيْنِهِمْ » ولو اقتصر على الآية ولم يذكر فيها - والله قوى عزيز - ملحق هذا المعنى وغمض والتبس الأمر فيه وأشكل .. وأما المناسبة اللفظية فهي أيضاً على قسمين . تامة . وغير تامة . فالتامة أن تكون الكلمات مع الإبراز مقفاة . والآخرى ليست بمقفاة فالتقفية غير لازمة للمناسبة .. فمن المناسبة التي ليست بمقفاة قوله تعالى « ق وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ لَنُحْيِيَنَّكَ بِلِقَاءِ رَبِّكَ إِحْسَانًا وَنُعْذِرَنَّكَ بِمَا عَمِلْتَ مِنْ بَاطِلٍ وَاللَّهُ يَتَعَالَى عَنِ الْعَالَمِينَ » . وقوله سبحانه وتعالى « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٌ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ » . وقوله سبحانه وتعالى « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٌ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ » . وقوله سبحانه وتعالى « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٌ فِي هَذِهِ الْأَيَّاتِ » .

بسمه ربك بمجنون وإن لك لأجراً غير ممنون . . . ومن التامة في السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يرقى به الحسن والحسين عليهما السلام أعيد كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة فقال صلى الله عليه وسلم - لامة - ولم يقل ملمة . وقوله صلى الله عليه وسلم - مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامي بحسن المناسبة . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم - ارجعن مأزورات غير مأجورات والمستعمل - موزورات - لانه من الوزر غير مهموز فلفظ به صلى الله عليه وسلم لمكان المناسبة اللفظية التامة . وأما ما جاء من السنة الغير مقفاة فكقوله صلى الله عليه وسلم ان أحبكم الى وأقربكم . في مجالس يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الموطون أكنافاً فناسب صلى الله عليه وسلم بين - أخلاق وأكناف - مناسبة أبراز دون تفقية . ومما جمع بين المناسبتين قوله صلى الله عليه وسلم في بعض أدعيته اللهم اني أسألك رحمة تهدي بها قاي . وتجمع بها أمري . وتلم بها شعبي . وتصلح بها غائي . وترفع بها شاهدي . وتزكي بها عملي . وتلهني بها رشدی . وترد بها النفي . وتعصني بها من كل سوء اللهم اني أسألك الفوز في القضاء . ومنزل الشهداء . وعيش السعداء . والنصر على الاعداء فناسب صلى الله عليه وسلم بين - قاي وأمری - مناسبة غير تامة بالزنة دون التفقية ثم ناسب بين - الشهداء والسعداء - مناسبة تامة بالزنة والتفقية

القسم الثاني

(التكميل)

وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معاني المدح أو غيره من فنون النظم والنثر ثم يرى مدحه فيه اقتصاد وقصور عن الغرض وأنه يحتاج الى تكميل بزيده بياناً وإيضاحاً فيكملة بمعنى آخر . فن ذلك قوله تعالى « فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه » أذلة على المؤمنين أعزقة على الكافرين » فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه

وتعالى علم وهو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين وإن كانت صفة مدح
إذ وصفهم بالرياضة لآخوانهم المؤمنين والالتقياد لآمرهم كان المدح غير كامل فكمل
مدحهم بأن وصفهم بالعزة على الكافرين فأتى بوصفهم بالامتناع منهم والغلبة لهم
• وكذلك قوله تعالى « محمدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معه أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم »
• ومثاله من النظم قول كثير عزة

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موفق لقضى لها

القسم الثالث

(التميم)

وهو أن تردف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس وتقربه إلى الفهم وتزيل عنه الوهم
وتقرره في النفس • فمن ذلك قوله تعالى « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم »
• وقوله تعالى « ثلاثة أيامٍ في الحجِّ وسبعةٍ إذا رجعتم تلك عشرةٌ كاملة » ومثاله في
القرآن كثير • ومثله قول امرئ القيس
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي
• • وقال آخر

كأن قلوب الطير حول خبائنا وأرطانا الجزع الذي لم يشق
تمم المعنى بقوله - الحشف البالي • والجزع الذي لم يشق -

القسم الرابع

(التميم)

وهو آلة الحصر ومظنة الأحاطة بالشيء • مثل قوله تعالى « والله خلق كل دابة من

ماء فمنهم من يشى على بطنه ومنهم من يشى على رجلين « الى قوله « ما يشاء »
ومنه قوله تعالى « له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً » . ومثله
في القرآن كثيرٌ وخصوصاً في سورة براءة . ومثله في كلام العرب قول زهير بن أبي سلمى
وأعلم ما في اليوم والامس قبله . ولكنى عن علم ما في غدٍ غمى

• • وذكر ابن الأثير في جامعه أن أرباب علم البيان لم يريدوا بالتقسيم القسمة العقلية
كما يذهب اليه المتكلمون فان القسمة العقلية تقتضى أشياء مستحيلة كما قالوا الجواهر
لا يخلو إما أن تكون مجتمعة أو مفترقة أو لا مجتمعة ولا مفترقة أو مجتمعة ومفترقة معاً أو
بعضها مجتمع وبعضها مفترق ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء
الاقسام جميعها وان كان من جملتها ما يستحيل وجوده فان الشئ لا يكون مجتمعاً مفترقا
في حالة واحدة • وانما أرادوا بالتقسيم ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده وهو أن يأتى
المؤلف الى جميع أقسام الكلم المحتملة فيستوفى غير تارك منها قسماً واحداً . فن ذلك
قوله تعالى « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ومنهم
مقتصدٌ ومنهم سابقٌ بالخيرات باذن الله » فانه لا يخلو العالم جميعه من هذا التقسيم
إما عاصٍ ظالمٌ لنفسه وإما مطيعٌ مبادر الى الخيرات وإما مقتصدٌ بينهما وهذا من أصح
التقسيمات وأكملها فاعرفه • • ومن هذا المعنى قوله تعالى « وكنتم أزواجاً ثلاثةً
فأصحابُ الميمنةِ وأصحابُ الميمنةِ وأصحابُ المشئمةِ والسابقون السابقون »
الآية • اعلم أن هذه الآية مماثلة في المعنى لما سبق ذكره - وأصحاب المشئمة - هم
الظالمون لأنفسهم - وأصحاب الميمنة - هم المقتصدون - والسابقون - هم السابقون
بالخيرات • وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى « هو الذى يُريكُمُ البرقَ خوفاً وطمَعاً »
ألا ترى الى براعة هذه القسمة فان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع وليس لهم
ثالث • وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة المنتصبين فى صدرها يعجبون بقول بعض
العرب فى هذا المعنى ويقولون ان ذلك من أصح التقسيمات وهو قوله - النعم ثلاث •
نعمة فى حال كونها • ونعمة ترجى مستقبلة • ونعمة تأتى غير محتسبة • فأبقى الله عليك
ما أنت فيه • وحقق ظنك فيما ترجيه • وتفضل عليك بما لم تحتسبه - فقالوا انه ليس فى

أقسام النعم التي يقع الانتفاع بها قسم رابع سوى ما ذكره الاعرابي وهذا القول فاسد وهو أن في أقسام النعم التي قسمها ههنا نقصاً لا بد منه وزيادة لاحاجة اليها أما النقص فأنغفاله ذكر النعمة الماضية وأما الزيادة فقلوه بعد النعمة المستقبلية التي تأتي غير محتسبة وهذا خطأ فإن النعمة التي تأتي غير محتسبة هي داخلية في قسم المستقبلية وذلك أن النعمة المستقبلية تنقسم الى قسمين . أحدهما يرجى حصوله ويتوقع بلوغه . والآخر لا يحتسب ولا يشعر بوجوده . فقلوه - ونعمة تأتي غير محتسبة - يوهم أن هذا القسم غير المستقبل وهو داخل في حياته ولو قال - ونعمة مستقبلية - من غير أن يقول - ونعمة تأتي غير محتسبة - لكان قوله كافياً إذ النعمة التي ترتجي والنعمة التي لا تحتسب يدخلان تحت قسم المستقبل وكان ينبغي أن يقول - النعم ثلاث . نعمة ماضية . ونعمة حال كونها . ونعمة تأتي مستقبلية . فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها - ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الخطاب فافهم ما ذكرناه وقس عليه . . وقف اعرابي على مجلس الحسن فقال رحم الله من أعطى من سعة . أو آسى من كفاف . أو آثر من قلة فقال الحسن ماترك لأحد عذراً فالنصف الاعرابي بخير كثير . . ومن هذا الضرب ما ذكره أبو هلال العسكري في كتابه وذلك أنه أخذ على جميل قوله

لو أن في قلبي كقدرِ قلامَةٍ مُحباً وصلتكِ أو أتتكِ رسائلي

فقال أبو هلال إن إتيان الرسائل داخل في جملة الوصل . وليس الأمر كما وقع له فإن جميلاً إنما أراد بقوله - وصلتك - أي أتيتك زائراً أو قاصداً أو كنت رسالتك مراسلة والوصل لا يخرج عن هذين القسمين إما رسالة أو زيارة . . وقال ابن الأثير ومن أعجب ما شاهدته في هذا الباب ما ذكره أبو العلاء نحمد بن غانم المعروف بالغامى وهو قول العباس بن الاحنف

وِصَالِكُمْ هَجْرٌ وَهَجْرُكُمْ قِلَاءٌ وَعَظْفُكُمْ صَدٌّ وَسَلْمُكُمْ حَرْبٌ

ثم روى المشار اليه عن أبي القاسم الأمدى أنه قال إن بعض نقدة الكلام من الباغاء لما سمع هذا البيت قال والله هذا أحسن من تقسيمات اقليدس . ومن العجب كيف

ذكر الغامى ذلك فى كتابه وفاته النظر فيه مع تقدمه فى هذه الصناعة • وأعجب منهما
جميعاً استحسان ناقد الكلام لهذا التقسيم ألا ترى أن هذا البيت يبنى عليه شئ آخر
من جنسه فانه لو أضيف اليه بيت غيره فقليل

وَلَيْسُكُمْ عُتْفٌ وَقُرْبُكُمْ نَوَى وَإِعْطَاؤُكُمْ مَنَعٌ وَصِدْقُكُمْ كَذِبٌ

لجاز ذلك ويحتمل أن يزداد على هذا البيت بيت آخر ثالث ورابع ولو كان التقسيم فى
البيت الاول صحيحاً لما احتدل أن يضاف اليه شئ آخر البتة لأن من صحة التقسيم أن
لا يحتمل الزيادة • • ومن نحو هذا قول بعضهم فى حق مكسورين فى الحرب فمن بين
جريح مضرّج بدمائه • وهارب لا ياتفت الى ورائه فان الجريح قد يكون هارباً والهارب
قد يكون جريحاً ولو قال - فمن بين قتيل ومأسور وناج - لصح له التقسيم لأن المكسورين
فى الحرب الذين دارت عليهم الدائرة لا يخرجون عن هذه الاقسام الثلاثة فاما قتيل أو
مأسور أو ناج وأما الجريح فانه يدخل فى جملة الناجى والمأسور لأن كلا منهما يجوز أن
يكون جريحاً وأن لا يكون فاعرف ذلك وقس عليه

— القسم الخامس —

(المؤاخاة)

وهى على قسمين • الاول المؤاخاة فى المعانى • الثانى المؤاخاة فى الالفاظ ويكون
للكلام بها رونق لأن النفس يعرض لها عند الشعور شئ يُطلع الى مناسبة فلا يرد
إلا بعد تشوف ولا كذلك المباين فلذلك يقبح ذكر الشئ مع مباينه فى المعنى المذكور
فيه • ولذلك قبح قول الكميت

أَمْ هَلْ ظَعْمَانُ بِالْعَلْيَاءِ رَافِعَةٌ وَقَدْ تَكَامَلَ مِنْهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ

فان - الدل والشنب - لا مناسبة بينهما • وكذلك يقبح الشئ مع مباينه فى البناء • ولذلك
قبح قول أبى تمام

.. مُثَقَّاتٍ سَلَبْنَ الْعُرْبَ سُمرَتْهَا والرُّومَ رَقْنَهَا والعَاشِقَ الْقَصْفَا
 وكان ينبغي أن يقول - والعشاق قصفها - لكن منعه الوزن والقافية فلذلك لا يعاب هذا
 على الشاعر كما يعاب على النائر اذ المجال للنائر متسع .. ومما استقبح قول أبي نواس
 أَلَا يَا ابْنَ الْذِينَ قَتَّوْا فَاتُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا مَاتُوا لَتَبَقَى
 وَمَا لَكَ فَاعْلَمَنْ فِيهَا مَقَامٌ إِذَا اسْتَكْمَلْتَ أَجَالاً وَرِزْقاً
 وكان ينبغي أن يقول - وأرزاقاً - واعلم أن استقبح تباين المباني دون استقبح تباين
 المعاني (قال المصنف عفا الله عنه) التباين في المباني ليس بمستقبح وقد ورد في القرآن
 العظيم منه كثير . ومن ذلك قوله تعالى « خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ »
 . وكذلك قوله تعالى « حَتَّى إِذَا مَا جَاؤَهُمَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ » الآية

- القسم السادس -

(الاعتراض والحشو)

وهو أن يدخل في خلال الكلام كلمة تزيد اللفظ تمكناً وتفيد معنى آخر مع أن
 اللفظ يستقل بدونها ويلتزم بغيرها مثل قوله عز وجل « لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ » . وقوله تعالى « وَلَا تَكْرِهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا »
 أو لم يردن ولكن أفاد قوله - إن أردن تحصناً - الاعلام بترغيب الشرع في التحصين
 وأنه مطلوب به . ومنه قوله تعالى « وَادْخُلِي يَدُكَ فِي جُيبِكَ تَخْرُجِي بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ
 سُوءٍ » . وقوله تعالى « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ » (قال المصنف
 عفا الله عنه) قال ابن الأثير في كتابه الموسوم بالجامع الكبير الاعتراض الصناعي عند
 أرباب علم البيان على قسمين . الأول لا يأتي في الكلام إلا لفائدة وهو جار مجرى
 التوكيد في كلام العرب . والقسم الآخر أن يأتي في الكلام لغير فائدة فلما أن يكون
 دخوله في التأليف كخروجه منه وإما أن يؤثر في التأليف نقصاً وفي المعنى فساداً

فالأول وهو الذى يأتى فى الكلام لفائدة • فنه قوله تعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم
وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون » هذا كلام فيه اعتراضان
أحدهما قوله - وإنه لقسم لو تعلمون عظيم - لانه اعترض بين القسم الذى هو - فلا
أقسم بمواقع النجوم - وبين جوابه الذى هو - إنه لقرآن كريم - وفى نفس هذا
الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو - قسم - وبين صفته التى هى - عظيم -
وهو قوله تعالى - لو تعلمون - فذلك اعتراض ولو جاء الكلام غير معترض فيه
لوجب أن يكون فلا أقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم وفائدة هذا الاعتراض بين
القسم وجوابه انما هو تعظيم لشأن المقسم به فى نفس السامع • ألا ترى الى قوله تعالى
- لو تعلمون عظيم - كيف هذا الاعتراض بين الصفة والموصوف وذلك أوقع فى
النفس لتعظيم المقسم به أى انه • من عظيم الشأن ونخامة الأمر بحيث لو علم ذلك لوفى
حقه من التعظيم • • ومن ذلك قوله تعالى « ووَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا حَمَلَتْهُ
أُمُّهُ » الى « ولوالديك » الآية • ألا ترى الى هذا الاعتراض الذى طبق مفصل
البلاغة فانه لم يؤت به إلا لفائدة كبيرة وذلك أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده
الأم من المشاق والمتاعب فى حمل الولد مما لا يتكلفه الوالد • ومن ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم للذى سأله فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم
من قال أمك قال ثم من قال أمك قال ثم من قال أبوك • وفى رواية أمك ثم أمك ثم
أباك ثم أذنالك فاذنالك • • ومما جاء على هذا الأسلوب قوله تعالى « واذ قتلتم نفساً
فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون » الى قوله « تعقلون » فقوله تعالى
- والله مخرج ما كنتم تكتمون - اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدته أن
يقرر فى أنفس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارؤبني اسرائيل فى قتل تلك النفس
لم يكن نافعاً لهم فى اخفائه وكتمانه لان الله تعالى مظهر لذلك ومخرجه ولو جاء الكلام
خالياً من هذا الاعتراض لكان - واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها -
ولا يخفى على العارف بهذه الصناعة الفرق بين ذلك وبين كونه معترضاً فيه • • ومن
هذا الجنس قول النابغة

لعمري وما عمري على بهين لقد نطقنا بطلاً على الاقارع
فقله - وما عمري على بهين - من محموده وناديه لما فيه من تفخيم المقسم به... وعلى
نحو من هذا جاء قول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا
فقله - وأنت منهم - من الاعتراض الذي يؤكده به المعنى المقصود ويزداد به مزية
وتبلا وفائدة هنا أن التصريح بما هو المراد يثبت في النفس ويقرر في الازهان...
وقال بعضهم لعبد الله بن طاهر وهو أحسن ما قيل في هذا الباب

إبـ الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمي إلى ترجان
وأمثاله كثيرة... وأما الثاني وهو الذي يأتي في الكلام لغير فائدة فهو ضربان •
الاول أن يكون دخوله في التأليف كخروجه منه لا يؤثر حسناً ولا قبحاً... فمن ذلك
قول النابغة

يقول رجالٌ يجهلون خليقتي لعلّ زياداً لا أبالك غافل
فقله - لا أبالك - اعتراض لا فائدة فيه وليس مؤثراً في هذا البيت حسناً ولا قبحاً
(الضرب الثاني منه) وهو الذي يكون مؤثراً في الكلام نقصاً وفي المعنى فساداً •
ومنه قول بعضهم

فقد وأبيك يئن لي عشاءً بوشكٍ فراقهم صردٌ يصيحُ
فان في هذا البيت من ردئ الاعتراض ما اذكره وهو الفصل بين - قد - والفعل
الذي هو - يئن - وذلك قبيح لقوة اتصال - قد - بما تدخل عليه من الافعال ألا
تراها تمت مع الفعل كالجزم منه ولذلك دخلت اللام المراد بها تأكيد الفعل على - قد -
في قوله تعالى « ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك » وفي قوله تعالى « ولقد
علموا لمن اشتراء »... وقول الشاعر وهو القراءة السامية

ولقد أجمع رجلى بها حذر الموت واني لغرور
إلا أنه إذا فصل بين - قد - والفعل بالقسم فان ذلك لا بأس به نحو قولك - قد والله

كان ذلك • وقد^(١) فجاء هذا البيت لا خفاء بقبحه • • ومن بديع الاعتراض قول المتنبي

ويحتقر الدنيا احتقارَ مجربٍ يرى أن ما فيها وحاشاك فانيا
وهذا البيت حشوه يصلح أن يكون من باب الحشو ويصلح أن يكون من باب الاحتراس
(قال المصنف عفا الله عنه) ذكر أسامة في بديعه أن الحشو غير المفيد أن تأتى في الكلام بالفاظ زائدة ليس فيها فائدة مثل قول النابغة
تَوَهَّمْتُ آيَاتِهَا فَعَرَفْتُهَا لَسْتُ أَعْوَامٌ وَذَا الْعَامُ سَابِعٌ
• • وقال آخر

ثَأْتُ سَلْمَى فَعَاوَدَنِي صَدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصْبُ
فقوله - الرأس - حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يكون الا في الرأس • • وفي الحماسة
أُنْبِئْنِي فَتَى لَمْ تَذِرْ الشَّمْسُ طَالَعَةً يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا ضَرْبًا أَوْ نَفْعًا
فقوله - طالع - حشو لا فائدة فيه لأن قولهم ذرّت الشمس أى طلعت (قال المصنف عفا الله عنه) وهذه الكلمات التى ذكرها ليست بزائدة بل لها معان • • فقوله - لست أعوام وذا العام سابع - فليس بزائد وقد ورد مثله فى القرآن وهو قوله تعالى « ثلاثة أيامٍ فى الحجّ وسبعةٍ إذا رَجَعْتُمْ تلك عشرةٌ كاملة » وانما قال ذلك الذى تقدم بيانه فى باب التقيم وهو رفع اللبس وتقرير المعنى فى النفس • وأما قوله - صداع الرأس - فهو من الاصابة والشق ومثل ذلك يتها فى سائر الاعضاء • وأما قوله - تذر الشمس طالع - فهما وان كانا بمعنى واحد فالعرب من عادتها أن تكرر لفظين بمعنى واحد للتأكيد • كقول الشاعر

* وَهَنْتُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ *

• • ومنه قوله تعالى « فَمِنْهُمْ الكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُؤُودًا » • • والذى اقتضاه قول أسامة وغيره من العلماء أن الحشو على قسمين • قبيح وحسن • فالقبيح ما أشار اليه أسامة • والحسن ما أشار اليه غيره والله أعلم

(١) بياض بالاصل

- القسم السابع -

(الالتمات)

وهو نقل الكلام من حالة الى حالة أخرى وأرباب هذا الشأن فيه على ثلاثة مذاهب ذهب قوم أنه على ثلاثة أقسام • الأول الانتقال من الغيبة الى الحضور ومن الحضور الى الغيبة كقوله تعالى «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» وعكسه «الذين أنعمت عليهم غير المقضوب عليهم» ولم يقل غير الذين غضبت عليهم • وكذلك قوله تعالى «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» • وقوله تعالى «وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً» • وقوله تعالى «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إدا» ومثله في القرآن كثير ولا يخلو شيء من ذلك من حكم جزئية تليق بذلك الكلام الخاص كما في هذا الموضع وأن القول اذا اشتمل على سوء أدب على عظيم كان الأولى التعبير عنه بلفظ الغائب إذ الاقدام على ذلك قد دام الحاضر أخش وأكثر جرأة والجناب العظيم ينبغي أن يحاسى من ذلك • يبين ذلك قوله تعالى - وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إدا - ثم لما أن أراد توبيخهم على هذا القول عبّر عنه بالحضور لأن توبيخ الحاضر أبغ في الالهانة • • الثاني الالتفات من الماضي الى المضارع كقوله تعالى «قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين» • وكذلك قوله تعالى «أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرّجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور» • • الثالث الالتفات من الماضي الى المستقبل وبالعكس كقوله تعالى «فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق» • وقوله تعالى «والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميث فآحيننا به الأرض بعد موتها كذلك النشور» • وقوله تعالى «ويوم يُنفخ في الصور ففرع من في السموات ومن في الأرض» •

وقوله تعالى « وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا » • وقوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ » له ما في السموات • وقوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » ولا يخلو هذا عن حكمة كما في هذه الآية فإن الكفر لما كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبّر عنه بالماضي ليفيد ذلك مع كونه باقياً أنه قد مضى عليه زمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله فإن حكمه انما يثبت حال حصوله فعنى بذلك فهو في كل وقت كافر ما لم يأت بالآيمان ولا كذلك الصد عن سبيل الله ومع ذلك فإن الفعل المستقبل فيه إشعار بالكثير فيكون قوله - ويصدون عن سبيل الله - شعراً بأنهم في كل وقت كذلك • ولا كذلك لو قال وصدوا لأن ذلك يكون مشعراً بأن صدهم قد انقطع • • وذهب قوم الى أن الالتفات اذا انقطع الكلام يعقبه بجملة ملاقية اياه في المعنى ليكون تكميلاً له على جهة المثل والدعاء أو غيرهما كقوله تعالى « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » ومن هذا النوع قول جرير

* مجازيعُ عندَ البأسِ والحَرْ يُصْبِرُ *

• • وذهب قوم الى أن الالتفات هو أن تذكر معنى فتوهم أن السامع اعترضه شك في ذلك أو في سببه أو علته فتذكر ما يزيل شكه كقول الاخطل

تَبَيَّنُ صَلَاتُ الْحَرْبِ مِنَّا وَمِنْهُمْ إِذَا مَا التَّقِينَا وَالْمَسَالِمُ يَأْذَنُ

فتبين بقوله - والمسالم يأذن - كيفية ظهور المحارب منه والصحيح القول الاول وما ذكره بعده يجوز أن يكون من أنواع الالتفات • • ومن بديعه قوله تعالى « يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ » خاطب يوسف بأعرض عن هذا والتفت الى زليخا • ومنه أيضاً قوله عز وجل « حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَبَ جَرْبُكُمْ يَرْجِي طَبِيبٌ » • • ومن بديع ما جاء منه في النظم قول امرئ القيس

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالْأَمْدِ وَنَامَ الْخَلَى وَلَمْ تَرْقُدِ
وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَلِيلَةُ ذِي الْعَائِرِ الْأَرْمَدِ
وَذَلِكَ عَنْ خَبَرٍ جَاءَنِي وَخَبَرَتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ

(قال المصنف عفا الله عنه) ذكر ابن الاثير في جامعه أن الالتفات على ثمانية أقسام .. الاول الرجوع من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » الى قوله « إياك نعبد وإياك نستعين » وانما فعل ذلك لفوائد وهي انه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام من الربوبية العامة والملك الخاص فعلم المعامُ بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالخضوع له والاستعانة به في المهمات فحوطب ذلك المعلوم الموصوف بتلك الصفات ف قيل - إياك نعبد وإياك نستعين - يامن هذه صفاته . والفائدة الأخرى أن قوله - إياك نعبد وإياك نستعين - ليس العدول فيه اتساعا وانما عدل اليه لأن الحمد دون العبادة فانك تحمد نظيرك ولا تعبد فلما كان الحال كذلك استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر فقال - الحمد لله - ولم يقل لك ولما صار الى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال - إياك نعبد - تصريحاً بها وتقرباً منه عزاسمه بالانتهاء الى محذوده منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال - صراط الذين أنعمت عليهم - فصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال - غير المغضوب عليهم - ولم يقل غير الذين غضبت عليهم لأن الاول موضع التقرب الى الله بذكر النعمة فلما صار الى ذكر الغضب قال - غير المغضوب عليهم - فجاء باللفظ منحرفاً به عن ذكر الغضب فأسند النعمة اليه لفظاً وزوى عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً .. ومن هذا الجنس قوله تعالى « الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً » وشبهه .. الثاني الرجوع من الخطاب الى الغيبة كقوله عز وجل « هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم برح طيبة وقرحوا بها » الآية صرف الكلام هنا من خطاب المواجهة الى الغيبة وانما فعل ذلك وهو أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالخبر لهم ويستدعي منهم الانكار عاينهم والتقبيح لفعالهم ولو قال - حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بكم - وساق الخطاب الى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة .. ومن ذلك قوله تعالى « إن هذه أمّتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقوا أمرهم بينهم » الاصل أن يعطف على الفعل الاول الا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينهى عنهم ما أفسدوه الى قوم آخرين ويقبّح عاينهم ما فعلوه ويقول ألا ترون الى عظيم

ما ارتكب هؤلاء في دين الله فجعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً وذلك مثل^١ لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوه . . . ومما ينخرط في هذا السلك أيضاً قوله تعالى « يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً الذي له ملكُ السموات والأرض » الى « وكلماته » الآية . فانه انما قال « فآمنوا بالله ربّي » حيث قال أولاً - إني رسول الله اليكم - لكي تجرى عليه الصفات التي أجريت عليه وليعلم أن الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص المستقبل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كلنا من كان أنا أو غيـري اضطراراً للنصفة وبعداً للتعصب لنفسه فقرر أولاً في صدر الآية بأنه رسول الله الى الناس وأثبت ذلك في أنفسهم ثم أخرج كلامه من الخطاب الى الغيبة لغرضين كبيرين قد ذكرتهما .

• الاول اجراء تلك الصفات عليه • الثاني الخروج من تهمة المصيبة لنفسه فافهم ذلك .

• الثالث الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الامر فعل ذلك تعظيماً لمن أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيماً لأمره وبالضد من ذلك في حق من أجرى عليه فعل الامر •

فما جاء من ذلك قوله تعالى « قالوا يا هودُ ما جئتنا ببينةٍ وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين » الى قوله « ما تشركون » الآية • فانه انما قال - أشهدُ الله واشهدوا - ولم يقل - وأشهدكم ليكون موازياً له وبمعناه لان إـشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما اشهادهم فـا هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وحجى به على لفظ الامر كما تقول لارجل تهكماً به واستهانة - أشهد على أنى أحبك - وأمثال هذا كثير فاعرفه . . . الرابع الرجوع من خطاب التثنية الى خطاب الجمع ومن خطاب الجمع الى خطاب الواحد • فن ذلك قوله تعالى « وأوحينا الى موسى وأخيه أن نبوءا لقومكما بمصرَ بيوثاً واجعلوا بُيوتكم قبلةً وأقيموا الصلاة وبشرِ المؤمنين » ^(١) فانه توسع في هذا الخطاب فثنى ثم جمع ثم وحد فخطب موسى وهارون في ذلك عاينهما السلام بالتبوء والاختيار في ذلك مما يفوض الى ثم ساق

(١) بهامش الاصل ما نصه . . . لعله خطاب لهما ولهم كتبه أبو الوفا

الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد وإقامة الصلاة لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلى الله عليه وسلم بالبشارة التي هي الغرض تعظيماً له وتفخيماً لامره لانه الرسول على الحقيقة . . ومن هذا النحو قوله تعالى حكاية عن حبيب النجار « وما لى لا أعبدُ الذى فطرَنى واليه تُرجَعون » هذا عدول عن خطاب الواحد الى خطاب الجماعة واتمام الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه أفرد الكلام لهم فى معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم لتلطفه بهم ومداراتهم فان ذلك أدخل فى إحاض النصيح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع قوله - وما لى لا أعبد الذى فطرَنى - موضع قوله وما لكم لا تعبدون الذى فطرَكم ألا ترى الى قوله « واليه ترجعون » ولولا أنه قصد ذلك لقال الذى فطرَنى واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال « إني آمنْتُ بربِّكم فاسمعون » يريد فاسمعوا قولى وأطيعون فقد نبهتكم على الصحيح الذى لا معدل عنه لان العبادة لا تصح الا لمن منه مبدؤكم واليه ترجعون . . الخامس الاخبار عن الفعل الماضى بالمضارع وهو قسم من الالتفات لطيف المأخذ دقيق المغزى (اعلم) ان الفعل المضارع اذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لان الفعل المضارع يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يسمعها ويشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى . فها جاء منه قوله تعالى « والله الذى أرسل الرياح فتثيرُ سحباً فسقناها الى بلدٍ ميث فآحيننا به الارضَ بعد موتها كذلك النشور » فانه انما قيل - تثير - مضارعاً وما قبله وما بعده ماضٍ لذلك المعنى الذى أشرنا اليه وهو حكاية الحال الذى يقع فيها إثارة الريح للسحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب أو تهتم المخاطب أو غير ذلك . . ومنه قول تأبطشراً

لقيتُ الغولَ تهوى نحو وجهى بقترٍ كالصحيفة صحصحان
فأضرِبُها بلا دَهِشٍ نخرتُ صريعاً لليدين وللجرانِ

لانه قصد أن يصور صورة الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يُبصرهم ويطاعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على ذلك الغول وثباته عند تلك الشدة ولو قال

فضربتها لزال تلك الفائدة التي ذكرناها ونبينا عليها . . ومن ذلك قوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير » ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي هاهنا إلى المضارع فقال - فتصبح الأرض مخضرة - وذلك لفائدة بقاء المطر زماناً بعد زمان كما قال - أنعم على فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكرآ - ولو قال فرحت وغدت شاكرآ له لم يقع ذلك الموقع فافهم ما أشرنا إليه . . السادس الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع وهو عكس ما تقدم ذكره وفائدته أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المضارع الذي لم يوجد كان أبلغ وآكد وأعظم موقعاً وأنغم شأناً لأن الفعل الماضي يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد وحدث وصار من الأمور المقطوع بكونها وحدوثها . والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المضارع عن الماضي هو أن الفعل الماضي يخبر به عن المضارع إذا كان الفعل المضارع من الأشياء الهائلة التي لم توجد والأمور المتعظمة التي تحدث فيجعل عند ذلك مما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه . وأما الفعل المضارع إذا أخبر به عن الفعل الماضي فإن الغرض بذلك شيان هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يعاينها ويشاهدها . . فمن الاخبار بالفعل الماضي عن المضارع قوله تعالى « ويوم يُنفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين » فانه إنما قال - ففزع - بلفظ الماضي بعد قوله - ينفخ - وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع ونبوته وانه كأن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به . . ومنه قوله تعالى « وبرزوا لله جميعاً » فبرزوا بمعنى يبرزون يوم القيامة وإنما جيء به بلفظ الماضي لأن ما أخبر الله به لصدقه وصحته كأنه قد كان ووجد . ومثل ذلك قوله عز وجل « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » فإن - أتى - هاهنا بمعنى يأتي وإنما حسن فيه لفظ الماضي لصدق إثبات الأمر ودخوله في جملة ما لا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة قد أتى ومضى . . وكذلك قوله تعالى « ويوم نُسيرُ الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نُغادر منهم أحداً » فانه إنما قال - وحشرناهم - ماضياً بعد - نسير - وترى - وهما مستعملان للدلالة على أن حشرهم

قُبِلَ التفسير والبروز ليعاينوا تلك الالهوال كأنه قال وحشرناهم قبل ذلك . . السابع
الاخبار باسم المفعول عن الفعل المضارع وانما فعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي وقد
سبق الكلام عليه . . فن ذلك قوله تعالى « إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب
الآخرة ذلك يوم مجوع له الناس وذلك يوم مشهود » فانه اما آثر اسم المفعول هاهنا
على الفعل المضارع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع وأنه لا بد من أن يكون ميعاد
مضروباً لجمع الناس وأنه الموصوف بهذه الصفة وان شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى
« يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » فانك تعثر على صحة ما قلت . . الثامن
عكس الظاهر وهو أن العرب قد توسعوا في كلامهم وتجاوزوا الى غاية فيذكرون كلاماً
يدل ظاهره على معنى وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه والاصل في ذلك أنك
تذكر كلاماً يعطى معناه أنه نفي لصفة شيء قد كان وهو نفي الموصوف أنه ما كان أصلاً
فمن ذلك قول علي رضي الله عنه في وصفه مجاس رسول الله صلى الله عليه وسلم
أه لا تني فلتاته أي لا تذاع فظاهر ذلك أن ثم فلتات غير أنها لا تذاع وليس المراد
ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات أصلاً فتداع وهذا مثل قول الشاعر

* لا ترى الضب بها ينجحر *

أي ليس بها ضب فينجحر

القسم الثامن

(الحمل على المعنى)

وذلك كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد للجماعة والجماعة للواحد
وحمل الثاني على لفظ الاول أصلاً كان ذلك اللفظ أو فرعاً أو غير ذلك . وقد ورد
في القرآن العظيم وفصيح الكلام منشوراً ومنظوماً من ذلك كثير . . فأما تأنيث

المذكر فكقوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة »
والمراد به آدم عليه السلام وأنت ردًا الى النفس وقرئ في الشواذ من نفس واحد
.. ومنه قوله تعالى « واذا قالت الملائكة » والقائل جبريل عليه السلام وله نظائر
كثيرة في القرآن .. ومنه قول الشاعر
أبوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذلك الكمال
.. وقال آخر

* طول الليالي أسرعت في نقضي *

.. وقال آخر
أتهجر بيتاً بالحجاز تلفعت به الخوف والأعداء من كل جانب
.. وقال آخر
يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل نبي أسد ما هذه الصوت
فانه ذهب بالصوت الى الاستغاثة وذهب الآخر بالخوف الى المخافة .. وأما تذكير
المؤنث فقد كثر عن العرب تأنيث فعل المضاف المذكر اذا كانت اضافته الى مؤنث
فكان المضاف بعض المضاف اليه أو به أو منه ولذلك قرئ قوله تعالى « لا تنفع نفساً
إيمانها » بالتأنيث فأت فعل الايمان اذ كان من النفس وبها . وأمثال هذا كثير في
القرآن .. ومنه قول الشاعر
لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع
.. وقول الآخر

* كما شرقت صدر القنار من الدم *

❦ القسم التاسع ❦ -

(الزيادة في البناء)

وهو أن يقصد المتكلم معنى يبر عنه لفظتان إحداهما أزيد بناء من الأخرى فيذكر الكلمة التي تزيد حروفها عن الأخرى قصداً منه إلى الزيادة في ذلك المعنى الذي عبر عنه ولهذا ان اعشوشب واخشوشن في المعنى أكثر وأبلغ من خشن وأعشب ولهذا وقعت الزيادة بالتشديد أيضاً فان ستار أباح من سائر وغفار أباح من غافر ولهذا قال سبحانه وتعالى « استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً » . ومنه قوله تعالى « وكان الله على كل شيء مقتدرّاً » عدل عن قادر إلى مقتدر ليشعر بالزيادة على زيادة قدرة الله تعالى والبيان عن عظم شأنه . . ومن هذا المعنى قول أبي نواس

فعفوت عني عفوة مقتدر أحات له نعم فأنعاه

والعرب عادت أن تزيد في بناء الاسم ليشعر بزيادة المعنى الدال عليه . . قال الزمخشري رحمه الله رأيت أعرابياً بالحجاز يسوق جلاًء به شقذ فقات ما اسم هذا فقال شقذ ثم مررنا جبل عليه كجاة فقات ما اسم هذا فقال شقذ فقات فزاد فيه لكون الكجاة أكبر وأعلا في القدر والقيمة . وقد رجح بعض أهل المعاني « الرحمن على الرحيم » لما فيه من زيادة البناء وهو الألف . ومثل هذا في كلام العرب كثير ليس هنا موضع استقصائه

- - - - -

❦ القسم العاشر ❦ -

(الاطالة والاسهاب . ويسمى الاطناب . والكلام عليهما من وجوه)

الاول في ذكر الغرض الذي أتى بهما من أجله . الثاني في حقيقتهما ومجازهما .

الثالث في اختلاف علماء البيان فيهما • الرابع • فيما يستحسن فيهما وما يستقبح •
الخامس في أقسامهما • السادس في الفرق بينهما (أما الاول) فان العرب جرت سنتهم
على ذلك في خطبهم ومخاطباتهم ومفاخراتهم ومقاولاتهم يقصدون بذلك اظهار قدرتهم
على الكلام وتوسعهم في النزول والنظام فيوجزون تارة ويطنلون أخرى هذا في الحقيقة
وأما في المجاز فمرادهم الدلالة على قوة مشاهدة المعنى المجازي • • وقال ابن الاثير أني
بالاطلة والاطناب للمبالغة والمبالغة تنقسم الى أقسام كثيرة وقد سبق ذكر شيء منها
كالاخبار بالفعل الماضي عن المضارع وبالمضارع عن الماضي ومن جملة أقسام المبالغة
الاطناب وقائده زيادة التصور للمعنى المقصود إما حقيقة أو مجازاً وهو على الحقيقة
ضرب من ضروب التأكيد (وأما الثاني) فحقيقة الاطالة الامتداد والاسترسال وأصله
في الاجرام • وأما الاطناب فحقيقته لغة الزيادة والمبالغة وأما حقيقته الصناعية فهو
زيادة في اللفظ لتقوية المعنى • • فأما ما جاء من ذلك على سبيل الحقيقة فقوله تعالى
« ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » فان الفائدة في قوله - في جوفه -
كالفائدة في قوله - القلوب التي في الصدور - وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصور
المدلول عاينه لانه اذا سمع صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين وكان ذلك أسرع الى
الانكار • • وأما الذي جاء منه على سبيل المجاز فنه • قوله تعالى « فانها لاتعمى الأبصار »
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور • فائدة ذكر الصدور - هاهنا أنه قد يعرف أن
العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو مصاب الحادثة بما بطمس نورها واستعماله في القلب
استعارة ومثل فلما أريد اثبات ما هو بخلاف انتعارف من نسبة العمى الى القلوب حقيقة
ونفيه عن الأبصار احتاج هذا الأمر الى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر إن مكان العمى
انما هو القلوب لا الأبصار • وهذا نوع من أنواع البيان عظيم الاطائف كثير المحاسن
(وأما الثالث) فقد اختلف علماء البيان فيهما فقال المحققون انهما متغايران • • وقال
أبو هلال العسكري الاطلة والاطناب سواء وهما عنده ضد الايجاز ووافقه جمهور الاثمة •
وقال أبو هلال أيضاً في كتابه الاطناب في الكلام انما هو بيان والبيان لا يكون إلا بالاتساع
وأفضل الكلام أبينه والايجاز للخواص والاطناب يشترك فيه الخواص والعوام ولهذا

أطنب في السكتب السلطانية لفهام الرعايا . وكما أن لايجاز له مواضع فكذلك الاطناب له مواضع والحاجة الى الايجاز في موضعه كاللحاجة الى الاطناب في موضعه . قال النبي صلى الله عليه وسلم - خاطبوا الناس على قدر عقولهم - ومن استعمل الايجاز في موضع الاطناب والاطناب في موضع الايجاز فقد أخطأ فلا شك أن السكتب الصادرة عن السلطان في الامور العظيمة في الفتوح وتفخيم مواقع النعم المتجددة أو في الترغيب في الطاعة والتحذير من العصيان وغير ذلك ينبغي أن تكون مشبعة مستقصاة . وأما كتاب المهلب الى الحجاج في فتح الازارقة وهو - الحمد لله الذي كفى الاسلام فقد ما سواه وجعل الحمد متصلاً بنعمه وقضى أن لا يقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من خلقه ثم انا وعدونا على حالين مختلفين نرى فيهم ما يسرنا أكثر مما يسوؤنا ويرون فينا ما يسوؤهم أكثر مما يسرهم فلم يزل ذلك دأبنا ودأهم ينصرنا الله ويخذلهم ويمحقهم حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين - فإما حسن هذا الكتاب لكونه في موضعه . وأما لو كتب الى العامة وقد تطلعت نفوسهم الى معرفة ذلك الفتح العظيم وتصرفت بهم ظنونهم في أمره لجاء في أقبح صورة عندهم وأجبنها . واعلم أن الاطناب بلاغة والتطويل عيٌّ فإن الاطناب بمنزلة سلوك طريق بعيدة تحتوى على زيادة فائدة بما تأخذ النفس منه من اللذة والتطويل بمنزلة شكوك ما يبعد جهلاً بما يفوت فهذا حكاية كلام أبي هلال العسكري . . . وقد ذكر ابن الاثير في جامعه على قول أبي هلال مأخذاً فقال أما قول أبي هلال الاطناب في الكلام انما هو بيان فإن البيان في أصل اللغة هو الظهور والوضوح فيكون الاطناب على قوله ظهوراً في الكلام ووضوحاً لا غير ويلزم على ذلك أن كل كلام ظاهر واضح اطناباً سواء كان ذلك الكلام ايجازاً أو غيره من أصناف علم البيان وهذا مما لم يذهب اليه أحد لأن أبا هلال قد جعل الاطناب وصفاً من الاوصاف التي يشترك فيها جميع ضروب الكلام وذلك أن البيان وصف يعم كل كلام ظاهر واضح من ايجاز أو تطويل أو تكرير أو غير ذلك وليس الامر كما وقع له بل الاطناب نوع واحد من أنواع الكلام فإن أصله في وضع اللغة من أطنب في الكلام اذا بالغ فيه كما تقدم (الرابع) فما يستحسن

فيهما وما يستقبح . أما الذي يستقبح منهما فهو أن يُطنب فيها لا ينبغي فيه الاطناب
ويطوّل فيها ينبغي فيه الايجاز أو يطوّل فيما ليس في اطالته فائدة ولا فيه زيادة معنى كما
روى أن رجلاً استدعى لأداء شهادة على نكاح فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً
عبدُه ورسولُه أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره المشركون
وأشهد أني كنت في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا في الدار الفلانية (ووصفها)
من الحارة الفلانية (ووصفها) وسمى الساكنين بها من البلد الفلاني وقت كذا من
النهار وقد طرق الباب غلام وذكر جنسه وأوصافه وحكاية تطول جداً . . وهذا
النوع من الاطالة ليس في القرآن العظيم منه شيء . وأما الذي يستحسن منهما فهو
اطالة الكلام وترديده لتقوية المعنى في النفس ونعظيمه والبيان قوة الملكة في التلمب
بالكلام أو لكون المخاطب لا يصل الكلام الموجز الى فهمه فهو محتاج الى بسط
الكلام واتساعه حتى يفهم (الخامس) في أقسامهما . أما أقسام الاسهاب والاطناب
فقد اختلف فيه علماء علم البيان فقالوا لا يخلو إما أن يكون في جملة واحدة أو في جل
. . فأما الذي في جملة واحدة فعلى قسمين . حقيقة ومجاز . أما الحقيقة فقد يكون
معنى اللفظ الزائد هو معنى المدكور ويكون مغايراً له . أما الأول فكقوله تعالى « فاذ
تُفخ في الصور نفخة واحدة » ومحات الارض والجبال فدُكَّتَا دَكَّةً واحدةً . .
وكقوله تعالى « أفرأيتُم اللات والنزى ومناة الثائمة الأخرى » . وكقوله تعالى
« تلك عشرة كاملة » . وأما الثاني فكقوله تعالى « ما جعلَ الله لرجلٍ من
قلبين في جوفه » . وكقوله تعالى « إذ تأقونهُ بألستكم وتقولون بأفواهِكم » .
وكقوله تعالى « نخرٌ عليهمُ السقفُ من فوقهم » . . وأما المجاز فكقوله تعالى
« فاتها لا تَعْمى الأبصارُ ولكن تَعْمى القلوبُ التي في الصدور » واستعمال هذا مجازاً
أحسن . . وأما الذي في الجمل فأقسامه أربعة . الاول أن تذكر أشياء كل واحد منها
يخص بما لولاه لكان المفهوم من الكل واحداً كقول أبي تمام

مِنْ مَنَّةٍ مَشْهُورَةٍ وَصَنِيعَةٍ بِكَرٍّ وَإِحْسَانٍ أَغَرَّ مَحْجَلٍ

ولو قال - من منة وصنيعة واحسان - كان المعنى واحداً . وكذلك قوله

وليَّ سَجِيَّاتٍ تُضِيفُ ضِيقَهُ وَيُرْسِي مَرْجِيَّهُ وَيُسْأَلُ سَائِلُهُ
وكل هذه دلالة على زيادة كرمه .. والثاني اثبات والنفي وهو أن يذكر الشيء اثباتاً
ونفياً مع زيادة لولاها لكان ذلك تكراراً وتناقضاً كقوله تعالى « ولكنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » . وكذلك
قوله تعالى « لَا يَسْتَأْذِنُكَ الدِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَالِمٌ بِالْمُتَّقِينَ » مع قوله « إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَآرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْ رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ » .. الثالث أن تذكر الشيء ثم
تضرب له أمثالا تُشْتَهَى كقول البحتری يصف امرأة

ذاتُ حُسْنٍ لَوْ اسْتَزَادَتْ مِنَ السَّحْسَنِ إِلَيْهِ لَمَا أَصَابَتْ مَزِيدًا

فهي كالشمس بهجة والقضيب اللدن قدًا والريتم طرفًا وجيدا

.. وكذلك قوله

تَرَدَّدَ فِي مُحَلَّقٍ مُسْوَدِّدٍ سَمَاحًا مُرَجَّجًا وَبَاسًا مَهْيِيًا

وكالسيف إن جثته صار خا وكالبحر إن جثته مُسْتَتِييًا

.. الرابع الاستقصاء في ذكر أوصاف الشيء للمدح أو الذم ونحوها كقول بعضهم

لَا غَلَا الْوَرَى قَدْرًا وَأَوْفَرَهُمْ حَيِّ وَأَرْشَدَهُمْ رَأْيًا وَأَسْمَحَهُمْ يَدًا

.. وأما الإطالة فهي على قسمين . حسنة . وقبيحة . كما تقدم .. فأما الحسنة فهي

على قسمين . الأول منها ما يكون بسطاً للكلام واتساعاً فيه كما ورد في القرآن العظيم

مثل قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بطولها وقصة أصحاب الكهف بذكر فروعها

وأصولها وقصة الخضر مع موسى عليهما الصلاة والسلام وكثرت فوائد محمولها وقصة

ذي القرنين بطول مقولها وقصة موسى مع فرعون وكثرة فصولها . الثاني أن لا تكون

الإطالة بسبب تكرار اللفظ وهنحن نذكر أقسامه ونبيّن ان شاء الله تعالى (السادس)

في الفرق بينهما . والفرق بينهما أن الاطباب على سائر أحواله بلاغة والتطويل بعضه

معيّ وركاكة .. وقال ابن الاثير الاطباب للنحواس والاطالة للعوام . وهذا يحتاج الى

تفصيل وقد تقسم

القسم الحادى عشر

(التكرار والكلام فيه من وجوه)

الأول فى حقيقته • الثانى فى ذكر الفائدة التى أتى به من أجلها • الثالث فى أقسامه • الرابع فى ذكر ما يتهىأ فيه التكرار الحسن منه والقيبح (أما الأول) فحقيقة التكرار أن يأتى المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً أو يأتى بمعنى ثم يعيده وهذا من شرطه اتفاق المعنى الاول والثانى فان كان متحد الالفاظ والمعانى فالفائدة فى اثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره فى النفس وكذلك اذا كان المعنى متحداً • وان كان الالفاظان متفقان والمعنى مختلف فالفائدة فى الاتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين (وأما الثالث) فأقسامه ثلاثة • الأول ما يتكرر لفظه ومعناه متحد • الثانى ما يتكرر لفظه ومعناه مختلف • الثالث ما يتكرر معنى لا لفظاً • • أما ما يتكرر لفظه ومعناه متحد فنه قوله تعالى « فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر » • وكقوله تعالى « أولئك الذين كفروا برّبهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » • كرر - أولئك - وكذلك قوله تعالى « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » • وكذلك قوله تعالى « فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدوّ لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين » • كرر - أن - فى أربعة مواضع تأكيذاً • وكذلك قوله تعالى « قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين » ومثله فى القرآن كثير • • ومن هذا النوع قول الشاعر

* ألا يا سلمى ثم سلمى ثم سلمى *
 * ألا يا سلمى ثم سلمى ثم سلمى *

والغرض من هذا المبالغة فى الدعاء لها بالسلامة • وقد يكرر القول طلباً لدوام تذكّر الارهاب كما كرر فى سورة الرحمن « فبأى آلاء ربكما تكذبان » وقد يكرر اللفظ

ايضاً ليتصل أول الكلام بآخره اتصالاً جيّداً كما في قوله تعالى « ثم إن ربك للذين
 عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ »
 • ومن ذلك الآية التي قبل هذه الآية • ومن ذلك قوله تعالى « إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ
 كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ » • • وأما ما تكرر لفظه ومعناه مختلف
 فنه قوله تعالى « وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحَقِّقَ
 الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ » فإن المقصود بقوله - يحق الحق - بيان ارادته وبقوله
 - ليحق الحق - الثانية لقطع دابر الكافرين ونصر المؤمنين عليهم • وكذلك قوله
 تعالى « لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَتَمَّ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ
 عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » معناه لا أعبد في المستقبل ما تعبدونه أنتم الآن ولا أنتم تعبدون في
 المستقبل ما أنا عابده ولا أعبد قط آلهتكم حتى أكون الآن عابداً لما تعبدون ولا أنتم
 عبدتم قط إلهي حتى تكونوا له الآن عابدين • • ومن ذلك قوله تعالى « وَإِذَا طَلَقْتِ
 النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجْلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ » الى قوله في
 الآية الأخرى التي بعدها « وَإِذَا طَلَقْتِ النِّسَاءَ فَلْيُغْنِ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضَاوُهُنَّ » فكرر
 - بلغن - لاختلاف البلوغين • • وأما قوله تعالى « وَقَالُوا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ » ثم
 قال « قَالُوا اهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعاً » فقد قيل إنه من باب تكرير اللفظ والمعنى وقيل هو من باب
 تكرير اللفظ لا المعنى لاختلاف الهبوطين فإن الهبوط الأول كان من الجنة الى سماء الدنيا
 والهبوط الثاني كان من سماء الدنيا الى الارض وفي القرآن العظيم من هذين القسمين
 كثير • • وأما تكرار المعنى دون اللفظ فهو إما أن يكون بين المعنيين مخالفة ما أو
 لا يكون كذلك • والذي يكون بينهما مخالفة إما أن يكون أحدهما أعم أو لا يكون
 كذلك • فأما ما يكون أحدهما أعم فكقوله تعالى « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى
 الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » فإن الدعوى الى الخير أعم من الأمر
 بالمعروف • وكذلك قوله تعالى « فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ » • وكذلك قوله تعالى
 « حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى » ومثاله في الشعر كثير • قال الشاعر
 إذا أكلوا الحمى وفرت لحومهم وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجداً

وإن ضيقوا عهدى حفظتُ عهدَهُمْ وإن هم هَوُوا نَحْيَ هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
والغرض بهذا زيادة تأكيد الخاص . . وأما الذى لا يكون أحد المعنيين أعم فكقول
حاطب بن أبى باتمعة - والله يا رسول الله ما فعلتُ ذلك كفرًا ولا ارتدادًا عن دين
ولا رضى بالكفر بعد الاسلام . . وأما الذى لا يكون بين المعنيين مخالفة فكقوله تعالى
« وإن تَمَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَنَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِغَفُورٍ رَحِيمٌ » . وكذلك قوله تعالى
« فصيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ فى الحجِّ وسبعةٍ إذا رجَعتمْ تلكَ عشرةٌ كاملةٌ » . . وكذلك
قول الشاعر

نزلتُ على آلِ المهلبِ شاتياً بعيداً عنِ الأوطانِ فى زمنِ المحلِّ
فأزالِ بى إكرامَهُمُ وافتقادَهُمُ وإحسانَهُمُ حتى حَسِبْتَهُمُ أهلى

هذا ما يكون من التكرار لفائدة . . وقال ابن الاثير فى جامعہ التكرار فى المعنى على
قسمين . مفيد . وغير مفيد . فالمفيد نوعان . الاول اذا كان التكرار فى المعنى يدل
على معنيين مختلفين كدلالته على الجنس والعدد وهو من باب التكرير مشكل لانه
يسبق الى الوهم أنه تكرير محض يدل على معنى واحد فقط وليس كذلك . . فما جاء
منه قوله تعالى « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد » ألا ترى أن
العرب إنما جمعت بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال
ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد المخصوص . فأما رجل
ورجلان وفرس وفرسان فعدودات فالفائدة إذاً فى قوله - إلهين اثنين . وإله واحد -
هو أن الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية يدل على الجنسية والعدد المخصوص فإذا
أريدت الدلالة على أن المعنى به واحد منهما وكان الذى يساق اليه الحديث هو العدد
شُفِعَ بما يؤكده قدل به على أن القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت - إنما هو
إله - ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية وهذا باب من
باب تكرير الممانى وعمر المسالك دقيق المغزى وبه تحل مسائل مشكلات من التكرير
فأعرفه . . ومن هذا النحو اذا كان التكرير فى المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص
والآخر عام كقوله تعالى « ولئن كن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف

ويُنهَوْنَ عن المنكر « الآية فان الأمر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لأن
الأمر بالمعروف خاص والخير عام فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمراً بالمعروف
لأن الخير أنواع كثيرة من جعلها الأمر بالمعروف . ففائدة التكرير هاهنا أنه ذكر
الحال هاهنا ذكر العام للتنبيه عاينه لفضله كقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى » الآية . وأمثال ذلك كثيرة فاعرفها . . النوع الثاني من الضرب الاول من
القسم الثاني اذا كلف التكرير في المعنى يدل على معنى واحد وقد سبق مثاله في أول
هذا الباب كقولك أطمئني ولا تعصني لأن الأمر بالطاعة نهى عن المعصية . والفائدة
في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب وتقرير لها في قلبه . والكلام في هذا الموضع
من التكرير كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى اذا كان المراد به
غرضاً واحداً فاعرفه . . الضرب الثاني من القسم الثاني في تكرير المعنى دون اللفظ وهو
غير المفيد . فن ذلك قول ابن هاني المغربي

سارت به صنع القصائد شرراً فكأنما كانت صباً وقبولا
فكأنه قد قال - فكأنما كانت صباً صباً - لأن الصبا هي القبول . وليس ذلك مثل
التكرير في قوله تعالى - حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى - فيما يرجع الى تكرير
اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير في قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير
ويأمرون بالمعروف - فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ لأن كل واحدة من هاتين
الآيتين يشغل على معنيين خاص وعام . وقول ابن هاني - صباً وقبولا - لا يعطى
إلا معنى واحداً لا غير وهذا لا يخفى على العارف بصناعة التأليف . . ومن هذا النحو
قول الصابي في كتاب - وصل كتابك بعد تأخير وإبطاء وانتظار له واستبطاء - فان
التأخير والاستبطاء بمعنى واحد وقد يكون لهذا وجه في التجوز وهو التقرير في نفس
المخاطب لبعداً لمد وتطاول المدة في انقطاع كتابه عنه وذلك مما لا بأس به في هذا الموضع
. . وأمثال هذا كثير فاعرفه (وأما الرابع) فالذي ينهي التكرار أسماء . وأفعال .
وحروف . ومعان . وقد تقدم الكلام على الاسماء والأفعال والمعاني . . وأما الحروف
فهي على قسمين . حسنة . وقبيحة . . فأما الحسنة فهي كما التزمه الحريري في رسالته

السينية والشينية كـر السـين في كل كلمة في السينية والشين في الشينية • وكما التزمه الحصري في أول معشراته من حروف المعجم • وكما التزمه الفازازي في عشرينياته • وانما حسن هذا النوع لأن فيه دليلاً على قوة الملكة في الكلام والقدرة على التلعب بحروفه في النثر والنظام وهو من باب لزوم ما لا يلزم وسيأتي بيانه • • وأما القبيحة فكشكرايا حروف تكسب الكلام عجرفة وتكسوه قلقاً حتى يصعب النطق به ويذهب رونق الكلام بسببه كقول الشاعر

وقبرٌ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفَرٍ وليس قُرْبٌ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرٌ

(وأما الخامس) في الحسن منه والقبيح • • فأما الحسن منه فقد تقدم • • وأما القبيح فهو التكرار العاري عن الفائدة وهو لا يخلو إما أن يكون في المعنى وحده أو في المعنى واللفظ معاً • أما الأول فقد أعابه بعضهم مطلقاً وبعضهم فصل فأعابه على النثر وعلى الناظم إذا فعله في صدر البيت وأما إذا فعله في عجزه فليس ذلك بعيب إذ قد يضطر لأجل القافية والوزن كقول المتنبي

بحرٌ تَعَوَّدَ أَنْ يَذُمَّ لِأَهْلِهِ من دَهْرِهِ وَطَوَارِقِ الْحَدَثَانِ

والدهر وطوارق الحدثنان بمعنى واحد • • وكذلك قيل من قال

إني وإن كان ابنُ عمِّي عائباً لمصادقٍ من خلفه وورائه

• • وأما الثاني فقد اتفق على قبحه وهو كقول مروان

سقا الله نَجْدًا والسلامُ على نَجْدٍ ويا حَبْدًا نَجْدٌ على النَّأى والبُعدِ

نظرتُ إلى نَجْدٍ وَبَعْدًا ذُوونها لعلِّي أَرَى نَجْدًا وَهِيَّاتٍ من نَجْدٍ

• • وكذلك قول أبي نواس

أَقْنَا بها يوماً ويوماً وثالثاً ويوماً له يومُ التَّرَحُّلِ خامسٌ

• • وكذلك قول المتنبي

ولم أَرِ مثلاً جِيراً نِي ومثلي لِمَثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ

• • وأقبح من ذلك قوله

وَقَلَّلتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَّ الحَشَى قَلَّ قَلَّ عَيْسٍ كُلُّهُنَّ قَلَّ قَلَّ

• • وقال ابن الاثير قال الواحدى فى شرحه لشعر أبى الطيب المتنبي انه لا يلزمه من هذا عيب وانه قد جرت عادة الشعراء بمثل ذلك كقول أبى منصور النعماني
 واذا البلايل أطربت بهديها فانف البلايل باحتساء بلايل
 والصحيح أنه مستهمل وأخطأ الواحدى فى الاعتذار عنه وفى تمثيله بيت النعماني وبيان ذلك أن بيت أبى الطيب قد ورد فيه ذكر القلقة والقلقل أربع مرات وهن دلالات على معنى واحد لا غير وهو الحركة يقول - وحرّكتُ بالهمّ الذى حرك الحشى نوفا سراع الحركة كلهن منحرّكات - وهذا من أقبح ما يكون من التكرير • وأما بيت النعماني الذى مثله الواحدى بيت أبى الطيب فليس مثالا لأن لفظة - البلايل - قد وردت فيه ثلاث مرات وكلُّ منها دال على معنى غير الآخر فالاول جمع بلبل وهو طائر حسن الصوت والثاني جمع بلبلة وهى وساوس الصدور والثالث جمع بلبلة وهى مخرج الماء من الابريق فهو يقول - واذا الاطيار من البلايل هدلت وغرّدت فانف البلايل من قلبك باحتساء الحُر من بلايل الابريق - وهذا من أحسن ما يكون من التجنيس ومن هاهنا وقع السهو للواحدى وهو أن البلايل فى شعر النعماني يدل على معان مختلفة والقلقل فى شعر أبى الطيب يدل على معنى واحد فاعرف ذلك وقس عليه • • ومثل قول المتنبي فى القبح قوله أيضاً

ولم أرَ مثلَ جيراني ومثلى لمثلى عند مثلهم مقامُ

فهذا ومثله هو التكرار الفاحش الذى يؤثر فى الكلام نقصاً زائداً ألا ترى أنه يقول لم أرَ مثلَ جيراني فى سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلى فى مصابرتهم ومقامى عندهم لأنه قد كرّر هذا المعنى فى البيت مرتين

— القسم الثانى عشر —

(القسم)

وهو أن يقسم فى كلامه بشئ لم يُرد به تأكيد كلامه ولا تصديقه وانما يُريد به

بيان شرف المقسم به وعلو قدره عنده . ومنه قوله تعالى « فَوَرَبِّ السَّاءِ وَالْأَرْضِ
إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَتَطَقُونَ » . وقوله تعالى « وَالطُّورِ وَكِتَابِ مَسْطُورٍ » .
وقوله تعالى « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى » . وقوله تعالى « وَالسَّاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا
طَحَّاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا » . وقوله تعالى « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ »
أقسم بهذه الاشياء كلها لعظم خالقها ولشرفها عنده وأقسم بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم
ليعرف الناس عظمته عنده وبكائه لديه . . . ومنه قول الشاعر

حَلَقْتُ بِمَنْ سَوَّى السَّاءِ وَشَادَهَا وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ
وَمَنْ قَامَ فِي الْمَقُولِ مِنْ غَيْرِ رِيْبَةٍ بِمَا شَتَّتَ مِنْ إِذْرَاكِ كُلِّ عِيَانِ
لَمَّا خُلِقْتَ كَفَّاكَ إِلَّا لِأَرْبَعٍ عَقَائِلَ لَمْ يُعْقَلْ لِهِنَّ قَوَانِ
لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهٍ وَإِعْطَاءِ نَائِلٍ وَتَقْلِيْبِ هِنْدِيٍّ وَجَذْبِ عِنَانِ

(قال المصنف عفا الله عنه) القسم في القرآن العظيم على قسمين . مظهر . ومضمّر .
فالمظهر كما تقدم . والمضمّر على قسمين . قسم دامت لام القسم على حذفه كما في قوله تعالى
« لَتَبَاؤُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ » . وفي قوله تعالى « لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ » . والقسم
الثاني ما دلّ عليه المعنى في مثل قوله تعالى « وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ
حَتْمًا مَقْضِيًّا » تقديره والله إن منكم إلا واردها يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- لن تمسه النار إلا تحلة القسم - وله في القرآن نظائر

القسم الثالث عشر

(الاقتباس . ويسمى التضمين)

وهو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره يدرجه في لفظه لتأكيد المعنى الذي
أتى به أو ترتيباً فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمين وإن كان كلاماً قليلاً
أو نصف بيت فهو إبداع . وعلى هذا الحد لبس في القرآن من هذا النوع شيء إلا

فما أودع فيه من حكايات أقوال المخلوقين مثل قوله تعالى حكاية عن قول الملائكة « قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » . ومثل ما حكاها سبحانه من قول المنافقين « قالوا انما نحن مُصلِحون » . وقولهم « قالوا أئؤمنُ كما آمن السفهاء » . وقوله سبحانه وتعالى حكاية عن قول اليهود والنصارى « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء » وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » . ومثله في القرآن كثير . وكذلك ما أودع في القرآن من اللغات الاعجمية مثل قوله تعالى « إناكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » . وهي لغة للحطب بالحشية و - كالتسطاس - وهو الميزان باللغة الرومية - والفردوس - وهو البستان و - القنطار - وهو اثنا عشر ألف أوقية . . . ومن اللغة المدسية - الكف . والساق . والفراش . والوزير . والقاضي . والوكيل . والشراب . والحلال . والحرام . والحسد . والصواب . والبركة . والخطأ . والوسوسة . والكساد . والتطيحة . والخط . والقلم . واللهو . والكرسى . والقفل . والركاب . والفاشية . والمشرق . والمغرب . واللطيف . ومن اللغة الفارسية المحكية - الابريق . والسندس . والياقوت . والزنجيل . والمسك . والكافور - وهذه الكلمات كلها حكاها الثعالبي في فقه اللغة وهي عند المحققين مختلف فيها فمنهم من قال انها أعجمية عرمت ومنهم من أسكر ذلك وقال ليس في القرآن لفظ أعجمي لقوله تعالى « بلسان عربي مبين » . وهذه الالفاظ انما هي عربية أصلية وافقت اللغة الاعجمية والرومية . وانما الذي ورد في القرآن بعض آيات وكلمات من التوراة وغيرها من كلام الله عز وجل فأشبهه التضمين والایداع . من ذلك قوله تعالى « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » . ومنها قوله تعالى فيما حكاها من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وذلك قوله تعالى « محمد رسول الله » الى قوله « ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل » فضمن كتابنا صفتهم من الكتابين الأولين . . . وأما التضمين في الشعر فلا يخلو إما أن يكون البيت المضمن مشهوراً أو غير مشهور فان كان مشهوراً لم يحتاج الى تنبيه عليه أنه من كلام غيره لأن شهرته تنفي عن ذلك وان كان غير مشهور فلا بد من تنبيه على أنه ليس من شعره مثل قول الشاعر

ما على طيب ليل سلفت من ليالى الوصل لو مادت لنا

نبه عليه فى البيت الذى قبله بقوله

فأنا من فرط وجدي مُشدّ بيت شعرٍ قاله من قبلنا

.. وكذلك اذا كان المضمّن نصف بيت كقول ابن اللبابة الاندلسى فى بيت من قصيدة له

حيبٌ الى قابى حبيبٍ لقوله عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلما

.. ومن التضمين المشهور قول ابن عنين يصف بخله

مرّت على عافٍ فامت فوقه جوعاً وقالت والمدامع تسبحم

وقف الهوى فى حيث أنت فليس لى متأخرٌ عنه ولا مُتقدّم

.. ومثله قول آخر

إن برّذونى المدقع بالاصقا ت فى لوعةٍ بكابدُها

رأى بغال الأمير عابرةً بالثين يوماً فظلّ ينشدُها

قفا قليلاً بها على فلا أقلّ من نظرةٍ أزودُها

.. وقد وقع التضمين فى الشعر فى بيت كما ذكرناه وفى بيتين .. ومنه ما قيل فى الحبيص

بيصَ حين قتلَ جُريّاً وهو سكران فأخذ بعض الشعراء كلبة وعلق فى حلقها قصة

وأطامقها عند باب الوزير فأخذت القصة من حلق الكلبة وأدخلت على الوزير فإذا

فيها مكتوب هذه الايات

يا أهل بغداد إن الحبيصَ بيصَ أتى بحزينةٍ ألبسته المار فى البلد

أبدى شجاعته بالليل مجترئاً على جري ضعيف البطش والجلد

فأشدت أمه من بعد ما احتسبت دم الأبيلق عند الواحد الصمد

أقولُ للنفسِ تأساء وتهمزةٍ إحدى يدي أصابنى ولم تُرد

كلامها خلف من فقد صاحبه هذا أخى حين أذعوه وذا ولدى

وهذان البيتان البيت الأخير والذى قبله لامرأة من العرب قتل أخوها ابناً لها فقالت

ذلك تسلىة لنفسها وتنبئاً لقلبها .. وأما أوصاف الايات والكلمات فكثير جداً ..

فمن ذلك قول ابن المعتز

عَوْدُ لَمَّا بَتَّ ضَيْفًا لَهُ اقْرَاصُهُ مَنَى بِبَاسِينِ
قَبْتُ وَالْأَرْضُ فَرَاشِي وَقَدْ غَنَّتْ قَفَانِيكَ مِصَارِي

.. ومنه قول الضحاك

وَقَفْتُ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ كَأَنِّي قَفَانِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
.. وقد أودعت جماعة من الشعراء وجلة من الكتاب الفضلاء في أشعارهم ورسائلهم وأنواع فصاحتهم التي هي من جملة وسائلهم آيات من كتاب الله تعالى وسموه اقتباساً من القرآن وهذا مما قد نهى عنه جملة العلماء وأفاضل الفقهاء الاتقياء وكرهوا أن يتضمن كلام الله تعالى شيئاً من ذلك أو يستشهد به في واقعة من الوقائع كقولهم لمن جاء وقت حاجتهم إليه - ثم جئت على قدر يا موسى - وأشباه ذلك لأن ذلك كله صرف لكلام الله عن وجهه وخروج له عن المعنى الذي أريد به .. فن التضمين المنهى عنه قول عبد الله بن طاهر لابن السري حين ملك مصر وقد ورد رسوله وهديته إليه - لو قبلت هديتك نهاراً لقبلتها ليلاً بل أنتم بهديتكم تفرحون - وقال لرسوله - ارجع إليهم فأناتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون - وأوحش من ذلك وأعظم منه في الشعر قول الشاعر

يَسْتَوْجِبُ الْعَفْوَ الْفَقِي إِذَا اعْتَرَفَ بِمَا جَنَاهُ وَانْهَى عَمَّا اقْتَرَفَ
لِقَوْلِهِ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَأَفَ

.. وقول الآخر

قَتُّ لَيْلِ الصَّدُودِ الْأَقْلِيلِ ثُمَّ رَتَلْتُ ذَكَرَهُمْ تَرْتِيلًا
وَجَعَلْتُ السَّهَادَ كَلَامًا لِعَيْنِي وَهَجَرْتُ الرِّقَادَ هَجْرًا جَمِيلًا
كَلَّمَا ضَمْنَا مَحَلَّ عُنَابِ أَخَذْتَنَا الْعَيُونُ أَخْذًا وَبِيلًا

ضمن هذه القصيدة آخر كل آية من سورة المزمل .. هذا وما أشبهه مما يعدهونه من الفصاحة والبلاغة وهو مما ينبغي أن تعاف النفوس مسأغه وهو مندرج في التحريم لما فيه من عدم الأجلال لكلام الله عز وجل والتعظيم وكيف يليق أن يجمع بين المحدث والقديم .. وقد رخص بعض أهل العلم في تضمين بعض آيات القرآن في خطبهم ومواعظهم

وأكثر ما استعمل ذلك الشيخ ابن نباتة وابن الجوزي وقد استعمله كثير من الناس

القسم الرابع عشر

(التذييل والكلام عليه من وجوه)

الأول في حده والمعنى الذي أتى به من أجله • الثاني في اشتقاقه • الثالث في أقسامه (أما الأول) فقال علماء علم البيان أنه تذييل المتكلم كلامه بحرف أو جملة يحقق بها ما قبلها من الكلام وتلك الجملة على قسمين • قسم لا يزيد على المعنى الأول وإنما يؤتى به للتأكيد والتحقيق • وقسم يخرج المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله • مثال ما جاء من الكتاب العزيز متضمناً للقسمين معاً قوله تعالى « إن الله آتري من المؤمنين أنفسهم وأمرهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله » ففي الآية الكريمة تذييلان • أحدهما قوله تعالى - وعداً عليه حقاً - فان الكلام تم قبل ذلك ثم أتى سبحانه وتعالى بتلك الجملة ليحقق بها ما قبلها • والآخر قوله سبحانه - ومن أوفى بعهده من الله - فأخرج هذا مخرج المثل السائر ليحقق ما تقدم وهو تذييل ثانٍ للتذييل الأول • ومنه قوله عز وجل « ومن أحسن من الله قيلاً » • وكقوله تعالى « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى إلا الكفور » ومثله في القرآن كثير • ومثال ما جاء منه من السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم - من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عسراً ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه فان عملها كتبت عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله إلا هالك - فقوله ولا يهلك على الله إلا هالك تذييل في غاية الحسن أخرج الكلام فيه مخرج المثل • • ومثال ما جاء من ذلك في الشعر قول النابغة

ولست بمُستَبقٍ أخاً لا تلمهُ على شعثٍ أي الرجال المَهْدَبُ

فقله - أي الرجال المهذب - من أحسن تذييل وقع في شعر .. ومنه قول الحطيثة
 نزورُ فتىً يُعطى على المذبح مالهُ ومن يُعطى أثمانَ المحامدِ يُحمدُ
 فان عجز البيت كله تذييل أخرج مخرج المثل لأن صدر البيت كله قد استقل بالمعنى ..
 وأما الحروف فستأتي أمثاله في الكلام على أقسامه ان شاء الله تعالى (وأما الثاني)
 فان التذييل مصدر ذيل الشيء يذيله تذييلاً اذا جعل له ذيلاً مأخوذاً من ذيل المرأة
 وهو ما يفضل عن قامتها ويزيد عايتها فيبقى مجروراً على الارض . قال الشاعر
 كُتِبَ القتلُ والقتلُ عايناً وعلى العانيات جرُّ الذبولِ
 .. وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذيل المرأة فقل بطهره ما بعده
 فكأنه شبه هذا الجملة لزيادتها وكون المعنى يتم بدونها بالزائد من ذيل المرأة الذي ينجر
 على الارض (وأما الثالث) فالتذييل على ثلاثة أقسام قد تقدم منها قسمان والتك هو
 أن تزيد إحدى الكلمتين على الأخرى بحرف فقط إما من آخرها وإما من أولها . فنال
 الزائد في آخر الكلمة قولهم فلان حام حاملٌ لاجاء الامور كاف كافلٌ بمصالح الجمهور
 . وكقول أبي تمام

يعدُّونَ من أيدي عواصٍ عواصم تصولُ بأسيا في قواضٍ قواضبِ
 .. ومثال الزائد في أولها قوله تعالى «والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق»
 ومنه قول الشاعر

وكم سبقت منه إلى عوارفٍ ثنائى على تلك العوارفِ وارفٍ^(١)
 وكم غرر من بره ولطائفٍ لشكرى على تلك الاطائف طائفٍ

القسم الخامس عشر

(المبالغة . والكلام عليه من وجوه)

الاول في حقيقتها . الثاني في اشتقاقها . الثالث في أقسامها (أما الاول) فقال

(١) في هامش الاصل .. أي ممتد يقال ورف الظل اذا امتد

علماء علم البيان أن المغالطة ذكر الشيء وما يتوهم مقابله وليس كذلك (وأما الثاني) فاشتقاقه من الغلط وهو من باب المفاعلة من واحد مثل طارقت النعل وعاقبت الالص لأن فاعله يذكر شيئاً يقع به غيره في الغلط ويوهم ما ليس هو المراد وهو المشار إليه في الحديث المروي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغلوطات وهي شرار المسائل (وأما أقسامها) فاربعة • الأول أن يذكر الشيء وما يتوهم مقابله ويسمى مغالطة النقيض وهو مثل قول الشاعر

وما أشیاء تشربها بحالٍ وإن نفقت فأكسدماتكون

أوهم بنفقت النفاق السوقي وهو رواج السلعة ومراده الموت يقال نفقت الدابة اذا ماتت • وقد ورد منه عن العرب كثير • من ذلك ما روى أن حنين من العرب اقتلأ فقل من كل حي قتلى وأسر أسرى فقال أحد الحنين لأسير عندهم أرسل الى قومك رسولا يقول لهم ليكرموا أسيرنا فاننا لك مكرمون فقال ائتوني برسول منكم أرسله اليهم فجاؤ برجل فسأله عن أشياء فقال ما أراك الا عاقلا أبلغ قومي السلام وقل لهم ليكرموا فلانا فان قومه لي مكرمون وقال له وقل لهم يحلوا عن ناقتي الحمراء ويركبوا جملي الاصهب بآية ما أكلت معكم حيساً وسلوا الحارث عن خبري فلما بلغهم الرسالة حلوا وناق ذلك الرجل وقالوا والله ما له ناقة حمراء ولا جمل أصهب فلما انصرف الرسول استدعوا الحارث وقصوا عليه ما قال فقال أشار بقوله حلوا عن ناقتي الحمراء واركبوا جملي الاصهب ارتحلوا عن هذه الارض الدهناء واصعدوا الجبل وأشار بقوله بآية ما أكلت معكم حيساً الى أن أخلاطاً من الناس اتفقوا على أن يغيروا على حيكهم ليلاً فان الحيس يجمع السمن والتمر والأقط فارتحلوا عن تلك الارض وصعدوا الجبل فأغار عليهم أعداؤهم فلم يجدوهم في المكان الذي كانوا فيه فسلبوا من اغتيال عدوهم لهم • وقد نظم هذا المعنى بعض الشعراء فقال

محلوا عن الناقة الحمراء أرحلکم والبازل الأصهب المبعول فاصطنعوا

ان الذئب قد اخضرَّت براثنها والناس كلهم بکُرَّ اذا شبعوا

ومثل هذا عن العرب كثير • • الثاني أن يذكر مع الشيء مثله ويسمى مغالطة المثل

كقول المتنبي

يشلُّهم بكلِّ أقبٍ نهدي لفارسه على الخيلِ الخيَّارُ
وكلَّ أصمٍّ يعسيلُ جانباهُ على السكَّينِ منه دَمٌ مُمارُ
يُغادرُ كلَّ مُلتفتٍ إليه ولَبَّتُهُ لثعلبه وِجارُ

والثعلب - الحيوان وطرف السنان - والوجار - بيت ذلك الحيوان . وكقول الشاعر
برغم شبيبٍ فارقَ السيفُ كَفَّهُ وكنا على العِلَّاتِ يضطجعانِ
كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسيفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسٌ وَأَنْتَ يَمَانِي
- فالسيف - يقال له يمان اذا كان صارماً - وشبيب - من قيس وكان بين قيس ويمان
محاربة . . . ومنه أيضاً

وخاطمُ بعضِ القرآنِ ببعضه فجعاتُ الشعراءِ في الأنعامِ

- فالشعراء - جمع شاعر واسم سورة - والأنعام - الابل والبقر والغنم واسم سورة أيضاً
وسبب حسن هذا الفن ما يحصل للنفس من الالتئاذ بفهم ما فيه غموض والأول أحسن
لزيادة غموضه . . الثالث من المغالطات الالغاز . والالغز الطريق المنحرف وسمى به
هذا لانحرافه عن نمط الكلام ويسمى أيضاً أحجية لأن الحجي هو العقل وهذا النمط
يقوى العقل عند التمرن والارتياض بالاكثار من حله وإعمال الفكر فيه ويسمى أيضاً
المعتمى لما فيه من الخفاء . ومن هذا النوع في أشعار العرب والمخضرمين والاسلاميين
وهو في أشعار المتأخرين منهم أكثر . . ومنه في القرآن العزيز ما جاء في أوائل السور
من الحروف المفردة والمركبة التي دقَّ معناها وبعد غور غزاها وحارت العقول في معانيها
• ومنها قوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام حين سئل لما كثر الأصنام وقيل له
« أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بَالِهَتَا يَا إِبْرَاهِيمَ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا » قابلهم بهذه المغالطة
ليقيم عليهم الحجة ويوضح لهم المحجة . . ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن النمرود لما
جادل ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال ابراهيم « رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا
أَحْيِي وَأُمِيتُ » مُحكى أنه أتى باثنين فقتل أحدهما وأرسل الآخر وكان ذلك من النمرود
مغالطة لابراهيم عليه الصلاة والسلام لأن ابراهيم عليه السلام أراد إن الله يحيي الميت

ويعت الحى بغير آله لا يحى ويميت كذلك الا هو . . . ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه لما سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجا من مكة أعزها الله تعالى فقال انه رجل يهدينى الطريق . . . ومنه قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما سأله الجبار عن زوجته سارة قال هى أختى أراد أخوة الدين ومثله كثير

القسم السادس عشر

(الاشارة . وتسمى الوحي أيضاً . والكلام عليها من وجوه)

الاول فى حدها . الثانى فى أقسامها . الثالث فى الفرق بينها وبين الكناية
(أما الاول) فقد قال علماء البيان الاشارة أن تطلق لفظاً جلياً تريد به معنى خفياً
وذلك من ماح الكلام وجواهر النثر والنظام . ومنه قوله تعالى « ولا تَقُلْ لهما
افٍّ » أشار بذلك الى بر الوالدين وترك التعرض اليهما يسير من الإيلام فضلاً عن
كثيره . ومنه قوله تعالى « فيهنّ قاصِراتُ الطرفِ » اشارة الى عفافهن . ومنه قوله
تعالى « وفرُش مرفوعة » اشار الى نساء كرام . ومن هذا النوع فلان طويل النجاد
رفيع العماد كثير الرماد اشارة بقوله - طويل النجاد - الى تمام خالقه وبقوله - رفيع العماد -
الى أن بيته مرتفع يعرفه الاضياف والطُّرَّاق وبقوله - كثير الرماد - الى كثرة قراه
الاضياف . . . ويقولون أيضاً فلان جبان الكلب مهزول الفصيل أشاروا بقولهم - جبان
الكلب - الى أنه لكثرة طراقه أنست كلابه الطراق وصارت تلوى رقابها وتحرك أذنانها
فرحاً بهم وأشاروا بقولهم - مهزول الفصيل - الى كثرة سقيه الالبان ومداومة حلب
مواشيه فتقل بذلك ألبانها فيهزل الفصيل بسبب ذلك . والاشارات فى القرآن كثيرة
خصوصاً على ما يراه أرباب الحقائق . وبعض أرباب هذه الصناعة يسمي هذا النوع الإيحاء
. . . ومنه قول الشاعر

بعيدة مَهْوَى القُرْطَرِ إِمَّا لِنَهْشَلٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ

أشار بقوله - بعيدة مهوى القرط - الى طول عنقها . . ومنه قول امرئ القيس
 كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوْبَ الْغِيَامِ وَرِيحَ الْخُزَامِيِّ وَنَشْرَ الْعُطْرِ
 يُعَلِّقُ بِهِ بَرْدُ أَنْبِيَاهِهَا إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرُّ
 أشار الى طيب رائحة فيها وقت السحر وهو وقت تغير الافواه (وأما الثانى) فأقسامها
 أربعة . الاول ما قدمناه . والثانى أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكبير
 . ومنه قوله تعالى « فيها ما تشتهى الانفس وتلذذ الاعين » جمع ما تميل اليه النفوس من
 الشهوات وتلذذ الأعين من المرئيات . ومنه قوله تعالى (فأوحى الى عبده ما أوحى)
 . والثالث من أنواع الاشارة عمل أرباب هذه الصناعة المعميات والالغاز وقد تقدم
 بيانها . الرابع من أقسامها التورية وهى أن تكون الكلمة تحتمل معنيين فيستعمل
 المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لاما استعمله ولهذا مواضع نيينها
 وأملىتها فيه ان شاء الله تعالى (وأما الثالث) فالفرق بينها وبين الكناية أن الاشارة فى
 الحسن والكناية فى القبيح وسيأتى بيانه

القسم السابع عشر

(فى الكناية . والكلام عليها من وجوه)

الاول فى حدها . الثانى فى المعنى الذى أتى بهامس . أجله . الثالث فى أقسامها
 (أما الاول) فقد قال علماء علم البيان إن الكناية هى اطلاق لفظ حسن يشير الى
 معنى قبيح كقوله تعالى « وَأَوْزَنْتُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا »
 أراد بالارض الثانية نساءهم اللاتى كن محل وطئهم وجهة استمتاعهم . . ومنه قوله
 تعالى « وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ » يريدون أنه
 يتغوّط فكنوا عن التغوّط بأكل الطعام لانه سيئه . . ومنه قوله تعالى « أَجِلٌ لَكُمْ
 لَيْلَةُ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ » كفى بالرفث عن

الحديث في الجماع وباللباس عن الوطء نفسه . . ومنه قوله تعالى « وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ »
 أى هيأتها للولادة بعد الكبر . ومنه قوله تعالى « وامرأته قائمةٌ فضحتك » أى
 حاضت . . قال بعض المتأخرين من الحذاق في هذا الفن الكناية في اللغة الستر وفي
 الصناعة أن تقصد مجازاً بعيداً مناسباً للحقيقة مع ضمنه أى ارادتها ^(١) وإذا استعمل اللفظ
 في ذلك كان ضرباً من الاستعارة وتقع الكناية في المفرد والمؤلف وسيأتى بيانه (وأما
 الثانى) فالمعنى الذى أتى بها من أجله هو الاجال في الخطاب والدفع بالى هى أحسن
 والتجنب للهجر من القول إذ هو أرسخ في الالفه وأمكن . قال الله تعالى « ادفع بالى
 هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوةٌ كأنه وليٌ حميمٌ » (وأما الثالث) فقد اختلفت
 عبارات أهل هذه الصناعة فيها وآثرها ما ذكره ابن الاثير في جامعه قال إن الكناية
 على قسمين . قسم يحسن استعماله . وقسم لا يحسن استعماله . فأما الضرب الأول وهو
 الذى يحسن استعماله فينقسم الى أربعة أقسام . الاول التمثيل وهو التشبيه على سبيل
 الكناية وذلك أن تراد الإشارة الى معنى فتوضع ألفاظ على معنى آخر وتكون تلك
 لالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذى قصدت الإشارة اليه والعبارة عنه كقولنا - فلان
 نقي الثوب - أى منزّه عن العيوب وللکلام بهذا فائدة لا تكون لو قصد المعنى بلفظه
 الخاص به وذلك لما يحصل للسامع من زيادة التصوير المدلول عليه لانه اذا صور فى نفسه
 مثال ما خوطب به كان ذلك أسرع الى الرغبة فيه أو الرغبة عنه . فن بديع التمثيل
 قوله تعالى « أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً » فانه مثل الاغتياب بأكل الانسان
 لحم الانسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله لحم لآخ ولم يقتصر على لحم الآخ
 حتى جعله ميتاً ثم جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولاً بالحبة فهذه أربع دلالات
 واقعة على ما قصدت له مناسبة مطابقة للمعنى الذى وردت لأجله . فأما تمثيل الاغتياب
 بأكل لحم انسان آخر مثله فشديد المناسبة جداً وذلك لأن الاغتياب انما هو ذكراً مثالب
 الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه لأن أكل
 اللحم فيه تمزيق لا محالة وأما قوله لحم أخيه فلما فى الاغتياب من الكراهة لأن أرباب

العقل والشرع قد أجمعوا على استكراهه وأمروا بتركه والبعد عنه . ولما كان كذلك كان بمنزلة لحم الاخ في كراهته ومن المعلوم أن لحم الانسان مستكره عند الانسان آخر مثله الا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه وهذا القول مبالغة في الاستكراه لا أمد فوقها . . . وأما قوله - ميتاً - فلاجل ان المعتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها . . . وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالحجة فلما حُجبات عليه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها مع العلم بأنها من أذى الخلال ومكروه الافعال عند الله عز وجل والناس . . . ومن هذا القسم قوله تعالى « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط » فمثل البخل بأحسن تمثيل لان البخل لا يمد يده بالعطية كالمغلول الذي لا يستطيع أن يمد يده وإنما قل - ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك - ولم يقل ولا تجعل يدك مغلولة من غير ذكر العنق لانه قد قال تعالى - ولا تبسطها كل البسط - فباب ذكر العنق عن قوله كل الغل لأن غل اليدين الى العنق هي اقصى الغايات التي جرت العادة بغل اليدين . . . ومن امثال العرب - ايك وعقيلة الملح - وذلك تمثيل للمرأة الحسناء في المنبت السوء لأن عقيلة الملح هي الذرة . . . ومن التمثيل قول بن الدثينة

أبني أفي يميني يدك تركتني فأفرح أم صيرتني في سمالكي

أي ابني أمني كريمة عندك أم هينة عليك فذكر اليمين وجعلها مثالا لا كرام المنزلة وذكر الشمال وجعلها مثالا لهوان المنزلة لان اليمين اشرف مكانة من الشمال وأكرم محلا . وفي القرآن العظيم ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود » الى قوله « وماء مسكوب » فلما جاء الى ذكر الشمال قال تعالى « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم » فاعرف ذلك . الثاني الاردا ف وهو اسم سماء قدامة بن جعفر الكاتب قال اعلم أن أكثر علماء هذه الصناعة قد أدخلوا الاردا ف في التمثيل وفي الفرق بينهما اشكال ودقة فأما التمثيل فقد سبق الاعلام به وهو ان يراد الاشارة الى معنى فتوضع الالفاظ على معنى آخر فتكون تلك الالفاظ وذلك المعنى مثالا للمعنى الذي قصدت الاشارة اليه والعبارة عنه كقولنا - فلان في الثوب - أي منزعه عن العيوب . . . وأما الاردا ف فهو أن يراد الاشارة الى معنى

فترك اللفظ الدال عليه ويؤتى بما هو دليل عليه ورادف له كقولنا - فلان طويل النجاد - والمراد طويل القامة الا انه لم يتلفظه بطول القامة الذي هو الغرض. ولكن ذكر ما هو دليل على طول القامة وليس نقاء الثوب بدليل على النزاهة عن العيوب وانما هو تمثيل لها فاعرف ذلك. واعلم أن الارداف يتفرع الى خمسة فروع. . الاول فعل البداة كقوله تعالى «ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه» أي انه سفيه الرأي بمعنى أنه لم يتوقف في كلامه وقت ماسمعه ولم يفعل كما تفعل المراجيح العقول المتثبتون في الاشياء فان من سفاهتهم اذا ورد عليهم أمرٌ أو سمعوا خبراً أن لا يستعملوا فيه الروية وتأنوا في تدبره الى أن يصح لهم صدقه أو كذبه. ألا ترى أن معنى قوله - كذب بالحق لما جاءه - أي انه ضعيف العقل عازب الرأي فعدل عن ذلك الى ما هو دليل عليه ورادف له وذلك أكد وأبلغ. ومن ذلك قوله تعالى «واذا تلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجلٌ يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم» ومثله في القرآن كثير. . الثاني من الارداف باب المثل وهو ان العرب تأتي بمثل في هذا توكيداً للكلام وتشيداً من أمره يقول الرجل اذا نفي عن نفسه القبح - مثلى لا يفعل هذا - أي أنا لا أفعله فتفي ذلك عن مثله وهو يريد نفيه عن نفسه قصداً للمبالغة فيسلك به طرق الكناية لانه اذا نفاه عن مثله ومثابه فقد نفاه عنه لا محالة. كذلك قولهم أيضاً - مثلك اذا سئل أعطى - أي أنت كذلك. وهو كثير في الشعر القديم والمولد وفي الكلام المنثور. . وسبب توكيد هذه المواضع بمثل انه يراد أن يجعل نفسه من جماعة هذه أوصافهم تثبيتاً للامر وتوكيداً له ولو كان فيه وحده لفاق منه موضعه ولم ترتب فيه قدمه. مثل ذلك قولهم لانسان - أنت من القوم الكرام - أي لك في هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به ولست دخيلاً فيه. . ومن هذا الباب في القرآن كثير كقوله تعالى «ليس كمثله شيء» وهو السميع البصير» وهذا كقولك - مثلى لا يفعل كذا - فينفون البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذلك قصداً للمبالغة لانهم اذا نفوه عن من يسد مسدده وهو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه. ونظير ذلك قولك للعربي - العرب لا تخفر الذم - وهذا أبلغ من قولك أنت لا تخفر الذم وليس فرق بين قوله تعالى «ليس كمثله شيء» وبين قوله

ليس كالله شيء إلا من الجهة التي نبهنا عليها فاعرفها . . الثالث من الادراف ما يأتي في جواب الشرط وذلك من ألطف الكنايات واحسنها . فمن ذلك قوله تعالى « وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث » كناية عن بطلان قولهم وكذبهم فيما ادعوه وذلك رادف له . ونظيره قولك كنت تشكر حضور زيد فيها هو أي فأنت كاذب وهذا من دقائق الكناية . . الرابع من الادراف الاستثناء من غير موجب وذلك من غرائب الكناية كقوله تعالى « ليس لهم طعام إلا من ضريع » الآية . - والضريع - نبت ذو شوك تسميه قريش الشبرق في حال خضرته وطراوته فاذا يبس سمي الضريع والابل ترعاه طرياً ولا تقربه يابساً . والمعنى ليس لهم طعام أصلاً لأن الضريع ليس بطعام للبهائم فضلاً عن الانس وهذا مثل قولك - ليس لفلان ظل إلا الشمس - تريد بذلك نفي الظل عنه على التوكيد وذلك رادف لانتفاء الظل عنه كما ذكر الضريع رادف لانتفاء الطعام . . وعلى نحو من هذا جاء قول بعضهم

وتفرّدوا بالمكرّمات فلم يكن لسواهم منها سوى الحرمان

فالمراد نفي المكرّمات عن سواهم لأنهم اذا كان لهم الحرمان من المكرّمات فما لهم منها شيء . . الخامس من الادراف وليس مما تقدم بشيء وذلك نحو قوله تعالى « عفا الله عنك لم أذنت لهم » والمراد به اذا خوطب بمثل هذا غير النبي صلى الله عليه وسلم أمك أخطأت وبئس ما فعلت فقوله - لم أذنت لهم - بيان لما كفى عنه بالعفو أي مالك أذنت لهم وهلا استأنيت فذكر العفو دليل ورادف له وان لم يذكر . وكذلك قوله تعالى « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » قيل لهم ان أستمتم الى العجز فاركوا العناد فوضع قوله - فاتقوا النار - موضعه لأن اتقاء النار لصيقة وضميمة من حيث أنه من نتائج وروادفه لأن من اتقى النار ترك المعاندة . ونظيره أن يقول الملك لحشمه - إن أردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطى - يريد فأطيعوني وأطيعوا أمرى واحذروا ما هو نتيجة حذر السخط وروادفه . . ومن هذا الباب قوله تعالى « قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا » ألا ترى الى لطافة هذه الكناية فانها أفادت تكذيب دعواهم ودفع

ما انتحلوه وفائدتها هاهنا أنه روى في تكذيبهم أدب حسن لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبت لأن فيه نوع استقباح في الخطاب فوضع قوله - قل لم تؤمنوا - الذي هو نفي ما ادعوا اثباته موضعه لأن ذلك رادف له .. ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسلاً من ربه » أثبت العلم بارساله وانه من الأمور الظاهرة المسلمة التي لا يدخلها ريب ولا يعترضها شك لكن عدل عن ذلك الى ما هو دليل عليه ورادف له وهو الايمان به أعنى صالحاً إنما صح عنهم بعد ثبوته عندهم والعلم بارساله اليهم فالإيمان به أدنى دليل على العلم بأنه نبي مرسل وهذا من دقائق الادراف ولطائفه . وأمثال ذلك كثيرة كقول الاعرابية في حديث أم زرع تصف زوجها له إبلٌ قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزاهر أيقنَّ أنهنَّ هوالك .. فان الظاهر من هذا القول أن ابله يركن عند بيته بفنائه ولا تبرح ليقرب عليه نحرها للاضياف فاذا هزت المزاهر للغناء نحرها لضيوفه فقد اعتادت هذه الحالة وأيقنتها وغرض الاعرابية من هذا الكلام أن تصف زوجها بالجود والكرم ولكنها لم تذكر ذلك بلفظه الدال عليه وانما أنت ببعان دلت على ذلك من غير تصريح بمرادها .. وكذلك قال بعضهم

وَدِدْتُ وَمَا تَعْنِي الْوَدَادَةُ أَنِّي بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِرَةِ عَالِمٌ

فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّني وَعَلِمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْعَنِ اللَّوَائِمُ

أى أهجرها فأضرب عن ذلك جانباً ولم يذكر ذلك اللفظ المختص به لكنه ذكر ما هو دليل عليه ورادف له .. الثالث من الكناية وهو المجاورة وذلك أن يريد المؤلف ذكر شئ فيترك ذكره جانباً الى ما جاوره فيقتصر عليه اكتفاء بدلالته على المعنى المقصود كقول عنزة

فَشَكَّكْتُ بِالرَّمْحِ الْأَصْمَ نِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَابِ مُعَرَّمٌ

أراد - بالثياب - هنا نفسه لانه وصف المشكوك بالكرم ولا توصف الثياب به فثبت حينئذ أنه أراد ما تشتمل عليه الثياب وفي ذلك من الحسن ما لا ينكره العارف بهذه الصناعة

وقال أيضاً

يزجاجة صفراء ذات أشعة قُرِنت بأزهر في الشمال مُفدّم
- الصفراء - هاهنا هي الحرة والذكر للزجاجة حيث هي مجاورة لها ومشغلة عليها
• وذهب بعضُ المفسرين في قوله تعالى « وَثِيَابَكَ فَطَهَّرْ » انه أراد بالثياب القلب أو
الجسد أى وقلبك فطهر أو جسدك • • ومنه قول امرئ القيس

فَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنْ خَلِيقَةٍ فُسِّلِي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَسْلِي
• • الرابع من الكناية ما ليس بتمثيل ولا ارداف ولا مجاورة كقوله تعالى « أو من
ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مُبين » فكنى بأنهم يتزينون في الحلية أى الزينة
والنعمة وهو اذا احتاج الى مجارة الخصوم كان - غير مبين - أى ليس عنده بيان ولا برهان
يحتاج به من خاصه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن عن فطرة الرجال • • ومن
هذا الباب قال أبى نواس

تقولُ التي من بيتها خفٌ مخبئى عزيزٌ علينا أَنْ نراكَ تسيرُ
• ألا ترى ما أحسن هذه الكناية فانه أضربَ عن ذكر امرأته بقوله - من بيتها
خف مركبى - فانه من ألطف الكناية مذهباً • • وكذلك قول نصيب
فما جوا فأتنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنتُ عليك الحقائقُ
• • وقال الجاحظ نحن قوم لسحر بالبيان ونموه بالقول • • الثانى من التقسيم الاول من
الكناية وهو الذى يقبح ذكره ولا يحسن استعماله كقول أبى الطيب المتنبي
إني على شغفى بما فى مُخمرِها لا أعفُ عما فى سراويلِاتها
فان هذه كناية عن النزاهة والعفة وعلم الله أن الفجور لا حسن منها • • وقد ذكر الشريف
الرضى هذا المعنى فابرزه فى أجمل صورة فقال

أحنُّ الى ما يضمنُ الخمرُ والحلى وأصدِفُ عما فى ضمانِ المآزر
ألا ترى الى هذه الكناية ما الطفها والمعنيان سواء • وبهذا يعرف فضل الشاعرين
أحدهما على الآخر وذلك اذا أخذنا معنى وأحد أفصاغه أحدهما أحسن صياغةً تميزه

﴿ القسم الثامن عشر ﴾

(التعريض)

وقد اختلف فيه مذاهب بعض علماء هذا الشأن فذهب بعضهم الى أن الكناية والتعريض بمعنى واحد وبعضهم فرق بينهما . . قال ابن الاثير في جامعه في الكناية والتعريض ان لهذا النوع من الكلام موقعا شريفاً ومحلا كريماً وهو مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانباً وذلك نوع من علم البيان لطيف وقد تكلم جماعة من المؤلفين في هذا الفن وخلطوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما بل أوردوا لهما من النظم والنثر وأدخلوا أحد القسمين بالآخر وذكروا للكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فمنهم أبو محمد بن سنان الخفاجي وأبو هلال العسكري والغامدي فأما ابن سنان فإنه ذكر في كتابه قول امرئ القيس

وَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقَّ كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَذَلْتُ صَعْبَةً أَيْ إِذْلال

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباشرة وهو مثال للتعريض . وسنورد لك أيها الناظر في كتابنا هذا فرقا بين الكناية والتعريض ونميز أحدهما عن الآخر فنقول وبالله التوفيق . ان الكناية هي أن يذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كما كفى الله عز وجل عن الجماع بالمس فان حقيقة المس هي الملامسة يقال مسست الشيء اذا لمستته ولما كان الجماع ملامسة بالابدان وزيادة أمر آخر أطلق عليه اسم المس مجازاً وضد الكناية التصريح . وأما التعريض فهو أن يذكر شيئاً يدل به على شيء لم يذكره وأصله التلويح عن معرض الشيء وهو جانبه ويبت امرئ القيس ضربه مثالا للكناية وهو عين التعريض فان غرضه من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لما استقبح ذكره لم يذكره بل ذكر كلاما آخر ودل به عليه لأن المصبر الى الحسنى ورقة الكلام يفهم منها ما أرادته امرؤ القيس من المعنى

وذلك مما لا يخفاء به وحيث تبيين الفرق نشرع في أقسام كل واحد من الكناية والتعريض
فقول . . ان الكناية هي على قسمين . أحدهما ما يحسن استعماله وهو الذي نحن بصدد
ذكره هاهنا والآخر ما لا يحسن استعماله وقد تقدم بيانهما . وأما التعريض فقد ميزه الله
تعالى في خطبة النساء فقال جل . من قائل « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء » قال المفسرون التعريض بالخطبة أن يقول لها وهي في عِدَّة الوفاة انك الجميلة
وانك لحسنة وانى اليك لشيق وان قدر الله شيئاً فهو يكون وما أشبه ذلك . ومما هو من
التعريض قوله حكاية عن عبدة الاصنام حين كسرها ابراهيم عليه السلام « أنتَ فعاتَ
هذا يا إلهيتا يا ابراهيمُ قال بل فعله كبيرُهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون » يعنى أن كبير
الاصنام غضب ان تعبد هذه الاصنام الصغار معه فكسرها ففرض ابراهيم صلوات الله
عليه وسلامه من هذا الكلام اقامة الحجة عليهم لانه قال - فسألوهم ان كانوا ينطقون -
هذا على سبيل الاستهزاء بهم . وهذا من رموز الكلام والقصد فيه ان ابراهيم عليه
السلام لم يكن القصد الصادر عنه الى الصنم انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على
أنه أسلوب من الفصاحة آخر يقتضى أن يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم
وتبكيتهم والاستهزاء بهم . ومن بديع التعريض قوله تعالى « قال الملاة الذين كفروا
من قومه ما نراك الا بشراً مثلاً وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا » الى قوله
« بل نظنكم كاذبين » فقلوه - ما نراك الا بشراً مثلاً - تعريض انهم أحق بالنبوة منه
وأن الله لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملائكة
وموازن لهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم بها ألا ترى الى قوله تعالى حكاية عنهم
- وما نرى لكم علينا من فضل - . ومن مشكلات التعريض حديث عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه قال حكى المرأة الصالحة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون أن النبي
صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو محتضن أحداً بنى ابنته وهو يقول والله انكم
لتعجبون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن رنجان الله وان آخر وطئة وطئها الله بوج
. . اعلم أن - وج - وادٍ بالطائف والمراد غزاة حنين واد قبل وج لانها آخر غزاة وقع بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين وأما غزوات الطائف وتبوك اللتان كانتا بعد

حين فلم يكن فيهما وطأة اى قتال وانما كانتا مجرد مخرج الى الغزاة حنب من غير ملاقة العدو أعنى ولا قتال لهم ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله - وان آخر وطأة وطئها الله بوج - على ما قبله من الحديث وهو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لأن غزوة حين كانت فى شوال سنة ثمان ووفاته كانت فى ربيع الاول من سنة احدى عشرة وبينهما ستان ونصف وكأنه قال - وإنكم من ربحان الله - أى من رزق الله وأنا مفارقكم عن قريب إلا انه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله - وان آخر وطأة وطئها الله بوج - فكان ذلك تعريضاً لما أراد وقصده من قرب وفاته ومفارقته إياهم يعنى اودلاه وهذا من أغرب التعريضات وأعجبها • ومن هذا الباب قول الشميدر الحارثي

بني عمنّا لا تذكروا الشعر بعد ما دفتّم بصحراء الغير القوافيا

فان ليس قصده الشعر بل قصده ما جرى بينهم بهذا الموضع من الغلبة لهم والقوة عليهم إلا انه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر ودفعه تعريضاً أى لا تفخرون بعد ذلك الواقعة التى جرت لنا ولكم بذلك المكان • ومن أحسن التعريضات ما كتبه عمرو بن سعد الى المأمون فى حق بعض أصحابه أما بعد فقد استشفع فلان الى أمير المؤمنين ليتطول فى إلحاقه بنظرائه من الخاصة فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك بعد عن طاعته فوقع المأمون فى كتابه قد عرفنا نصيحتك له وتعريضك لنفسك وأجبتك اليهما

- القسم التاسع عشر -

(الاستطراد)

وهو التعريض بعيب انسان بذكر عيب غيره لمتعلق أو نفي عيب عن نفسه بذكر عيب غيره مثل قوله تعالى « وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ » • ومثل قوله تعالى « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ

طائر وثمود • • ومثل قوله تعالى « أَلَا بُعِدًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ ثَمُودَ » ومثل هذا في القرآن كثير • • ومنه في الشعر قول السموءل بن عاديا
 وإنا لقومٌ لا نرى القتلُ سُبَّةً إذا مارأته عامرٌ وسلولٌ
 يُقربُ حبُّ الموتِ آجالنا ونكرهه آجالهم فتطولُ
 • • وقال آخر

ولا عيبَ فينا غيرُ عِرْقٍ لمعشرٍ كرامٍ وَاَنَا لَا نَخْطُ عَلَى الرَّمْلِ
 يريدُ أَنَا كَسْنَا بِحُوسٍ فَإِنَّ الْحُوسَ كَانَتْ تَزْعُمُ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا تَزَوَّجَ أُخْتَهُ أَوْ
 ابْنَتَهُ فَجَاءَتْ مِنْهُ بَوْلٌ أَنَّ ذَلِكَ الْوَلَدَ إِذَا خَطَّ بِيَدِهِ عَلَى دَاءِ الْخَمَلَةِ اِبْرَاهُ

— القسم العشرون —

(في التورية)

وهو أن يعاق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردّها بعينها ويعاقها بمعنى آخر
 وهو في القرآن العظيم كثير • • من ذلك قوله تعالى « حَقٌّ تَوْفَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُلَ اللَّهِ
 اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ » الآية الجلالة الأولى مضاف إليها والثانية مبتدأ بها • وقوله
 تعالى « وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » ومثله قوله
 تعالى « لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ »

— القسم الحادي والعشرون —

(الاحتجاج النظري)

وبعض أهل هذا الشأن يسميه المذهب الكلامي • • وهو أن يذكر المتكلم معنى
 يستدل عليه بضرب من المقول • • ومنه قوله تعالى « أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

والارضَ بقادر على ان يخلقَ مثلهم » • وقوله عز وجل « لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا » • وقوله تعالى « قال من يحيى العظام وهى رميمٌ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » • • • ومنه قول الشاعر

بجرى القضاء بما فيه فلا تلم ولا ملام على ما خط بالقلم
• • وقيل إن الاحتجاج أن يخرج الكلام على طريقة الجدل كقول النابغة
ملوكٌ واخوانٌ اذا ما أتيتهم أحكمٌ فى أموالهم وأقربُ
كفعلك فى قومٍ أراك اصطنعتهم فلم ترهم فى شكر ذلك اذنبوا
سهول لا تلمنى فى مدح آل جفنة وقد أحسنوا الى كما أحست الى قوم فشكروك فلم
ر ذلك ذنباً

- - - - -

❦ القسم الثانى والعشرون ❦

(حس المطالع والمبادئ • ويقال فيه حس الافتتاح)

قال علماء علم البيان • • ومن ضروب هذا العلم حس المطالع والفوائج وذلك دليل
على جودة البيان وبلوغ المعانى الى الاذهان فانه أول شئ يدخل الاذن وأول معنى يصل
الى القلب وأول ميدان يجول فيه تدر العقل وهو فى القرآن العظيم على قسمين • جلى
وخفى • أما الجلى فكقوله تعالى « الحمد لله رب العالمين » • وكقوله تعالى « الحمد
لله الذى خالق السموت والارض وجعل الظلمات والنور » • وقوله « تبارك الذى
بيد الملك وهو على كل شئ قدير » • وأكبر مطالع سور القرآن على هذا النمط
• وأما الخفى فنسل قوله تعالى « ألم ذلك الكتاب » • وقوله « ألم الله لا إله إلا
هو الحى القيوم » • وقوله « المص » • وقوله « حم » • وقوله « ق » والقرآن •
• وقوله « نون والقلم » وما يجرى مجرى ذلك من السور التى أفتتحت بالحروف المفردة
والمركبة وسيأتى الكلام عايتها فى فصل مفرد

— القسم الثالث والمشرون —

(حسن المقطع)

وهو عند أرباب هذا الشأن أن يحتم المتكلم كلامه بكلام حسن السبك بديع المعنى
قانه آخر ما يبقى في الذهن ولانه ربما حفظ من دون سائر الكلام فيتمين أن يجتهد في
رشاقته وحلاوته وجزالته وجميع خواتم سور القرآن في غاية الحسن ونهاية الكمال
لانها بين • أدعية • ووصايا • وفرائض • وقضايا • وتحميد • وتهليل الى غير ذلك من
الخطوات التي لا يبقى للنفوس بعدها تطامع ولا الى ما يعقبها تشوف — كالدعاء — التي ختمت
به سورة البقرة — والوصايا — التي ختمت بها سورة آل عمران — والفرائض — التي
ختمت بها سورة النساء — والتبجيل • والتعظيم — اللذين ختمت بهما سورة المائدة
— والوعد • والوعيد — اللذين ختمت بهما سورة الانعام — والتحريض — على العبادة
يوصف حال الملائكة الذي ختمت به سورة الاعراف — والحض على الجهاد • وصلة
الرحم — التي ختمت بهما سورة الانفال • ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه
وتسليته ووصيته بالتهليل التي ختمت به سورة براءة • وتسليته التي ختمت بها سورة
يونس ومثلها خاتمة سورة هود • ووصف القرآن ومدحه اللذين ختمت بهما سورة يوسف
• والرد على من كذب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ختمت به سورة الرعد •
ومدح القرآن وذكر فائدته والعلة في انزاله التي ختمت به سورة ابراهيم • ووصية
الرسول التي ختمت بها سورة الحجر • وتسليته صلى الله عليه وسلم وطمانينته ووعد
الله سبحانه الذي ختمت به سورة النحل • والتحميد الذي ختمت به سورة سبحان •
وتحضيض الرسول صلى الله عليه وسلم على الابلاغ والاقرار بالبشرية والأمر بالتوحيد
الذي ختمت به سورة الكهف • وما ذكر في نصف القرآن مثال لمن نظر في بقيته
الى غير ذلك من قواصل القرآن

— القسم الرابع والعشرون —

(في براعة الاستهلال)

وهو أن يذكر الانسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاماً دالاً على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه كما قيل لكانب أ كنب الى الامير وعرفه بأن بقرة ولدت حيواناً على شكل الانسان فكتب . أما يعد حمد الله الذي خالق الانام في بطون الانعام . ومنه قوله تعالى « ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفعلون » . ومنه قوله تعالى « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » . ومنه في القرآن كثير . . وشرطه أن لا يتبدأ بشئ يُتعلّق منه كقوله الاخطل

إذا مُت مات الجود وانقطع الندى ولم يبقَ إلا من قليلٍ مُصَرَّدٍ
 . . وان يجنب التشبيب بالاسم المستكره كقول جرير
 وتقول بوزع قد ديت لغيرنا هلاً هويت لغيرنا يا بوزع^(١)
 . . بل يتبدى بالمديح مثل قول أبزون العماني
 على منبر العلياء جدك يخطبُ وللبلدة العذراء سيفك يخطبُ
 وفي النهاية بمثل قول المتنبي
 المجد عوفى إذ عوفيت والكرم و زال عنك الى اعدائك الالم
 . . وقول الآخر

أبشر فقد جاء ما تريد وبأدأ اعداءك المبيد
 . . وفي التشبيب كمثله
 زموا الجمال فقل للماذل الجاني لا عاصم اليوم من مدار أجفاني

(١) هكذا في الاصل والمحفوظ

وتقول بوزع قد ديت على العصا هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

• • وفي المراتي بمثل قول أوس

أيتها النفسُ آتجلى جزعاً إن الذي تحذرين قد وقعا

(قال المصنف) عفا الله عنه هذا النوع قد قدمناه في فصل حسن المطلع لكن الزنجاني رحمه الله أفرد له باباً فأفردناه على حكم ما أفردته وكان في فصل حسن المطلع زيادات يحتاج إليها فذكرناها هنا وهذه الزيادة التي اقتضت أفرادها

❧ القسم الخامس والعشرون ❧

(الانتقال من فن الى فن • ويسمى التخلص • والكلام عليه من وجوه)

الاول في حقيقته • الثاني في سرطه • الثالث في الفرق بينه وبين الاقتضاب •
الرابع في المعنى الذي جىء به من أجله • الخامس في ذكر من هو أحق باستعماله
(أما الاول) فقال علماء علم البيان التخلص هو أن يأخذ المؤلف في معنى من المعاني
فبينما هو فيه اذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الاول سبباً اليه فيكون بعضه آخذاً
برقاب بعض من غير أن يقطع المؤلف كلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكون جميع
كلامه كأنما أفرغ ا فراغا (وأما الثاني) من سرطه أن يكون انتقاله من فن الى فن
ببديع وحسن رصف ووجازة لفظ ورشاقة معنى ليكون الذي انتقل اليه أقرب الى
القلب وأعمق بالنفس من المعنى الذي انتقل عنه (وأما الثالث) فالفرق بينه وبين
الاقتضاب أن التخلص لا يكون الا لعلاقة بينه وبين ما تخلص منه • وأما الاقتضاب
فليس سرطه أن يكون بينه وبين ما قبله علاقة بل يكون كلاماً مستأنفاً منقطعاً عن
الاول (وأما الرابع) فالمعنى الذي جىء به من أجله شيان • أحدهما معرفة حذق
المتكلم وقوة ملكته في التلعب بالكلام وتصرفه فيه وطول باعه واتساع قدرته في
الفصاحة والبلاغة • والثاني التفنن بحصول ملاذ كثيرة وتكون لذته بأمور اقتضاها
اعمال الفكرة فيما يتخلص به من بديع المعنى ورشيق اللفظ وحسن النسق (وأما الخامس)

فالأحق باستعماله الشاعر فإن الشاعر تحصره القوافي والاوزان فيضيق عليه النطاق اذا اقتصر على معنى واحد فتدعو حاجته الى الخروج من فن الى فن ومن معنى الى معنى ليتسع نطاقه ويتحقق ارفاقه بخلاف النثر فانه مطلق العنان ممدود الباع منبسط البنان يمضي حيث شاء ويتفنن في الانشاء . . وقد ورد في القرآن العظيم من هذا النوع آيات كثيرة . منها قوله تعالى « قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خافني فهو يهدين » لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم الى ذكر صفات الله عز وجل قال - ان أولئك أعداء لي إلا الله - فانقل بطريق الاستثناء المنفصل وهو خبر من غيره من الكلام ومثله في القرآن كثير

﴿ القسم السادس والعشرون ﴾

﴿ في الاقتضاب . والكلام عليه من وجوه ﴾

الاول في حقيقته . الثاني في المعنى الذي أنى به من أجله . الثالث في أقسامه الرابع في أدواته . الخامس في العرق بينه وبين التخاص . السادس في ذكر اختلاف الأئمة في الأبلغ منهما . أما الأول : فقال علماء علم البيان ان الاقتضاب ضد التخاص وذلك أن يقطع الناطم كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من مدح أو محام أو غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة بالأول ولا تافيق بينه وبينه وهو مذهب القدماء وادلك قال أبو العلاء محمد بن غام الغساني ان كتاب الله العزيز خال من الاقتضاب والتخلص . وهذا القول فاسد . لأن حقيقة التخلص انما هي الخروج من كلام الى كلام آخر غيره بلطفية تناسب بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج اليه وفي القرآن العظيم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير والانذار والبشارة بالجنة الى أمر ونهي ووعد ووعيد ومن محكم الى متشابه ومن صفة لشيء ونسبة لشيء منزلة

الى ذم شيطان مرید وجبار عنید بلطائف دقيقة ومعان آخذة بالقلب أنيقة . . فما جاء من التخلّص في القرآن الكريم قوله تعالى « واثق عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لآبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون » الى قوله « فلو أن لنا كرةً ففككون من المؤمنين » الآيات . هذا كلام يذهل العقول ويختار الالباب وفيه كفاية لطالب البلاغة والمنتصب لهذه الصناعة فانه متى أنعم فيه النظر وتدبر أنباءه ومطاوى حكمته علم أن في ذلك غنى لمن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن . ألا ترى أيها المتأمل ما أحسن ما رتب إبراهيم عليه الصلاة والسلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولاً عما يعبدون سؤال مقرر لاسؤال مستفهم ثم أنحى الى آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع والى تقليد آبائهم الاقدمين فكشفه وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم أراد الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذى لا تجب العبادة لإلهه ولا ينبئ الرجوع والالابة الا اليه فصور المسئلة في نفسه دونهم لقوله - فانهم عدو لى الآ رب العالمين - على معنى انى فكرت فى أمرى فرأيت عبادتى لها عبادة العدو وهو الشيطان فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك انها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم الابما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى لهم الى القبول وأبعت على الاستماع منه ولو قال - فانهم عدو لكم - لم تكن بتلك المثابة فتخلص عند تصويره المسئلة في نفسه الى ذكر الله تعالى وأجرى تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه وتعميد نعمه من لدن خلقه وإنشائه الى حين وفاته مع ما يرجو فى الآخرة من رحمته ليعلم بذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة وواجب على الخلق الخضوع له والاستكانة من عظمتهم ثم خرج من ذلك الى أدعية مناسبة فدعا الله بدعوات الخالصين وابتهل اليه ابتهاال الأوابين لأن الطالب من مولاه والراغب اليه اذا قدم قبل سؤاله وضراعه الاعتراف بالنعمة والاقرار بالاحسان كان ذلك أسرع بالاجابة وأنجح لحصول القصد والطلبه ثم أدرج فى ضمن دعائه ذكر البعث يوم القيامة ومجازات الله تعالى لمن آمن به بإثابة الجنة ولمن ضل عن عبادته بالنار فجمع بين الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون من الاصنام سؤال

موجب لهم مستهزء بهم وذكر ما يُدفعون اليه عند ذلك من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى العودة ليؤمنوا . . فانظر أيها المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على لطيفة دقيقة حتى كأنه معنى واحد وخرج من ذكر الاصنام وتقريره لآبيه وقومه من عبادتهم إياها مع ما هي عليه من التعرى عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية وعظم شأنه وعدد نعمه ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الا له ثم خرج من هذا الى دعائه إياه وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة وثواب الله عز وجل وعقابه فتدبر هذه التخليصات اللطيفة وضم هذا الى غيره من تضمين هذا الكلام بأنواع من صناعة التأليف وهي الإيجاز والكناية والتقديم والتأخير ثم لإنباء الفعل الماضى عن الفعل المضارع . فأما الإيجاز فلا خفاء به على العارف بما أشرنا اليه فى بابه الذى سبق ذكره أولا وان من جملة قوله تعالى « وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين » فانه جمع الترغيب فى طاعته والترهيب من معصيته مع عظمهما ونغامة شأنهما فى هذه الكلمات اليسيرة . وأما الكناية فقوله - وبرزت الجحيم للغاوين - والغاوين هنا كناية عن آبيه وقومه ويدل على ذلك قوله وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله - لان كلامه فى الاول كان معهم فى عبادتهم للاصنام . وأما التقديم والتأخير فانه ذكر ابراهيم النعمة وتعدد الاحسان قبل الدعاء وطلب الحاجة . وأما انابة الفعل الماضى عن المضارع فقوله - وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله - بعد قوله - ولا تحزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم - وفى ذلك من الفائدة ما أشرنا اليه فى بابه وقد سبق ذكره (وأما الثانى) فالمعنى الذى أتى به من أجله تشوف النفس بعد قطع الكلام الاول الى الكلام الثانى الذى بعده ولا سيما اذا لم يكن بفاصلة فانه يدل على تمكن المتكلم فى البلاغة وقوة ملكته فى التلعب بالكلام وجودة فكرة المؤلف وحسن فطرة السامع وصحة ذهنه (وأما الثالث) فقال علماء البيان هو على قسمين . منه ما يكون بفاصلة . ومنه ما لا يكون بفاصلة وهو بالفاصلة أحسن

لأن بها نتشوف النفس الى المعنى الثانى فتكون له لذآذة أشد مما اذا ورد بغتة (وأما الرابع) فأدواته فواصله وهى - أما بعد - وقيل إن أول من تكلم بهارسل الله ثم تداولها الناس بعده - وهذا - وهذه - وقد يذكر لهما خبر كقوله تعالى « هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب » وقد لا يذكر لهما خبر كقوله تعالى « هذا وإن للطاغين لشر مآب » وكما قال الشاعر

هذا وكم لى بالجنينة سكرة أنا من بقايا شربها مخور

• • وقد قال ابن الاثير فى جامعہ فى قوله تعالى « واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار » الى قوله « جنات عدن مفتحة لهم الأبواب » ألا ترى ما ذكر قبل هذا ذكر من ذكر من ذكر من الأنبياء وأراد أن يذكر بعده بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها فقال - هذا ذكر - ثم قال - وإن للمتقين لحسن مآب - ويدل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال - هذا وإن للطاغين لشر مآب - وذلك من فعل الخطاب الذى هو اللطف موقعا من التخلص فاعرفه • • ومن بديع الاقتضاب قوله تعالى « ويل للمطففين » الى قوله « لرب العالمين » ثم اقتضب فقال « كلاً إن كتاب الأبرار لى عاتين » • • وهو فى القرآن كثير جداً وأكثر ما يرد فى ذكر القصص وهذا من النوع الاول من الاقتضاب لأنه بلا فاصلة • • وقال ابن الاثير ومما استطرف من هذا النوع قول ابن الزملى (١)

وليل كموج البر قعدي ظمة وبرد أعانيه وطول قرؤنه
سريت ونوى فيه نوم مشرد كعقل سليمان بن فهديودينه
على أولق فيه التفات كأنه أبو جابر فى خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء النهار كأنه سنا وجه قرؤاس وضوء جبينه

وقال إن هذه الابيات لها حكاية وذلك أن هذا المدوح كان جالسا فى ندمائه فى ليلة

(١) ابن الزملى كان هذا تصحيح منا اعتماداً على حفظنا وفى الاصل ابن الزملى كلمة

• • وقد أورد الابيات التوخي فى كتابه الاقصى القريب فى باب الشخص والاقتضاب

ولم بسم القائل

من لبالي الشتاء وفي جملتهم هؤلاء الذين هجأهم الشاعر كان البرقيدي مغنياً وسليمان بن
فهد وزيراً وأبو جابر حاجباً فالتمس الممدوح من الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه
« قال المصنف عفا الله عنه » هذا الذي ذكره ابن الاثير قد أوردته علماء علم البيان في
باب الاستطراد وهو به أمس وأليق

- القسم السابع والعشرون -

(في التطبيق)

ويسمى المطابقة والطباق والتكافؤ والتضاد . والكلام عليه من وجوه

الاول في حقيقته . الثاني في اشتقاقه . الثالث في أقسامه (أما الاول) فقال علماء
علم البيان هو أن يجمع في الكلام بين متضادين مع مراعاة التقابل بحيث لا يضم الاسم
الى الفعل ولا الفعل الى الاسم وهو كقوله تعالى « فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً »
وقوله تعالى « وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود » . وقوله تعالى « سواء منكم من أسر
القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسار به بالنهار » . وقوله تعالى « قل
اللهم ملاك الملك توئى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعز من تشاء وتذل
من تشاء بيدك الخير » الى قوله « وترزق من تشاء بغير حساب » . وقوله تعالى
« وأنه هو أضحك وأبكى » ومثله في القرآن كثير . ومن ذلك في أشعار العرب
ومخاطباتهم كثير . فنن بديع أشعار العرب قول الحارث بن حلزة

بأننا نوردُ الرايات بيضاً ونُصدرُهنَّ نحرأقدرويند

جمع في هذا البيت بين الطباق والمقابلة . . وأبدع منه قول بعض المتأخرين

فأوردَها بيضاً ظمأ صدورها وأصدرَها بالري ألوانها حمر

. . قال ابن الاثير أجمع جماعة علماء من أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة في الكلام

هى الجمع بين السى وضده كالبياض والسواد والليل والنهار وخالفهم في ذلك أبو الفرج

قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة ايراد لفظتين متساويتين في البناء والصفة مختلفتين في المعنى وهذا الذى ذكره قدامة هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء لا مشاحة فيها إلا اذا كانت مشتقة ولتنظر نحن فيما حمله على ذلك • والذى حمل قدامة على ذلك ما اقتضاه اشتقاق لفظ الطباق وسنبينه « وأما الثانى » فاشتقاق الطباق وأصله فى اللغة من طابق البعير فى سيره اذا وضع رجله • موضع يده وهذا يقوى قول قدامة لان اليد غير الرجل لا ضدها والموضع الذى يقعان فيه واحد فكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذى يجمعهما واحداً • • وأما الجماعة فيحتمل أن يكونوا رأوا أن الرّجل مخالفة لليد فراعوا المخالفة والضد مخالف للضد لا اجتماع لهما وهذا عين التضاد • ويجوز أن يكون الجماعة سموا هذا الضرب من الكلام مطابقة تسمية مرتجلة لا اشتقاق لها ولا مناسبة وهذا هو الظاهر من هذا الأمر إلا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم يطلع عليها غيرهم والصحيح هو الأول لأن بعضهم سماه التضاد وهذا دليل على مراعاة الاشتقاق « وأما الثالث » فقد قسم أرباب علم البيان الطباق الى قسمين • لفظي • ومعنوي • • أما اللفظي فهو على قسمين • الاول ما قدمناه • والثانى أن يجمع بين شيئين موافقين وبين ضديهما ثم اذا اشترطهما بشرط وجب أن يشترط ضديهما بضد ذلك الشرط كقوله تعالى « فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى » الآية • فكما جعل التيسير لليسرى مشروطاً بالاعطاء والتقى والتصديق جعل ضده وهو العسر مشروطاً بأضداد تلك الامور وهى المنع وعدم الاتقاء والاستغناء والتكذيب • • وأما المعنوي فعلى قسمين الاول أن يزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحتري

(١)

• • والثانى فى النفي كقول البحتري أيضاً

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ النَّوَى وَيَسْرِى إِلَى الشَّوْقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

• • والطباق فى القرآن كثير • • ومنه فى السنة قوله صلى الله عليه وسلم - علم الانساب

علم لا ينفع وجهل لا يضر - وقوله صلى الله عليه وسلم في مدح الانصار - إنكم لتقولون
عند الطمع وتكثرُونَ عند الجزع .. ومن الطباق البديع قول الشاعر
إنَّ هذا الربيعَ شئٌ عجيبٌ تضحكُ الارضُ من بُكاءِ السماءِ

❦ القسم الثامن والعشرون ❦

رُ المقابلة • والكلام عليها من وجوه

الأول في حقيقتها • الثانى فى اشتقاقها • الثالث فى أقسامها • الرابع فى الفرق
بينها وبين الطباق (أما الأول) فقال جماعة من العلماء بهذا الشأن المقابلة ذكر الشئ
مع ما يوازيه فى بعض صفاته ويخالفه فى بعضها .. وقال بعضهم المقابلة أن تضع معانى
تريد الموافقة بينها وبين غيرها أو مخالفة فتأتى فى الموافق بما وافق وفى المخالف بما
خالف وتشترط شروطاً وتعدد أحوالاً فى أحد المعنيين فيجب أن تأتى فى الثانى بما
يوافقه بمثل ما شرطت وعددت وفيما يخالفه بأضداد ذلك كقوله تعالى « فأما من
أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى
فسنيسره للعسرى » وكقول الشاعر

فيا عجيباً كيف اتفقنا فناصرُ وفى مطوى على الغلِّ غادرُ

(قال المصنف عفا الله عنه) قال الامام نحر الدين رحمه الله هذا النوع فى فصل الطباق
وذكره الزنجاني فى فصل المقابلة والذى اختاره العلماء المتقدمون فى هذا الفن أن المقابلة
ذكر الشئ مع ما يوازيه فى بعض صفاته ويخالفه فى بعضها كما تقدم (وأما الثانى) فالمقابلة
مصدر من قابل الشئ الشئ يقابله مقابلة اذا واجهه وصار ماثلاً أمامه وهو من باب
المفاعلة كالمضاربة والمقاتلة وأصله فى الاجرام يقال قابل الشخص الشخص والجبل الجبل
اذا واجهه وناوحه اذا صار موازياً له ماثلاً أمامه ثم توسع فيه حتى استعمل فى المعانى
ولما وضع المؤلف الكلمة بازاء الكلمة الأخرى والمعنى بازاء المعنى الآخر حصلت
المقابلة من جهة اللفظ تارة ومن جهة المعنى أخرى (وأما الثالث) فأقسامها ثلاثة

مقابلة لفظية • وهى على قسمين وقد تقدم • ومقابلة معنوية • وهى على قسمين أيضاً •
الاول أن يقابل معنىً بمعنىً مثل « إنَّ لك أن لا تجوعَ فيها ولا تعرَى وأنتك لا تظأُ
فيها ولا نصحى » وجهُ المقابلة فى هذه الآية أن - الجوع - هو خلوُّ الباطن - والعرى -
خلوُّ الظاهر - والظأُ - احتراق الباطن - والضحى - احتراق الظاهر • فقابل الخلو
بالخلو والاحتراق بالاحتراق • والثانى أن يجيىء فى السلب كقول الفرزدق

لعمري لئن قلَّ الحصى فى رحلِكُم بنى نهشل ما لؤمكم بقليلٍ

• والثالث المقابلة الفاسدة وهو أن يقابل الشئ بما لا يوافقه ولا يخالفه كقول الكعبى
وقد رأين بها حوراً منعمةً بيضا تكامل فيها الدل والشنبُ

-والشنب- لا يشا كل الدل • وهذان القسمان ذكرهما الزنجاني فى تكلماته • والمقابلة
قريب من الطباق للمشابهة من بعض الوجوه والمخالفة من وجهين نذكرها بعد هذا
القسم (وأما الرابع) فالفرق بين المقابلة والطباق من وجهين • الاول أن الطباق
لا يكون إلا ضدّين غالباً مثل قوله تعالى « وهو الذى يُميتُكم ثم يُحييكم » وأشبه ذلك
• والمقابلة تكون غالباً بالجمع من أربعة أضداد • ضدّين فى أصل الكلام • وضدّين فى
عجزه • وتبلغ الى الجمع من عشرة أضداد • خمسة فى الصدر • وخمسة فى العجز • • الثانى
لا يكون الطباق إلا بالأضداد والمقابلة تكون بالأضداد وغيرها • وقد ورد فى أشعار
العرب والمتأخرين أبيات كثيرة يتضمن البيت منها مقابلاتين وطباقين • • فن ذلك قول
الحارث بن حلزة

بأنّا نورِدُ الرايات بيضاً ونُصدِرُهنَّ حمرّاً قدرونا

• • ومن ذلك قول بعض المتأخرين

فأوردها بيضاً طماء صدورها وأصدرها بالرّى ألوانها حمر

• • قال ابن الاثير فى جامعه ان الطباق أحد أنواع المقابلة لانه لا يخلو الحال فى ذلك
من ثلاثة أقسام • اما أن يقابل الشئ بضده أو بغيره أو بمثله وليس لنا قسم رابع •
فأما الاول وهو مقابلة السئ بضده كالسواد والبياض وما أشبه ذلك كقوله تعالى
« فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً » ألا ترى الى صحة هذه المقابلة البديعة حيث قابل

الضحك بالبكاء والقليل بالكثير . وكذلك قوله تعالى « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » وهذا أحسن ما يجيء في هذا الباب . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - خير المال عين ساهرة لعين نائمة - ومن هذا قول بعضهم في السحاب وله بلا حزن ولا فرح ضحك يراوح بينه وبكا

فقابل الضحك بالبكاء والحزن بالسرور في بيت واحد ألا أن في ذلك نظراً من حيث ترتيب التفسير لا من حيث المقابلة لأن ترتيب التفسير يفتضى أن كان قال - بلا حزن ولا مسرة بكاء يراوح بينه وضحك - وهذا لا كبير عيب فيه . وإنما الأولى والأليق ما أسرنا إليه فاعرفه . . وقال آخر

فلا الجودُ يُفنى المالَ والجُدُّ مقبِلٌ ولا البخلُ يَبقى المالَ والجَدُّ مُدْبِرٌ . . ومثله قول البحتري

وأمة كأن قبحُ الجورِ يُسخطها دهرأ فأصبح حسنُ العدلِ يُرضيها
فقابل القبح بالحسن والجور بالعدل والسخط بالرضا وذلك بديع في بابهِ فاعرفه .
وأما القسم الثاني وهو مقابلة الشيء بغيره فهو ضربان . أحدهما ما كان بين المقابل والمقابل له مناسبة وتقارب كفول بعضهم

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةً ومن أساء أهل السوء إحساناً
والظلم ليس ضد المغفرة وإنما هو ضد العدل ألا أنه لما كانت المغفرة قريبة من العدل مناسبة له حسنت المقابلة لها وبين الظلم وأمثال هذا كثير . وأما القسم الثاني أن يقابل الشيء بالشيء وبينهما بُعد ولا يناسبه بحال من الأحوال . أقول وذلك لا يحسن استعماله في التأليف . . ومما جاء منه قول بعضهم

أَمْ هَلْ ظَعَائِنُ بِالْعِلْيَاءِ رَافِعَةٌ وَإِنْ نَكَامِلُ مِنْهَا الدَّلُّ وَالشَّنْبُ
فإن ذلك غير مناسب لأنه إنما كان يحسن أن يكون مع الدل الفنج أو ماقاربه ومع الشنب اللبس أو ما يجري مجراه من اوصاف الثغر والفم . وأما الثالث فهو أن يقابل الشيء بمثله وهو ضربان . أحدهما التقابل في اللفظ والمعنى . والآخر التقابل في المعنى دون اللفظ .
أما التقابل في اللفظ والمعنى فكقوله تعالى « وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرُنًا مَكَرًا » . وقوله

تعالى « فَنَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ » . وأما التقابل في المعنى دون اللفظ فهي مقابلة الجملة لمثلها
مستقبلة كانت أو ماضية فإن كانت ماضية قوبات بالماضية وإن كانت مستقبلة قوبات
بالمستقبلة وربما قوبل الماضي بالمستقبل والمستقبل بالماضي وذلك إذا كان أحدهما في معنى
الآخر . فمن ذلك قوله تعالى « قل إن ضللتُ فأنما أضل على نفسي وإن أهديتُ فبما
يوحى إليّ ربّي » فإن هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وإن
اهتديت فأنما اهتديت لها . . . وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى أن النفس كلما
هو عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبالٌ عليها وضار لها فهو بسببها ومنها لأنها أماراة
بالسوء وكل ما هو لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه إياها وهذا حكم عام لكل مكاف
وأنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند إلى نفسه لأن الرسول إذا دخل تحته
مع علو محله وسداد طريقته كان غيره أولى به . ومن هذا الضرب قوله تعالى « ألم يروا
أنّا جعلنا الليلَ ليسكنوا فيه والنهار مُبصراً إنّ في ذلك لآياتٍ لقوم يؤمنون » فانه لم
يراعِ التقابل في قوله - ليسكنوا فيه فيه . ومبصراً - لأن القياس يقتضى أن يكون
والنهار ليبصروا فيه وأنما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ وهكذا الظم
المطبوع الغير المتكلف لأن معنى قوله مبصراً ليبصروا فيه طرق التقابل في الحاجات . ومن
مقابلة الشيء بمثله أنه إذا ذكر المؤلف ألفاظاً تقتضى جواباً فالمرضى عندنا أن يأتي بتلك
الالفاظ في الجواب من غير عدول عنها إلى غيرها مما هو في معناها . فمن ذلك قوله تعالى
« وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها » . ومما عيب في هذا الباب قول بعضهم من اقترف ذنباً عامداً
أو اكتسب جرماً قاصداً لزمه ما جناه وحق به ما توخاه . والاليق ان كان قال لزمه
ما اقترف وحق به ما اكتسب ليكون أحسن طباقاً وإن كان ذلك جائزاً في الكلام
من حيث أن معناه صواباً لكنه عدول عن الأليق والاولى في هذا الباب وأمثاله كثيرة
فأصرفها . . . واعلم ان في تقابل المعاني بابا عجيب الامر يحتاج إلى فضل تأمل وزيادة نظر
وتدبر وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالأعجاز من أبيات الشعر . . . فما جاء
من ذلك قوله تعالى في حق المنافقين « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا » إلى
قوله « ولكن لا يشعرون » . وقوله تعالى « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا »

الى قوله « ولكن لا يعلمون » ألا ترى كيف فصل الآية الاخيرة بـ يعلمون والآية التي قبلها يشعرون وانما فعل ذلك لان أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة والعلم ولذلك قال - ولكن لا يشعرون - وأما النفاق وما فيه من المعنى المؤدى الى الفتنة والفساد فى الارض فأمر دنيوى مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصاً عند العرب وما كان فيهم من التجارب والتعاون فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال - يعلمون - وأيضاً فإنه لما ذكر السفه فى الآية الاخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقاً فقال - لا يعلمون - وآيات القرآن العظيم جميعها فصلت هكذا كقوله تعالى « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء - فنصبحت الارض مخضرة إن الله لطيفٌ خبيرٌ » . وقوله « له ما فى السموات وما فى الارض وإن الله لهو الغنى الحميد » . وكقوله « ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات والارض والفلak تجري فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا ماذنه إن الله بالناس لرؤوفٌ رحيمٌ » فإنه انما فصلت الآية باطيف خبير لان ذلك فى موضع الرحمة لخلقه بانزال الغيث واخراج النبات من الارض ولانه خير بمنفعتهم وضررتهم فى انزال الغيث وغيره . وأما الآية الثانية فانما فصلت بغنى حميد لانه له ما فى السموات وما فى الارض فعرف الناس أن جميع ما فى السموات وما فى الارض له لا حاجة بل غنى عنها جواد بها لان ليس غنى نافعاً بغناه الا اذا كان جواداً منعماً واذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر الحميد - ليدل على أنه الغنى النافع بغناه خلقه . وأما الآية الثالثة فانها فصات - برؤوف رحيم - لانه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما فى الارض لهم واجراء الفلك فى البحر لهم وتسييرهم فى ذلك الهول العظيم وجعله السماء فوقهم وامساكه اياها عن الوقوع حسن أن يفصل ذلك بقوله - رؤوف رحيم -

﴿ القسم التاسع والعشرون ﴾

﴿ الاحتراس ﴾

وهو أن يذكر لفظاً ظاهره الدعاء بالخير والنفع وذلك بما في ضمنه مما يوهم الشر فيذكر فيه كلمة تزيل ذلك الوهم وتدفع ذلك الوهن مثل قوله تعالى « يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا » وكان في العادة أن من تكلم في المهد لا يعيش ولا يتأدى به العمر فصل الاحتراس بقوله تعالى - وكهلاً - يريد أنه ليس يموت عاجلاً كأمثاله ممن تكلم في المهد بل يعيش إلى أن يبلغ الكهولة . ومنه قوله تعالى « وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ » أزال بقوله - من غير سوء - توهم أن بياض اليد من برص وغيره . . . وقد ورد في أشعار العرب من هذا كثير . من ذلك قول بعضهم

فسقا ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهيم

فاحترس بقوله - غير مفسدها - لأن تكرار الماء على الديار مما يوجب الدمار . . وقال آخر

ألا فاسلمى يا دارمى على اليبلا ولا زال منها لا بجرعائك القطر

فاحترس بقوله - ألا فاسلمى - ومثله في القرآن والشعر كثير

﴿ القسم المو في ثلاثين ﴾

﴿ الاختصاص ﴾

وهو عند الأصوليين التخصيص واختافت فيه عبارات أهل العلم . . فقال بعضهم هو اخراج صورة من حكم كان يقتضيها الخطاب به لولا التخصيص وهو شبيه بالنسخ من حيث اشتراكهما في الابس ومن حيث أن كل واحد منهما يقتضي اختصاص الحكم ببعض ما تناوله اللفظ إلا أنهما يفترقان من وجوه خمسة . الاول أن الناسخ أبدا

لا يكون إلا متأخراً عن المنسوخ كذا وقع في جميع ما نسخ من الكتاب والسنة إلا في آيتين . أحدهما قوله تعالى « مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ » قلها منسوخة بما قبلها وهو قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَزُوغُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً » وهذا على خلاف الأصل وقد يعتذر عن هذا بأن آية الحول إنما نسخت بالسنة لكن لا يتأتى هذا إلا على قول من يقول إن السنة تنسخ الكتاب . وأما على قول أنها لا تنسخه فلا يتأتى هذا . وقد يقال إن آية الحول نزلت قبل آية الأشهر ولكن آية الأشهر أثبتت في الصحف قبلها فكان آية الحول متقدمة في النزول متأخرة في التلاوة (الثاني) أن النسخ لا يكون إلا بخطاب رفع به حكم الخطاب الأول والتخصيص قد يقع بقول وفعل وقياس وغير ذلك (الثالث) أن نسخ الشيء لا يكون إلا بما هو مثله في القوة أو بما هو أقوى منه في الرتبة والتخصيص جائز بما هو دون المخصوص في الرتبة (الرابع) أن التخصيص لا يقع في حكم واحد والنسخ جائز في مثله لاسيما على أصل من يبنى نسخ الشيء قبل وقته (الخامس) أن التخصيص ما أخرج من الخطاب ما لم يرد به والنسخ رافع ما أريد اثبات حكمه . والذي اعتقد عليه المحققون أن التخصيص إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام أو ما يقوم مقامه بدليل منفصل في الزمان إن كان المخصص لفظياً أو بالحس إن كان عقلياً قبل تقرير حكمه . فقولنا - أو ما يقوم مقامه - احتراز من المفهوم فانه يدخله التخصيص . وقولنا - بالزمان - احتراز من المستثنى من الاستثناء . وقولنا - بالحس - لأن العقلي المخصص مقارن . وقولنا - قبل تقرير حكمه - احتراز من أن يعمل بالعام فإن الإخراج بعد هذا يكون نسخاً . . . والتخصيص يسميه أرباب علم البيان الاختصاص عندهم ولا يحسن إلا أن يكون اختصاص الشيء بمعنى ظاهر مثل قوله تعالى « وَإِنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى » اختصاصاً دون سائر النجوم لأنها عُبِدَتْ . وقيل إن النجوم تقطع السماء طولا وهي تقطعها عرضاً . وقيل لأن المنجمين بطلوها يتكلمون على المغيبات وما يحدثه الله في ملكه من الكائنات وينسبون ذلك إلى طلوها وإن هذه الحوادث في كل عام من تأثيرها فرد الله ذلك عليهم بأعلامنا بأنها مدبرة بتقديره مقدرة بتقديره متصرفة بمشيئته إذ هو ربها ورب كل شيء وهو على

كل شيء قدير .. ومن هذا النمط قوله تعالى « فيهما فاكهة ونخل ورمان » وهذا لا يتأتى إلا على قول من يقول أن الرمان والرطب فاكهة . وأما على قول من يقول أنهما ليسا من الفاكهة فلا يكون من هذا النوع .. ومن ذلك قوله تعالى « من كان عدواً لله وملائكته ورُسُله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » أعاد الله ذكر جبريل وميكال مع أنهما من الملائكة بلا خلاف لخصوصية فيهما إما لأمر اختص بعلمه بهما اقتضى تخصيصهما أو لأن جبريل روح الله وأمينه على وحيه وميكال أمينه على خزائن فتحه ورحمته . وفي أشعار العرب كثير من ذلك نحو قول الخنساء أخت صخر

يَذْكُرْنِي طُلُوعَ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَنْدُبَهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ

وانما خصت هذين الوقتين لأن طلوع الشمس يذكرها بغارته على أعدائه وغروبها يذكرها باقراءه ضيفانه فاخصت لهذين الوقتين من بين سائر الاوقات لهذين المعنيين . وعبارات التخصيص ثلاثة . الأولى انما جاءني زيد . الثانية جاءني زيد لا عمرو . والثالثة ما جاءني الا زيد . فيفهم من الأولى تخصيص . مطلق المجيء أو تخصيص مجيء معين ظنه مخاطب مخصوصاً بغيره أو مشاركاً بغيره فيه فأفاد اثباته لزيد ونفيه عن غيره دفعة واحدة ومن الثانية في دفتين والثالثة بأصل الوضع تفيد نفي التشريك ولهذا لا يصح ما زيد الا قائم لا قاعد لا بك بقولك - إلاقائم - نفيت عنه كل صفة تنافي القيام فيندرج فيه نفي القعود فيقع - لا قاعد - تكراراً ويصح إنما زيد قائم لا قاعدان صيغة - انما - موضوعة للتخصيص ويلزمه نفي الشركة فليس له من القوة ما يدل عليه بالوضع ولهذا يصح زيد هو الجاني لا عمرو فدلالة الأوليين على التخصيص أقوى ودلالة الثالثة على نفي التشريك وقد تذكر الثالثة في مثل ما اذا ادعى واحد أنك قلت قولاً ثم قات بخلافه فتقول ما قلت الا ما قلته قبل . وعليه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « ما قلت لهم الا ما أمرتني به » ليس المعنى اني لم أزد على ما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولكن المعنى اني لم أدع بما أمرتني به أن أقوله شيئاً ولم يذكر ما يخالفه .. وحكم - غير - اذا وقع موقع - الا - حكم الا .. وأما - انما - فلا اختصاص فيها يقع مع

التأخر فاذا قلت انما ضرب عمرأ زيدا فلاختصاص فى الضارب كما قال سبحانه وتعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » واذا قلت انما ضرب زيد عمرأ فلاختصاص فى المضروب واذا قلت انما هذا لك فلاختصاص فى - لك - بدليل أنك تقول بعده لاغيرك واذا قلت انما لك هذا فلاختصاص فى - هذا - بدليل أنك تقول بعده لا ذلك . قال الله تعالى « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » فاذا وقع بعدها الفعل فاللعنى أن ذلك الفعل لا يصح الا من المذكور كقوله تعالى « إنها يتذكر أولو الالباب » . . . وقد يجمع معها حرف النفي إما متأخراً كقولك انما جاءنى زيد لا عمرو واما مقدماً كقولك ما جاءنى زيد وانما جاءنى عمرو . فهناك لو لم تدخل - انما - كان الكلام مع من ظن أيهما جاءك وان أدخلها كان الكلام مع من غلط فى الجأى ولو قلت ان عمرأ جاءنى فان كانت المستغنى عنها فظهرت فائدة دخول - ما - على - إن - فى - انما - . . . واعلم أن موضوع - انما - أن يحىء فى أمر لا يدفع المخاطب صحته كقوله تعالى « انما يستجيب الذين يسمعون » أو ينزل بعده منزاته كقول الشاعر

إنما مصعب شهاب من الله نجلت عن وجهه الظلماء

فادعى كونه بهذه الصفة مما لا ينكره أحد . ومثله قوله تعالى حكاية عن اليهود « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون » الذى يدعون انهم مصلحون أمر ظاهر معلوم فلذلك أكد الأمر فى الرد عليهم فجمع فيه بين - ألا - التى هى للتنبيه و - إن - التى هى للتحقيق - وهم - التى هى للتأكيد فقال « ألا انهم هم المفسدون » . . . وقال ابن الاثير وهم يرون بالتخصيص فى أعمال العام فى النفي والخاص فى الاثبات مثال ذلك الحيوانية والانسانية فان اثبات الاساية يوجب اثبات الحيوانية ولا يوجب نفيها نفي الحيوانية وكذلك نفي الحيوانية يوجب نفي الاساية ولا يجب من اثباتها اثبات الانسانية . . . ومما يدخل فى هذا الباب الاسماء المفردة الواقعة على الجنس الذى يكون الفرق بينها وبين واحدائها التأنيث فانه متى أريد النفي كان استعمال واحدائها أبلغ ومتى أريد الاثبات كان استعمالها فى الجنس أبلغ . فالاول هو الخاص والعام نحو قوله تعالى « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » ولم يقل

بضوئهم لأن ذكر النور في حالة النفي أبغ من حيث أن الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة فلو قال ذهب الله بضوئهم كان المعنى يعطى نفي تلك الزيادة وبقاء ما يسمى نوراً لان الاضاءة هي فرط الانارة دليله قوله تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً » فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءاً . والغرض من قوله - ذهب الله بنورهم - انما هو ازالة النور عنهم رأسافهو اذا ازاله فقد ازال الضوء . وكذلك قوله تعالى « ذهب الله بنورهم » ولم يقل اذهب الله نورهم لأن كل من ذهب بشئ فقد اذهب به وليس كل من اذهب شيئاً ذهب به لأن الذهاب بالشيء هو استصحابه له ومضى به وفي ذلك نوع احتياز للمذهب به وامساك له عن الرجوع الى حاله والعود الى مكانه وليس كذلك الاذهاب للشيء لزوال معنى الاحتياز وهذا كلام دقيق يحتاج الى زيادة تأمل والعام نظر فافهمه وقس عليه ما أشبهه وبالله التوفيق

--- *** ---

— القسم الحادى والثلاثون —

(الاختراع)

قال علماء علم البيان . . الاختراع هو أن يذكر المؤلف معنى لم يسبق اليه واشتقاقه من التلين والتسهيل يقال نبت خرع اذا كان ليناً فكأن المتكلم سهل طريقه حتى أخرجه من العدم الى الوجود . ومنه في القرآن كثير . . من ذلك قوله تعالى « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعَّفَ الطالب والمطلوب » ولم يُسمع بمثل هذا التمثيل البديع لأحد قبل نزول القرآن ولو سُمع لكان القرآن سابقاً ولا يكون مثله ولا قريباً منه وكذلك جميع أمثال القرآن ليس لها أمثال . . ومثال ذلك من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - حَيَّ الوطيس - فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من تكلم بهذا حين قدم المسلمون خالد بن الوليد في غزوة مؤتة حين حمل خالد في العدو

— والوطيس — هو الثور فعبّر بشدة حبه ووقوده عن شدة الحرب واتقادها واتقاد
نارها حين حمل خالد بن الوليد رضى الله عنه • ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
— السعيد من وعظ بغيره — • ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم — أما بعد — ومثل
هذه الكلمات فى السنة كثير وليس هذا موضع إحصائها ولا محل استقصائها

❦ القسم الثانى والثلاثون ❦

(الهدم)

وهو أن يأتى غيرك بكلام تضمن معنى فتأتى أنت بضده فكأنه قد هدم ما بناء
المتكلم الاول كقول أبى تمام

وبروحى القمر الذى بمحجرى أضهى مصوناً للنوى مبذولا

هدمه بعض الشعراء فقال

وبروحى القمر الذى لم يُبتذل بل حلّ وسط القلب لا بمحجرى

• • وقال البلاذرى

وقد يرفعُ المرءُ اللثيمُ حجابَهُ ضمةً ودونَ المُرْفِ منه حجابُ

هدمه الآخر فقال

ملكٌ أغرٌ محجَّبٌ معرُوفُهُ لا يحجَّبُ

• ومنه فى كتاب الله العزيز كثير • • من ذلك قوله تعالى « وقالت اليهود والنصارى نحنُ أبناءُ الله وأحباؤه » هدمه الله تعالى بقوله « والله لا يحبُ الظالمين » • وقوله
« ما اتخذَ اللهُ من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ » • وقوله تعالى « فلم يُعَذِّبْكم بذُنُوبكم »
تقديره إن كنتم فيما ادعيتم صادقين فلم يعذبكم بذُنُوبكم • ومنه قوله تعالى « وقالت اليهود
عزيرُ ابنِ الله وقالت النصارى المسيحُ ابنُ الله » هدمه الله عليهم بقوله « ذلك قولُهُم
بأفواههم » • وقوله « ما اتخذَ اللهُ من ولدٍ » • ومنه قوله تعالى « إذا جاءكَ المنافقون
قالوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ » هدمه الله بقوله « واللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ »
• • ومثله فى القرآن الكريم كثير وفى الشعر هو كثير أيضاً

القسم الثالث والثلاثون

(الاستفهام)

وهو على قسمين • استفهام العالم بالشيء مع علمه به • ومراده بذلك معارف ستة
(الاول) التقرير ومرادك باستفهامك عن ذلك الشيء أن يقر به الفاعل كقوله
تعالى حكاية عن قوم نمرود «أأنتَ فعلتَ هذا بآلِهتنا يا ابراهيم» ولا شبهة أنه ليس
غرضهم أن يقر لهم بوجود كسر الاصنام ولكن غرضهم أن يقرّ بأن ذلك منه لامن
غيره (الثاني) يراد به الانكار وهو كقوله تعالى «أفأصفاكم ربكم بالبنين» • وقوله
تعالى «أصطفى البناتِ على البنين» والانكار هاهنا في نفس الفعل أنكر الله عليهم كونهم
جعلوا الملائكة إناثا وقالوا هم بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً • وكذلك
قوله تعالى «آلهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» المقصود إنكار أصل الاذن لانكار
انه كان من غير الله وأضافوه الى الله • وكذلك قوله تعالى «آلذِ كَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ
الْأُتَيْنِ» تقديره لو وجدتم التحريم لكان محرماً إما ذا أو ذاك ثم يستدل ببطلان
الاصلين على بطلان القسمين على بطلان أصل التحريم • ومثله قولك للرجل الذي
يدعى أمراً وأنت تنكره - متى كان هذا أفي ليل أم نهار - وتقديره لو كان لكان إمامي
ليل وإمامي نهار ولما لم يوجد فيهما ثبت أنه ليس بموجود أصلاً • فكذلك تقول في
الآية فاتهما نفي لأصل الاذن لنفي أقسامه وذلك أباغ في النفي • وكذلك قوله تعالى
«أَنُلْزِمَكُمُوهَا وَأُتِمَّ لَهَا كَارِهُونَ» حصل الانكار هاهنا بنفس الالتزام • • وكذلك

قول الشاعر

* أَتَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِي *

• • واعلم أن الاستفهام بمعنى الانكار حاصله راجع الى تثبيت السامع على فساد ذلك
الشيء حتى يرجع الى نفسه فيخجل ويرتد عنه فعلى هذا لا يتصور الا بالمحال على سبيل
أن يقال له - أنت في دعواك كمن يدعى المحال - وعلى هذا جعل قوله تعالى «أأنتَ

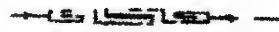
تَسْمَعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الضُّمْنَى » وليس اسماع الصم مما يدعيه أحد فيكون لذلك الإنكار وانما المعنى فيه تنزيل من يحاول اسماعهم منزلة من يحاول اسماع الصم وانما قدم الاسم في هذه الآية ولم يقل - أَفَتَسْمَعُ الصَّمَّ - لمعنى وهو اختصاصه صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى قال له صلى الله عليه وسلم أنت خصوصاً تظن أنك تقدر على اسماعهم فتكون بمنزلة من ظن أن لنفسه قدرة على اسماع الصم . . . واعلم أن حال المفعول في ذلك كحال الفاعل فإذا قدِّمتَ المفعول توجه الإنكار الى كونه بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل فإذا قلت - أزيداً تضرب كان على هذا الحكم ولهذا قدِّمتَ - غير - في قوله تعالى « قل أغير الله أَخَذُ وَلِيًّا » . ومن ذلك قوله تعالى « أَبَشِّرْهُ مِنَّا وَاحِدًا نَبِّئْهُ » وقد تقدم بيانه فانهم بنوا كفرهم على أن البشر ليس بمثابة أن يتبع ويطاع . . . واعلم أن صيغة المستقبل إما أن يكون الاسم مقدماً أو الفعل فان كان الاسم مقدماً اقتضى شبهة بما اقتضاء في الماضي بمطالبتة من الاقرار بكونه فاعلاً فالإنكار لذلك . فنال ذلك قوله تعالى « أَهْم يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ » (الثالث) الاستفهام للمبالغة في الاستحقاق مثل قولك الرجل تستحقه - أنت تمنعني أنت تضربني - ومنه قوله تعالى « أَبَشِّرْهُ مِنَّا وَاحِدًا نَبِّئْهُ » . وقوله تعالى « قل أغير الله أَخَذُ وَلِيًّا » (الرابع) يأتي للمبالغة في التعميم كقولك - أهو يسأل الله أهو يمنعمهم حقوقهم - ومنه قوله تعالى « أَمِّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا » الى قوله « أَلِلَهُ مَعَ اللَّهِ » (الخامس) يأتي للمبالغة في بيان الخساسة كقولك - أهو يسمع لهذا أو يرتاح الى الجميل - ومنه قوله تعالى « أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ » (السادس) يؤتى بالاستفهام ليقع في النفس عذوبة المستفهم عنه واستحلاؤه كقول الشاعر

أَيَا ظَلِيَّةَ الْوَعْنَاءِ بَيْنَ مُجَلَّاجِلٍ وَبَيْنَ النِّقَا أَأَنْتِ أَمْ أَمُّ سَالِمٍ
تقديره أأنت الظلية أم أم سالم . أتى بالاستفهام هاهنا ليوقع في النفس موقعاً عظيماً من الحسن وبديع المحاسن حتى يشكل حالها كمثل محاسنها فيبقى عند ناظرها من ذلك تخييل لا يفرق بسببه بينها وبين الظلية . وهذا النوع يسمى عند أرباب الصناعة التجاهل . . . ومن بديع التجاهل قول مهيار الديلمي

أَأَمَرْتُ أَمْرَتِ الْبَذَرِ أَنْ يَصْدَعَ الدُّجَى وَعَلَّمْتُ غَصْنَ الْبَانِ أَنْ يَتِمَّلَا
.. ومن بديعه أيضاً قول الآخر

وَعُقَّارِ عَيْشٍ مَنْ عَاقَرَهَا عَيْشٌ أَنْ يَقُ
هِيَ لِلزَّهْوِ نِظَامٌ وَالِى الْهَوِ طَرِيقُ
قَاتُ لَمَّا لَاحَ لِي مِنْهَا شُعَاعٌ وَبَرِيقُ
أَشْفِيقُ أَمْ عَقِيقُ أَمْ رَحِيقُ أَمْ حَرِيقُ

.. وأما القسم الثانى من الاستفهام فهو أن يستفهم عن شئ لم يتقدم له به علم حتى
يحصل له به علم . ومنه فى القرآن العظيم وفى الشعر كثير وهذا هو أصل الباب



— القسم الرابع والثلاثون —

(المزلزل)

وهو أن يكون فى الكلام لفظة لو غير وضعها أو أعرابها تغير المعنى . ومنه فى
القرآن العظيم كثير .. من ذلك قوله تعالى « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » لو كسرت
الكاف لتغير المعنى . ومن ذلك قوله تعالى « أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » لو ضُمَّت لاختل المعنى .
ومن ذلك قوله تعالى « وَيَلُومُنِي لَمَكِدَ بَيْنَ » . ومن ذلك قوله تعالى « وَادْرَأْ
أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ » . وقوله تعالى « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » لو غير أعراب
إبراهيم وأعراب العلماء لاختل المعنى .. ومنه فى الشعر قول الوطواط
رسولُ الله كَذِبُهُ الْأَعَادَى فَوَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِلْمَكْذَبِ

ن كسرت ذال المكذب كان حسناً وان فتحت كان قبيحاً وكفراً .. ومن هذا المعنى
قوله تعالى « فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ » نفتح الذال ولو كسرت الذال كان قبيحاً وكفراً

﴿ القسم الخامس والثلاثون ﴾

(التعجب)

ومنه في القرآن العظيم كثير • من ذلك قوله تعالى « فَاَصْبِرْهُمْ عَلَى النَّارِ »
 — ما — هاهنا تعجبٌ والتقدير تعجبوا من صبرهم على النار وقيل هي الاستفهامية
 والتقدير فَأَيُّ صَبْرٍ عَلَى النَّارِ • • ومن التعجب قوله تعالى « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
 مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » والخلاف فيها كاخلاف في الأولى • • ومن ذلك قوله
 يُعَالِي « قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » أي ما أشد كفره • ومثله في القرآن كثير • •
 ومنه في الشعر قول بعضهم

أَيَّا شِعْمًا يُضَى بِلَا انْطِفَاءٍ وَيَا بَدْرًا يَلُوحُ بِلَا احْتِاقٍ
 فَأَنْتَ الْبَدْرُ مَا سَبَبُ انْتِقَاصِي وَأَنْتَ الشَّمْعُ مَا سَبَبُ احْتِرَاقِي

﴿ القسم السادس والثلاثون ﴾

(الساب والايجاب)

قال علماء علم البيان هو أن يورقَ الكلام على اثبات شيء وينفيه في كلام واحد
 وخطبة واحدة أو بيت واحد • وهو في القرآن العظيم كثير • • ومن ذلك قوله تعالى
 « هُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ » • وقوله تعالى « هُوَ يُطِيمُ وَلَا يُطَعَّمُ » • • ومنه في
 الشعر قول السموءل بن عدياء اليهودي

وَتَكِرُّ إِنْ شَتْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ

— القسم السابع والثلاثون —

(الهزل الذى يراد به الجِد)

وهو فى القرآن العظيم فى قوله تعالى « فاليومَ الذين آمنوا من الكفارِ يَضْحَكُونَ »
 روى أن أهل الجنة يُفتح لهم باب من النار فيقولون لمن كان يضحك منهم فى الدنيا
 من الكفار أتدخلون الجنة فيقولون نعم فيقولون لهم هلموا فيتبادرون الى الجنة فيغلق
 الباب دونهم ويضحك منهم المؤمنون ويردون خائبين وليس مراد المؤمنين بذلك القول
 الضحك منهم وانما مرادهم بذلك تبكيهم وتشديد الحزن عليهم .. ومنه قوله تعالى
 « إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ » يعنى يوم القيامة .. ومنه فى السنة قوله
 صلى الله عليه وسلم للعجوز التى سألته عن دخولها الجنة فقال لا يدخل الجنة عجوز
 هزل بها وصدق وقال حقاً فان الله تعالى أخبر عن أهل الجنة فقال « عُرْبًا أَتْرَابًا
 لأصحابِ اليمين » وترَّب الانسان مساويه فى العمر أو مقاربه .. ومنه فى الشعر قوله
 اذا ما تيمى أذاك مُفاخرأ فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضب
 .. وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى وصف القرآن وهو الجِد ليس بالهزل فالمراد به
 الهزل الذى لا يراد به الجِد

— القسم الثامن والثلاثون —

(التلميح)

وهو أن يشير فى غوى الخطاب الى مثلٍ سائر أو شعر نادر أو قصة مشهورة من
 غير أن يذكره كقول بشار بن عدى
 اليومَ خمرٌ ويبدو فى غدٍ خبْرٌ والدَّهرُ ما بين إناهم وإيَّاس

أشار به الى قول امرئ القيس - اليوم خمر وغدا أمر - حين بلغه قتل أخيه^(١) وهو يشرب فصار مثلاً . . وكقول أبي بكر الخوارزمي

كأنك لا تروين بيتاً لشاعرٍ سوى بيت من لا يظلم الناس يُظلم.

. . وكقول أبي فراس

ولا خير في دفع الأذى بمنزلةٍ كما ردّها يوماً بسوء تو عمرو

أشار بذلك الى قصة عمرو بن العاص مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . . وقد يسمي أخذ بعض ألفاظ مثل اقتباساً وإيراد مثل كما هو تضميناً . . ومما جاء من التلميح في الكتاب العزيز قوله تعالى « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف » . وقوله تعالى « ألا بعداً لمدين كما بعثت نوحاً » . وقوله تعالى « صاعقة مثل صاعقة عاد ونوح » الآية . . ومن ذلك قوله تعالى « أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي » الى قوله « فانما هم في شقاق » . ثم قال « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » . ومن ذلك قوله تعالى « هذا نذير » من النذر الأولى أزفت الآزفة » ثم قال « ليس لها من ذون الله كاشفة » . . ومثله في القرآن كثير

❦ القسم التاسع والثلاثون ❦

(النسخ والساخ والمسخ)

فأما النسخ ففي القرآن العظيم كثير . وهو على ثلاثة أقسام . منه ما نسخ لفظه وحكمه . ومنه ما نسخ لفظه وتبقى حكمه . ومنه ما نسخ حكمه وتبقى لفظه . . أما

(١) ليس هو من قول امرئ القيس وإنما هو من قول مهلهل حين بلغه قتل جساس أخاه كليياً . وامرؤ القيس لم يقتل له أخ فان كان قاله حين بلغه قتل بني أسد أمه حجراً فربما اه كتبه محمد بدر الدين

ما نسخ لفظه وحكمه فقد روى عن قتادة وغيره قالوا كنا نقرأ سورة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجوهما البتة تكالامن الله والله عزيز حكيم - وقالوا كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - لو أعطى ابن آدم واديين من ذهب لابتنى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب - . . وأما ما نسخ حكمه' وبقى لفظه في القرآن العظيم منه كثير . . وأما السانخ والمسخ فليس في القرآن العظيم منهما شيء لأنه لم يسبق قبله كلام فيساخ منه ولم يتقدم مضانيه فيقصر عنها فمسخ لانه الكلام القديم الذي لم يشبهه كلام ولم يتقدم عليه نثر ولا نظام وسندكر في القسم الذي ليس في القرآن منه شيء ما قاله أهل هذه الصناعة في السانخ والمسخ ان شاء الله تعالى

القسم الرابعون

(التعديد . ويسمى أيضاً سياق الاعداد)

وهو ايقاع أسماء مفردة على سياق واحد فان روى في ذلك ازدواج أولزوم تجنيس أو مطابقة أو نحوها فذلك الغاية في الحسن كقولهم وضعنا في يده زمام الحل والعقد . والقبول والرد . والامر والنهي . والاثبات والنفي . والبسط والقبض . والابرام والنقض . والهدم والبناء . والمنع والمطاء . . ومنه قول المتنبي
الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والحربُ والطعنُ والقرطاسُ والقلمُ
• ومنه في القرآن كثير . . من ذلك قوله تعالى « هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر » . . ومن ذلك قوله تعالى « وأنّ الى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكي وأنه هو أُمات وأحيا وأنه خلق الزوجين الذكرا والانثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الأخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعري وأنه أهلك عاداً الأولى ونموداً أبنى وقوم نوح من قبل »

أنهم كانوا هم أظلم وأطنى .. ومنه قوله « والله يقبض ويَبسط »

﴿ القسم الحادى والاربعون ﴾

(المَوْجَّة)

وهو ان يمدح بشئ يقتضى المدح لشيء آخر كقول المتنبي
نهبت من الاعمار مالو حويته لهنت الدنيا بأنك خالد
أول البيت مدح بفرط الشجاعة وآخره بعلو الدرجة . وفي القرآن العظيم منه كثير
.. ومنه قوله تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رؤساء بينهم
تراهم رُكعاً سُجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر
السجود » مدحهم في أول الآية بالشدة على الكفار ثم بالرحمة بينهم ثم بالخشوع
والخضوع ثم بالتدلل وحسن المسئلة ثم حسن السياء وصباحة الوجوه . ومثله قوله
تعالى « التائبون العابدون الحامدون السائحون الزاكهون الساجدون الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله » .. ومن هذا النوع قوله
تبارك وتعالى « ويقولون طاعةً فاذا برزوا من عندك بيّت طائفة منهم غير الذى تقول »
يجوز ان تكون - تقول - راجعة الى - الطائفة - ويجوز أن تكون عائدة على النبي
صلى الله عليه وسلم

﴿ القسم الثانى والاربعون ﴾

(المحتمل الضدين)

وهو أن يكون الكلام محتملاً للشيء وضده . ومنه فى القرآن العظيم كثير . . من ذلك
قوله تعالى « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً » يحتمل أن يكون أراد

بورائهم - أمامهم ويحتمل أن يكون - وراءهم - وهو يطالبهم ومنه قوله تعالى
« والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » - والقرء - يطلق على الحيض والطمهر
• ومثل ذلك قوله تعالى « قال إنه يقول إنها بقرة صفراء » قال المفسرون أراد
سوداء • ومثله في الشعر قول الشاعر

* يغادرُ الجونة أن تغيبا *

- والجون - الاسود - والجون - الابيض وهو من الازداد • • ومنه قول بشار في
رجل خاط له قباء وكان الخياط أعور

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء
فأحاجي الناس طراً أمديحاً أم هجاء

وكان سبب ذلك أن بشاراً خاط له زيد قباء فقال هذا إن شئت لبسته على وجهه وإن
شئت لبسته على بطانته فقال له بشار وأنا أقول فيك شعراً إن شئت جعلته مدحاً وإن
شئت جعلته ذماً وأنشده البيتين • • وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقال

أيا ابن كرويس يا نصف أعمى وان تفخر فيا نصف البصير

وكان ابن كرويس أعور • • وينخرط في هذا السلك قوله تعالى « إنك لأنت الحليم
الرشيد » إذا جعل هذا من باب التهم به والازراء عليه كان ذماً • ولهذا قال بعض
المفسرين أرادوا - انك لأنت الاحق السفية - وإن أريد به المدح فالتقدير - انك
أنت الكامل الحليم الرشيد فكيف يبدو منك مثل هذا لأنه ذكر الحليم والرشيد
بالالف واللام التي هي لاستغراق الجنس أو للعهد • • ومثله في السنة قول النبي صلى الله
عليه وسلم - من جعل قاضياً ذليلاً فهو غير سكين - فإن أريد به الذم يكون التقدير من
من جعل قاضياً فقد قتل غير سكين لأنه ليس في قدرته اقامة الحق على وجهه واجراء
الأحكام على القانون المستقيم فيكون قد كلف ما لا طاقة له به ومن كلف ما لا طاقة له
به فهو في ألم شديد يشبه ألم من ذبح غير سكين ومن أراد المدح قال انه لشدة تحرزه
في أحكامه واجتهاده في نقضه وابعاده وانعامه النظر فيها يحدث من الوقائع ويتجدد من
خفايا الاحكام والنظر في أمر الوسايا ومال الايتام الى غير ذلك من الامور المشقة يحصل

له من الألم مقدار ألم من ذبح بغير سكين بل أشد لأن من ذبح بغير سكين يقاسى الألم في حال ذبحه ثم يستريح والحاكم بهذه الأمور مستقر التعب دائم النكد مشغل القلب منقسم الفكر دائم النظر فنسأل الله اللطف بنا وبه انه على ما يشاء قدير

القسم الثالث والاربعون

(التجريد)

وهو على قسمين .. الاول خطاب الغير والمراد به المتكلم وهو أولى باسم التجريد وفائدته مع التوسع في الكلام أن يثبت الانسان لنفسه ما لا يليق التصريح بثبوته له وذلك قد يكون فضيلة كقول الحيص بيص

إلام يراك المجد في زى شاعر
وقد نجات شوقاً فروع المنابر
وأنت نصبت الشعر علماً وحكمة
ببعضهما يتفاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير انك فارس المقال
ومحي الدارسات الفوائر
وإنك أتعبت المسامع والنهى
بقولك عما في بطون الدفاتر

.. وقد تكون لنعيسة ولكن يؤثر ابداءه إما لتشك كقول النابغة

حننت الى ريتا ونفusk باعدت
مز أرك من ريتا وشعباً كما معا
فاحسن أن تأتي الأمر طائماً
وتجزع إن داعى الصباية أسمعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنتى
على كبدى من خشية أن تقطعا
بنفسى تلك الارض ما أطيب الرثبا
وما أحسن المصطاف والمتربعا

.. أو يكون لغير التشكى وذلك كالاغذار كما قال المتنبي

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فايسعد النطق إن لم تسعد الحال
واجز الامير الذى نعماء بادية
بغير قول ونعمى القوم أقوال

.. القسم الثانى خطاب انشكلم لنفسه مخيلاً لها أن معه غيره كما قيل

أَقُولُ لِلنَّفْسِ تَأْسَاءٌ وَتَعَزِيَّةٌ إِحْدَى يَدَيَّ أَصَابَتْهُ وَلَمْ تَرِدْ
وَهَذَا النَّوعُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنْهُ كَثِيرٌ وَسَنَذْكُرُهُ فِي فِصْلِ تَلْوِينِ الْخُطَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهُ طَرَفًا فِي أَنْوَاعِ الْإِلْفَاتِ فَانْظُرْ هُنَاكَ فَهُوَ كَثِيرٌ

﴿ الْقِسْمُ الرَّابِعُ وَالْأَرْبَعُونَ ﴾

(الرجوع والاستدراك)

وهو من أنواع الاعتراض ولكن علماء هذا الشأن أفردوا له باباً • وهو على
قسمين • • الأول أن تذكر شيئاً وترجع عنه كقولهم والله ما معه من العقل شيء
الأمقدار ما يوجب الحجة عليه كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم
• • القسم الثاني من الاستدراك وهو أن يتبدى كلامه بما يوهم السامع أنه عجز
يستدرك ويأخذ في المدح كقول أبي مقاتل الضير

لا تقل بشري ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان
وهذا النوع غير مستحسن عند الخذاق فإن السامع ربما يتطير من أول الكلام فيتأذى
ولا يلتذ بما بعده والاستدراك في الكتاب العزيز كثير كقوله تعالى « بلى من كسب
سيئة وأحاطت به خطيئته » وقوله تعالى « بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن » وقوله
تعالى « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر » على قراءة
من خفف فرفع - البر - وقوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم » وقوله تعالى « قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي »
• • وفي القرآن كثير

﴿ القسم الخامس والاربعون ﴾

﴿ السؤال والجواب ﴾

وهو أن يحكى كلاماً يقال ثم يجيبه بقال أيضاً • وهو في القرآن العظيم كثير • من ذلك قوله تعالى « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » الى قوله « فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ » • ومنه قوله تعالى « قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوَلَةٌ أَلَا تَسْتَعْمُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ قَالَ لَنْ آتِيَنَّكَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ قَالَ أَوْكُو حَبَّتِكُ بِشَىءٍ مَبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » • وفي الشعر منه كثير من ذلك قول امرئ القيس

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخِدرَ خِدرَ عَنِيْزَةٍ فَقَالَتْ لَكَ الْوِيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجَلِي
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَارْتَحِي زِمَامَهَا وَلَا تَمْنَعِينَا مِنْ جَنَّاكِ الْمَلَلِ
ومن بديعه قول بعض المتأخرين

وكاملة الأوصافِ وافرّة الحيا إذا افتخرت بالحسن اعجزها المثلُ
شكوتُ اليها ما أجنُّ من الجوى فقالت إذا اشتدَّ الجفا عذب الوصلُ
فقلتُ أصمُّ العاذلون مسامى فقالت إذا صحَّ الهوى بطل العذلُ
فقلتُ فإذا عندكم مدلّه فقالت له إما الحياة أو القتلُ
إذا شئتُ أَنْ تحظى لدينا فكن لنا فريداً فلا مالَ لديك ولا أهلُ
فكم هلكت في حُبنا من معاشر وما نهاوا صفو الحياة ولا علوا
ولا ظفروا منا بأيسر طائل انطمع بالتفريط في وصلنا جهلُ

• • ومن ذلك قول الباخريزي

قد قلتُ لها هجرتني ما العلة صدت وتمايات وقالت قل لهُ
قال علماء البيان أحسن هذا النوع ما كثر في القلقة

﴿ القسم السادس والاربعون ﴾

(التوهم • ويسمى الايهام أيضاً)

وهو أن يجاء بكلمة توهم أخرى • ومنه قوله تعالى « يومئذ يوفيه الله دينهم الحق » يوههم من لا يفهم أو يعلم العربية أن دينهم حق لأن دينهم إذا قرأها بالرفع من لا يفهم ولا يعلم العربية اقتضى ذلك أن دينهم حق وليس كذلك • ومنه قوله تعالى « قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة » من لا يفهم العربية ولا يفهم المعنى يعتقد أن ما بافية وأنه ليس عند الله خير من اللهو ومن التجارة • ومنه قوله تعالى « إنما يخشى الله من عباده العلماء » من لا يعرف العربية إذا سمع هذه الآية اعتقد أن الله تعالى يخشى العلماء والعارف بالعربية والقراءة ينصب الجلالة ويرفع العلماء فيظهر له أن العلماء هم الذين يخشون الله • ومنه قوله تعالى « فويل للمصابين » من لا يعلم المعنى اعتقد أن الويل لاحق بالمصابين ولهذا قال بعض الجهال

ما قال ربك ويل للذين سهوا بل قال ربك ويل للمصابين

• • وقد يقع من ذلك في الشعر كثير • ومنه قول سحيم

فجال على وحشيته وتخاله على ظهره سباً جديداً يمانيا

فقوله - يمانياً - يوههم أنه شباً بالشين • وكذلك قول المتنبي

فان الفئام الذي حوله لتعسد أرجاءها الأروسا

فقوله - أرجاءها - يوههم أنه القيام بالقاف وانما هو بالقاء والفتش الجماعات



❦ القسم السابع والاربعون ❦

(التشبيب)

وهو أن يكون في صدر الكلام كلمة من عجزه مثل قوله تعالى « قد نرى تقاب
وجهك في السماء فننولينك قبلة ترضاها فول وجهك سطر المسجد الحرام » وقوله
تعالى « ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلك وما أنت بتابع
قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض » . ومثل قول الشيخ أبي العلاء
قد أوركتم عند الخيام وأعشبت شهب الرجال ولون رأسي أغبر
ولقد سلوت عن الشباب كاسلا غيري ولكن للحزين تذكري
.. وقال آخر ..

وما هجرتك النفس يا عز أنما	قلتك ولكن قل منك نصيبها
ولكنهم يا أحسن الناس أولعوا	بقول إذا ما جئت هذا حبيبها
أهابك إجلالا وما بك قدرة	علي ولكن ملء عين حبيبها

❦ القسم الثامن والاربعون ❦

(الاستثناء)

وهو أن يذكر شيئاً ثم يرجع عنه أو يدخل شيئاً ثم يخرج منه بعضه . أما
الاستثناء ففي القرآن منه كثير . فمنه قوله تعالى « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم
الخنزير » الى قوله تعالى « الا ما اضطررتم اليه » . ومنه قوله تعالى « قل لا أجد في
ما أوحى الي محرماً على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دماً مسحوقاً أو لحم خنزير »
ومثله في القرآن كثير . وأما الرجوع فلا ينبغي أن يكون في القرآن منه شيء لأن

المتكلم به لا يلقى مجلاله أن يوصف بالرجوع عن شيء . وأما ماسوى القرآن ففيه منه كثير من ذلك في الاستعمال قولهم ليس له عقل الا ما تقوم عليه به الحجة . . وأما في الشعر فقد ورد في أشعار كثيرة . . منها

أليس قليلا نظرة إن نظرتها اليك ولكن ليس منك قليل . . ومنه قول الآخر

وما بي انتصار إن عدنا الدهر ظالما على بلى إن كان من عندك النصر . . ومنه قول النابغة

ولا عيب فيهم أن سبوا فهم بهن قلوب من قراع الكتائب



﴿ القسم التاسع والاربعون ﴾

(الغرابة . والظرافة . والسهولة)

أما الغرابة فقال ابن قدامة . . هي أن يكون المعنى مما لم يسبق اليه على جهة الاستحسان فيقال ظريف وغريب اذا كان عديم المثال أو قليلا والقرآن العظيم كله سهل ممتنع ألفاظه سهلة ومعانيه نادرة وأسلوبه غريب قدمازجت القلوب عذوبته وحلت في العيون طلاوته وراق في الاسماع سماعه واستقر في الطباع انطباعه فلهذا لم يسأم على ترداده ولم تملئ النفوس على دوام ايراده فيكل آية منه حسنة المساق وكل كلمة منه عذبة المذاق وكل معنى منه دق ورق . . ومن هذا النوع في أشعار العرب والمخضرمين والمتأخرين كثير لا يحصى . . فن ذلك قول بعض العرب

هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرت وأشنى لقلبي أن تهب جنوب
يقولون لو عزيت قلبك لارعوى فقلت وهل للعاشقين قلوب . . وقال آخر

ولا تحسبا هندا لها القدر وحدها سجة نفس كل غانية هند

فما خلفَ اجفائي شؤونَ بخيلة ولا بينَ أضلاعي لها حَجَرٌ صلدٌ
.. وقال آخر

تقولُ نساءُ الحى تأملُ أن ترى محاسنَ ليلي مُتَ بِداءِ المطامعِ
وكيفَ ترى ليلي بعينَ ترى بها سواها وما طهرتها بالمدايعِ
وتلتذُّ منها بالحديثِ وقد جرى حديثُ سواها فى خروقي المسماعِ
.. وقال آخر

لا خيرَ فى الحبِّ وقفاً لا تحركهُ عوراضُ اليأسِ أو يرتاحهُ الطمعُ
لو كان لى صبرها أو عندها جزعى لكنتُ أملكُ ما آتى وما أدعِ
إذا دعى باسمِها داعٍ ليحزنى كادتْ له شعبةٌ من مُهيجتى تقعُ
لأحملُ اللومَ فيها والفرامَ بها ما كلفَ اللهُ نفساً فوقَ ما تسعُ
.. وقال مسلم بن الوليد

عيني لِمَ ينكُ حينَ تنظرُ^(١) لكنَّ عينك سَهمٌ حَتَفَ مُرسلُ
ومن العجائبِ أنَّ معنىً واحداً هو منك سَهمٌ وهو منى مَقْتَلُ
.. وقال آخر

وماذا عسى الواشونَ أن يتحدّثوا سوى أن يقولوا لاني لك عاشقُ
نعم صدقَ الواشونَ أنتِ عزيزةٌ على وإن لم تصفُ منك الخلائقُ
.. وقال أبو تمام

أقولُ وقد قالوا استرحتَ بموتها من الكربِ رُوحُ الموتِ شرٌّ من الكربِ
.. وقوله أيضاً

وقالوا عزاءُ الموتِ للنفسِ مدفع فقلتُ ولا للحزنِ مُذماتٌ مدفع
ومن الغريبِ السهلِ الظريفِ قولُ أبى تمام فى قصيدته التى أولها
مافى وقوفك ساعةً من باس تحيى بقايا الاربعِ الادراسِ
إقدامُ عمرو فى سباحةِ حاتم فى حلمٍ أحفَ فى ذكاءِ إياسِ

(١) كذا فى الاصل ولم يقف عليه فى المطبوع من شعره

لا تشكروا ضربى له من دُونِهِ مثلاً شروداً فى الندى والباسِ
 فالله قد ضربَ الاقلَّ لورِهِ مثلاً من المشكاة والنبراسِ
 وهذه الابيات على غاية من الغرابة وعلى نهاية من الظرافة والاطانة واغرب ما فيها أن
 أبا تمام لما أنشد قوله

إقدامُ عمرو فى ساحة حاتم فى حلم أحنف فى ذكاء إياس
 قال بعض من حضر فى مجلس الخلافة شبه أمير المؤمنين بكل نوال على عقبيه فأشدد فى
 الحال بديهاً * لا تشكروا ضربى له من دونه * البيتين . فقال له الخليفة تمن فقال
 تمنيت الموصل فكان الخليفة توقف عن ذلك فقال له حكيم عنده اعطها له فانه
 لا يصل اليها فانتى من قوة فكرته شملت رائحة كبده فتوجه اليها فأت فى الطريق . وهذا
 النوع القرآن كله منه فانه من غرابة الأسلوب وبداعة السياق وجودة الاتساق على
 غاية لا تدرك وطريقة لمعد مثالها لا تسلك . . ومن هذا النوع قول زهير

وما كان من خير كبير فانما توارثه آباء آباؤهم قبل
 وهل ينبت الخطى الأوشيجه وتغرس إلا فى منابتها النخل
 على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين الساحة والبذل
 (قال المصنف عفا الله عنه) هذا البيت قد ذكر أرباب هذه الصناعة أنه أمدح يات
 قاله العرب وقد طعن عليه بعض الخدائق منهم وذكر فيه عيوباً . منها أنهم لو كانوا كرماء
 ما كان فيهم مقل . ومنها أنه جعل حق المعتري على المكثرين واجباً عليهم ولم يوجبه
 على المقلين فكان المكثرون عليهم أكرام الضيف واجبا ولم يكن واجباً على المقلين
 فاقضى ذلك أن يكون اعطاء المكثرين عن كظم واعطاء المقلين عن كرم فصار المقلون
 أحسن حالا من المكثرين وأكرم أنفسا وعاليه ما خذ غير هذه ولسنا بصدد استيفائها
 وهذا الباب واسع جداً وما ذكرناه فيه مقنع

﴿ القسم الموفى خمسين ﴾

(مايوهم فساداً • وليس بفساد)

وهو أن يقرن الناظم أو النائر كلاماً بما ليس يناسبه أو يقدم التشبيه على ذكر المشبه • • • ومنه في القرآن كثير وكذلك في أشعار العرب • • • أما القرآن • • • فنه قوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » قرنهما بقوله « وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن » الآية واتبعها • بقوله « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية » الآية فليس قبها وبعدها ما يناسبها • ومنه قوله تعالى « إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا نظماً فيها ولا تضحى » الذى يقتضيه المعنى المناسب ظاهراً أن يقول إن لك أن لا تجوع فيها ولا تضحى وأنت لا تعرى فيها ولا تضحى • ومنه قوله تعالى « فان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء » وغير العالم المطامع على خفايا معاني القرآن العظيم يظن فى ذلك كله عدم المناسبة وليس الأمر كذلك بل ما ورد به القرآن العزيز هو الاحسن وسندكر ان شاء الله المناسبة فى ذلك • • • فأما آية اليتامى فقد ذكر أئمة التفسير فى المناسبة وجوها • أحدها ما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت هذا فى اليتيمة تكون عند وصيها فيعجبها حسنها ومالها فيمنعها عن الأزواج ليتزوجها بمهر دون مهر مثلها ويحوز مالها فأعلم الله المؤمنين أن من خشى منهم أن يقع فى مثل ذلك مع اليتامى فليترك ما طاب له من النساء من غير اليتامى • وقيل المعنى فان كنتم من التقوى على حشد تخشون أن تلوا مال اليتيم خشية عدم الاقساط فانكحوا ما طاب لكم من النساء يعنى اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً فان كان بهذه المثابة من خوف الله والتقوى لا يخشى عاينه من الجور والميل وعدم العدل بين نسائه بدليل ما عقبه به من قوله « فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » وقد ذكر أئمة التفسير فى الجمع غير ذلك اقتصرنا على هذا خشية التطويل • وأما آدم عليه السلام فقد تقدم فى المناسبة انها تارة يقصد فيها مناسبة اللفظ والمعنى وتارة يراعى فيها مناسبة اللفظ فقط

وثارة يراعى فيها مناسبة المعنى وهذه الآية منه وهو الذى أريد لأن - الجوع - خلو
الباطن عن الغذاء - والتعري - خلو الظاهر عن الثياب - والظما - احتراق الباطن
بالحرارة - والضحى - احتراق الظاهر فظهرت المناسبة من حيث المعنى فيها . . وأما آية
الصلوات والمحافظة عليها فقد سئل عنها بعض أجلة أهل العلم رضى الله عنهم فقال لما
أمر الله تبارك وتعالى بالمحافظة على حقوق الخلق ذكر لهم حقوقه وهو الصلاة ليجمع
لهم فى التعليم بين مراعاة حقوق الخلق والحق ليحصل لهم الكمال ثم لما كانت حقوق
الآدميين منها ما هو متعلق بالحياة وقد ذكر ذلك قبلها ناسب أن يذكر الحقوق المتعلقة
بالمات بعدها . وقد ذكر أهل التفسير رضى الله عنهم فيها أجوبة كثيرة اقتصرنا على
هذا منها . وقد وقع فى اشعار العرب الاقدمين والمتقدمين من الاسلاميين والمتأخرين
من هذا النوع كثير . من ذلك قول امرئ القيس

كأنى لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات سخلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل تخلى كرى كرتة بعد إجفال

. . قال بعض النقاد ان هذا فاسد لانه جعل التغزل مجاوراً للشجاعة فى البيتين
والأجود أن يجاور الشجاعة بالشجاعة والغزل بالغزل فيقول

كأنى لم أركب جوداً ولم أقل تخلى كرى كرتة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعباً ذات سخلخال

. . ومن هذا النوع قول المتنبي

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال جرحى هزيمة ووجهك وضاح وثرعك باسم

. . وهذا الذى ذكره النقاد قد رده جماعة من الخدائق بما حكى أن سيف الدولة قال
للمتنبي هذا فاسد المجاورة لانك أثبت بالتشبيه قبل ذكر المشبه والاجود أن تقول

وقفت وما فى الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثرعك باسم
تمر بك الأبطال كلى هزيمة كأنك فى جفن الردى وهو نائم

. . فقال المتنبي أيده الله مولانا الامير ان صح الذى استدرك صح الذى أستدرك على

امريء القيس وهو أعلم بالشعر منى فقد أخطأ امرؤ القيس وأسأت أنا ومولانا يعرف
أن الثوب لا يعرفه البزاز كعرفة الناسج لأن البزاز يعرف جلته والحائك يعرف جلته
وتفاريقه لانه هو الذى أخرجه من الغزلية الى الثوبية . . وانما قرن امرؤ القيس لذة اللعناء
بلذة ركوب الخيل للصيد وقرن السباحة فى سبأ الحمر للاضياف بالشجاعة فى منازل
الاعداء وأنا ذكرت الموت فى أول البيت فأتبعته بذكر الردى وهو الموت لتجانسهما
ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو وجهه من أن يكون عبوساً وعينه من أن تكون باكية
قلت - ووجهك وضّاح وتغرك باسم - لأجمع بين الاضداد فى المعنى وان لم يتسع اللفظ
لجمعهما فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين ديناراً . . ومن ذلك قول بعضهم
فانك أن تهجو تميا وترتشى سرايل قيس أو سحوق العمائم
كتهريق ماء فى الفلاة وغره سراب أذاعته رياح السمائم
. . وقال آخر

إنى وتركى ندا الاكرمين وقد نعى بكفى زناداً شحاحا
كتاركة بيضها بالعرأ وملبسة بيض آخرى جناحا
يجب أن يكون كل بيت من الاولين مع بيت من الاخرين لانه أجود وأنسب . . ومن
هذا النوع أيضاً قول الشاعر

فيا أيها الحيران فى ظلمة الدجى ومن خاف أن يلقاه بنى من العدا
تعال اليه تلق من نور وجهه دليلا ومن كفيه بحراً من النداء
قال النقاد هذا فاسد التفسير لانه قابل البنى بالسباحة وكان يجب أن يقابل بغير ذلك
فيقول تنظر أسداً حامياً وليثاً مانعاً . . وقد قيل فى هذا البيت انه دل على الشجاعة
بلازمها لأن الشجاع لا يكون بخيلاً ولذلك قال الشاعر

لا تطابن من البخيل شجاعة ان البخيل يخاف أسباب الردى
من لا يجود بماله يوم النداء أنى يجود بنفسه يوم اللقا
وقد تعسف لهذه الابيات وجوه من المعانى وضروب من التصحيح تخرج بها عن أن
تكون فاسدة ليس هذا موضع استيفائها وفيما ذكرت كفاية ومقنع والله الهادى والموفق
(٢٣ - فوائد)

- القسم الحادى والخمسون -

(فى النادر والبارد)

فأما البارد فائس فى القرآن العظيم منه شئ وسيأتى بيانه فى الفن الثالث الذى ليس فى القرآن العظيم منه شئ . . وأما النادر فـ القرآن مشحون به فان أكثر ألفاظه نادرة الوجود ومعانيه مستوفية المقصود كل كلمة منه جامعة لمعان شتى وكل آية تحتوى على معان لغير المتكلم به لا تتأتى وكل سورة إحكام أحكامها لا ينحصر وإعجاز إيجازها قد أعجز البشر وفيه النادر الحسن والاحسن . . فمن الآيات التى لم يسج على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها قوله تعالى « فلما جاء أمرنا وفار التنور » الى قوله « وقيل بعداً للقوم الظالمين » ولهذا ان ابن المقفع لما عارض القرآن ووصل الى هذه الآية قال هذا مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله وترك المعارضة وزق ما كان اختلقه . ومن ذلك أيضاً قوله تعالى « وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين » جمعت هذه الآية أمرين ونهيين وخبرين ووعدين . . ومن هذا النوع فى القرآن كثير بل القرآن كله حسن وأحسن وليس هذا موضع استقصاء الاحسن وفى أشعار العرب من هذا كثير وقد تقدم بيانه

- - -

- القسم الثانى والخمسون -

(المساواة والتقصير)

وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى بحيث لا يزيد عليه ولا ينقص . والقرآن العظيم جله بل كله على هذا النمط . وأما التقصير فليس فى القرآن منه شئ وسيأتى بيانه فى الفن الثالث

﴿ القسم الثالث والخصون ﴾

(التصريح بعد الابهام • ويسمى التفسير)

قال أئمة هذا الشأن المراد بالتفسير بعد الابهام تفخيم المبهم واعظامه لانه هو الذي يطرق السمع أولاً فيذهب السامع فيه كل مذهب كقوله تعالى « وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » فسر ذلك الامر بقوله - أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - وفي ابهامه أولاً وتفسيره بعد ذلك تفخيم للمبهم وتمظيم لشأنه فانه لو قال تعالى - وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين - لما كان بهذه اثابة من الفخامة فان الابهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكر واستعظام لما قرع سمعه فيتشوف الى معرفة كنهه والاطلاع عايه وعلى حقيقته .. ومن هذا الباب قوله تعالى « إهدنا الصراط المستقيم صراط الذي أنعمت عليهم » لما جاء في الاول من التنبيه والاشهار بأن - الصراط المستقيم - هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما تقول - هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم - ثم تقول - فلان - فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الا كرم والأفضل لاني بدأت بذكره مجازاً ثم بينته مفصلاً فجعلته عاماً في الكرم والفضل كأنك قلت من أراد رجلاً جامعاً لاختصاصين جميعاً فعليه بفلان • وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى « وقال الذي آمن يا قوم انبعوني أهدكم سبيل الرشاد » الى قوله « يرزقون فيها بغير حساب » ألا ترى كيف قال - أهدكم سبيل الرشاد - فابهم سبيل الرشاد فلم يبين أى سبيل هو ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بذكر الدنيا وتصغير شأنها لأن الاخلاص اليها أصل الشركه ثم ثنى ذلك بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن المستقر ثم ثلث بذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف فكانه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والرغبة في الآخرة والامتناع عن الاعمال السيئة خوف المقابلة عليها والمسايرة الى الاعمال الصالحة

رجاء المجازاة عليها . . . وكذلك قوله تعالى « واذ يرفع ابراهيمُ القواعدَ من البيت » ولم يقل قواعد البيت لما في ابهام القواعد ولما في تبينها بعد ذلك من الايضاح وتفخيم حال المبهم بما ليس في الاضافة . . . ومن هذا الباب قوله تعالى « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً » الى قوله « فأطاعُ إلى إله موسى » الآية لما أراد تفخيم ما التمس من بلوغه اسباب السموات أبيهما أولاً ثم فسرهما ثانياً ولانه لما كان بلوغهما أمراً عجيباً أراد أن يورده على صورة مشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه لتتشوف اليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك . . . ومما يدخل في هذا الباب الابتداء بذكر الضمير ثم الافصاح بذكر صاحبه وحده كقوله تعالى « وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن » فانه لما أتى بالضمير الذي هو منه قبل صاحبه الذي هو في القرآن كان ذلك تفخيماً له وتمظيلاً من أمره ولو قال - وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن - ولم يذكر الضمير لما كان للكلام تلك الفخامة التي كانت له مع ذكر الضمير . . . ومثل هذا قولهم الكريم العالم الفاضل - ثم يقال - فلان - وقد سبق الكلام عليه . . . وأما الابهام من غير تفسير فكثير شائع في القرآن العزيز كقوله تعالى « إنَّ هذا القرآنَ يَهْدِي لِقَى هَـؤُلَاءِ أَقْوَمُ » أى الطريقة أو الحالة أو الملة التي هي أقومها وأشدّها وأى ذلك قدرت لم تجده له مع الافصاح ذوق البلاغة الذي تجده مع الابهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب وإيقاعه على محتملات كثيرة وهذا لا يخفى على العالم برموز صناعة التأليف فاعرفه . . . ومما يدخل في هذا الباب الاستثناء الممدى وهو ضرب من التأليف لطيف المأخذ عجيب المغزى وانما يفعل ذلك طلباً للمبالغة لأن له تأثيراً شديداً في القلب وموقعاً عظيماً في النفس وفائدته أنه أول ما يطرق سمع المخاطب ذكر العقد في العدد فيكبر موقع ذلك عنده وهو شبيه بما ذكرنا من الابهام ثم التفسير بعدها يسوّى بينهما . . . فمن ذلك قوله تعالى « ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه فلبثَ فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً » فانه انما قال - ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً - ولم يقل تسعمائة وخمسين عاماً لفائدة حسنة وهي ذكر ما ابتلى به نوح عليه الصلاة والسلام من أمته وما كابده من طول المقام ليكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتنبيهاً له فان ذكر رأس العدد الذي هو منتهى

العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع قوة صبره وما لاقاه من قومه .. ومن بديع التفسير بعد الابهام قوله تعالى « انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفُرادى » ولو حذف - واحدة - كان الأمر كما ذكرنا وذهبت تلك الفخامة التي في الابهام وزال ما فيه من الغموض وانقطع شوق النفس الى التفسير وفسر - الواحدة - بقوله أن تقوموا لله مثنى وفُرادى .. ومنه قوله تعالى ٢ والمؤتفكة أهوى ففشاها ما غشى .. ومنه قوله تعالى « فغشيهم من اليم ما غشيهم » .. ومنه « وفعلت فعلتك التي فعلت » .. ومنه في الاستعمال قولهم فؤاد فيه ما فيه .. ومنه قول الشاعر في وصف الحُر

فقد مضى ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باقى يطلبُ الباقي
.. ومنه قول الآخر

مضى ما مضى حتى علا الشيبُ رأسه فاما علاه قال بالباطل ابعِد
.. وقال آخر

سأغسلُ عنى العارَ بالدينِ جالبا على قضاء الله ما كان جالبا
فاعترف ذلك وقس عليه



القسم الرابع والخمسون

(التعقيب المصدري)

وانما يُعتمد الى ذلك لضرب من التأكيد لما تقدمته والاشعار بتعظيم شأنه أو بالصد من ذلك .. مثال الاول قوله تعالى « ويوم يُنفخُ فى الصورِ ففزعَ مَنْ فى السمواتِ وَمَنْ فى الارضِ » الى قوله « هل تُجزَوْنَ الا ما كنتم تعملون » فقوله - صُنِعَ الله - من المصادر المؤكدة لما قبلها وهو كقوله « وعند الله . وصبغة الله » ألا ترى أنه لما جاء ذكر هذا الأمر العظيم الدال على القدرة الباهرة من النفخ في الصور وإحياء

الموتى والفرع واحضار الناس للحساب وتسيير الجبال كالسحاب في سرعتها وهي عند الرؤية لها والمشاهدة كأنها جامدة عقب ذلك بأن قال - صنع الله - أى هذا الأمر العجيب البديع صنع الله والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت من الاشياء الباهرة واثابة الله المحسنين ومعاقبة المجرمين فجعل هذا الصنع من جملة الامور التي هي أنفسها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال - صنع الله الذي أتقن كل شئ - يعنى أن مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من إحكام الاشياء واتقانه لها واجرائه اياها على الحكمة أى انه عالم بما يفعل العباد وبما سيرجعون اليه فيكافئهم على حسب أفعالهم ثم خص ذلك بقوله « من جاء بالحسنة » الى آخر الآيتين . فانظر أيها المتأمل الى بداعة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة ايجازه وفصاحة تفسيره وأخذ بعضه برقاب بعض كأنه أفرغ أفراناً واحداً ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق . ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب الكلام كان كاشاهد بصحته والمتادى على سداده وأنه ما كان ينبغي أن يكون الا ما قد كان ألا ترى الى قوله - صبغة الله . وصنع الله . ووعد الله . وفطرة الله - بعد ما وسمها باضافتها اليه بسمه العظيم كيف تلاها بقوله - الذي أتقن كل شئ - . . وأما الثانى وهو ضد الاول وذلك ما يراد به تصغير الشأن كقولهم اذا ذكر انسانا يريدون ذمه - قد ركب هواه . واستقر على غيه . وتمادى على جهله . وسحب ذيل عجيبه - وما أشبه ذلك ثم يقول - صنع الشيطان الذي غلب النفوس وميل الالباب - ومثل هذا كثير فاعرفه

— القسم الخامس والخمسون —

(النفي والاثبات)

وهو أعلى ضرب من البلاغة كثير الفوائد عذب الموارد . وقد تكلم فيه أرباب علم الكلام وأرباب علم البيان وقالوا ان نفي الخاص يدل على ثبوت العام ولا يدل نفيه

على نفيه . وقد بينا أن زيادة المفهوم في اللفظ توجب زيادة الالتئاذ به لحصول جملة من الملاذ دفعة واحدة ولذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام . أما الأول فكقوله تعالى « مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ » ولم يقل بضوئهم لأن النور أعم من الضوء إذ يطلق على الكثير والقليل وإنما يقال الضوء على القدر الكثير . ولذلك قال تعالى « هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً » وهاهنا دقيقة وهو أنه قال - ذهب الله بنورهم - ولم يقل أذهب نورهم لأن الإذهاب بالشيء لا يمنع من عود ذلك الشيء بخلاف الإذهاب إذ يفهم من ذلك استصحابه في الإذهاب ومقتضى ذلك منعه من الرجوع . وكذلك قوله تعالى « قال الملاء من قوميه إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة » معناه لا ضلالة واحدة بي ويلزم من ذلك أن لا يثبت له فرد من الضلال البتة ولا كذلك لو قال ليس بي ضلال لأن اسم الجنس يقال على الكثير والقليل فيجوز أن يكون المنفي هو الكثير . ومما يشبه ذلك قوله تعالى « ولا تقل لهما أف » فإن هذا يدل على النهي عن الضرب أيضاً لعل أن التأفيف أعم بل لأن المقصود من منع التأفيف هو الإكرام وعدم الإهانة والإهانة بالضرب أكثر من الإهانة بالتأفيف . الثاني كقوله تعالى « وجنة عرضها السموات والأرض » ولم يقل طولها لأن العرض أنقص إذ كلما له عرض فله طول ولا ينعكس . ومما يتعاق بهذا أنه إذا كان الشيء يشبه أشياء بعضها أتم في التشبيه أو أوفق من بعض فالأولى والأتم الاقتصار على ما هو أتم وأوفق فإن ذكر الكل فالأولى الابتداء بالأدنى والاضعف ليكون انتقال الذهن إلى الأعلى بتدرج ولأن التشبيه بالأعلى الأدنى والانتقال من لذة إلى ما هو دونها غير مُلذَّ ولا مستحسن فلذلك قال الاشترا النحوي

حَمَى الْحَدِيدُ عَائِيَهُمْ فَكَانَهُ لِمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شَعَاعُ شَمْسٍ

. وإذا كان للشيء صفة يغني ذكرها عن ذكر صفة أخرى أو يدل عليها كان الاقتصار عليها أولى من ذكرها لأن ذكرها كال تكرار وهو ممل وإذا ذكر فالأولى تقديم المدلول عليها وتأخير الدالة حتى لا تكون الآخرة قد تقدمت الدلالة عليها وقد يخل بذلك لمقصود

آخر كما في قوله تعالى « وكان رسولا نبيا » فانه آخر نبيا لاجل السجع . واذا كان ثبوت شيء أو نفيه يدل على ثبوت آخر أو نفيه كان الأولى الاقتصار على الدال على الآخر فان ذكرنا فالأولى تأخير الدال وقد يحل بذلك المقصود كما في قوله تعالى « ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها » وعلى قياس ما قلنا ينبغي أن يقتصر على صغيرة وان ذكرت الكبيرة فامتدح أولا . ومثله قوله تعالى « فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما » وعلى ذلك الفياس يكتفى بقوله - ولا تقل لهما أف - وان ذكرنا فيقول - ولا تنهرهما ولا تقل لهما أف - . . . واذا تكررت الصفات فان كان للمدح فالأولى الانتقال من الأدنى الى الأعلى ليعلم المدح . زيدا لتزايد الكلام وان كان للذم فقد قالوا ينبغي الابتداء بالأسد ذما وهو مشكل . وقد يجوز أن يستعمل نفي الخاص لنفي العام ويسمى هذا عكس الظاهر وهو من المجاز البديع . ومثاله قول على رضي الله عنه في وصفه لمجاس رسول الله صلى الله عليه وسلم - انه لا تنفى فائتانه - أى تذاع والمراد أنه لا فائتات له البتة وانما يعرف ذلك لأنه نكرته في معرض المدح وانما يكون كذلك اذا كان المراد ما ذكرناه . ومنه - ليس بها ضب فينجحر - والمراد أنه لا ضب بها . . . وكذلك قول بعضهم

تردين جلاب الحياء فلم يرى لذيروهن على الطريق غبار
والمراد أنهن لا يخرجن ولا يمشين . وهذا باهني ان يكون من باب تنسيق الصفات لكن فيه زيادة اقتضت افراده

❦ القسم السادس والخمسون ❦

﴿ في الضمائر وما يتعلق بها ﴾

اعلم وفقنا الله وإياك أن الضمير لا يخاو إما أن يكون معلوماً أو لا يكون كذلك . فالأول تأكيده بضمير آخر . عدم تأكيده بذلك سواء في البلاغة كما في قوله تعالى « بيدك الخير إنا على كل شيء قدير » مع قوله تعالى « نعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنا أنتم علام الغيوب » وذلك لأن قدرة الله تعالى وعلمه معلومان

فأستوى حذف الضمير المؤكد وإثباته معهما . والثاني الأولى فيه والأفصح تأكيد
الضمير بضمير آخر وذلك إذا أريد تقوية المتعاقق به . وحينئذ إما أن يكون الضميران
متصايين أو منفصلين أو أحدهما متصل والآخر منفصل . أما المتصلان فكقوله تعالى
« قال أقتلت نفساً زكيةً بغيرِ نفسٍ لقد جئتَ شيئاً نكراً قال ألم أقل لك إنك لن
تستطيعَ معيَ صبراً » وإنما أكد هنا دون قصة السفينة لإرادته في قصة الغلام زيادة
النكر . . وأما المنفصلان فكقول المتنبي

فإنك أنتَ أنتَ وأنتَ منهم وجدُّك بشرُّ المَلِكِ الهُمَامُ

والغرض المبالغة في زيادة المدح . . وأما إذا كان أحد الضميرين منفصلاً والآخر متصلاً
فكقوله تعالى « قلنا لا تخفْ إنك أنتَ الأعلى » وهاهنا دقائق . أحدها الاتيان بلفظة
- إن - المشددة لتفيد تأكيد ثبوت ما بعدها . وثانيها تكرير الضمير يدل على تأكيد
ما يتعاقق به . وثالثها ذكر - الأعلى - معرّفاً يدل على أن غيره لا يكون كذلك بخلاف
حالي وأعلى . ورابعها أن - الأعلى - بصفة أفعل يشعر بزيادة العلو . وخامسها حذف
لام العلة يفيد زيادة علة لعدم الخوف لأن قوله - لا تخف - علة لعدم الخوف لأنه
نهي عنه واشتقاقه بعد ذلك بقوله - إنك أنتَ الأعلى - منع أيضاً من الخوف لأن
الأعلى لا يحاف الأدنى

- القسم السابع والخمسون -

(الفصل والوصل)

وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والتهدى الى كيفية ايقاع حروف العطف
في مواقعها وهو من أعظم أركان البلاغة حتى قال بعضهم حشد البلاغة معرفة الفصل
والوصل . . واعلم ان فائدة العطف التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ثم من
الحروف العاطفة ما لا يفيد إلا هذا القدر وهو الواو وهو المراد بالذكر هاهنا والعطف
(٢٤ - فوائد)

والمعطوف عليه على ثلاثة أقسام • الاول عطف مفرد على مفرد وهو يقتضى التشريك فيما يوجب الاعراب • الثانى عطف الجمل التى فى قوة الافراد ويفتضى التشريك أيضاً • الثالث الجمل التى ليست فى قوة المفرد • وهى على قسمين • قسم يكون فيه معنى أحد الجملتين لذاته متعلقاً بمعنى الأخرى كما اذا كانت كالتوكيد لها فلا يجوز ادخال العاطف لأن التوكيد والعفة متعلقان بالمؤكد والموصوف لذاتيهما والتعلق الذاتى يغنى عن لفظ يدل عليه فالتأكيد كقوله تعالى « ومن الناس من يقول آمناً بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » • وكقوله تعالى « واذا تبلى عليه آياتنا ولّى مُستكبراً كأن لم يسمعهما كأن فى أذنيه وقراً » ولم يقل وكأن لأن المقصود من التشبيه بمن فى أذنيه وقر التشبيه بمن لا يسمع إلا أن الثانى أبغ • • وكذلك قوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبين » • وقوله تعالى « وما يسلط عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى » الاثبات فى الآيتين جميعاً تأكيد لى ما نفى • • وأما قوله تعالى « إن هذا إلا مآكٌ كريمٌ » فيحتمل أن يكون تأكيداً لقوله « ما هذا بشراً » اذ المرتفع عن البشرية من المخلوقات اما هو الملك ولان الناس اذا شاهدوا فى الانسان من الخلق الحسن والخلق الجليل ما يعجبوا منه قلوا ما هذا بشرٌ لا رغرضهم أن يقولوا انه ملك فلما كان ذلك مفهوماً قبل التصريح به كان التصريح به تأكيداً ويحتمل أن يكون صفة له فان اخراجه عن جنس البشرية ينص من دخوله تحت جنس آخر لا تحت الملك على الخصوص فان القسمة غير محصورة فى النوعين فجعله ماسكاً تعييناً لذلك النوع وتميز له عن غيره • الثانى أن لا يكون بين الجملتين تعلق ذاتى فان لم يكن بينهما مناسبة فيجب ترك العطف ولذلك عابوا أبا تمام فى قوله

لا والذى هو عالمٌ أن الهوى صبرٌ وأن أبا الحسين كريمٌ

اذ لا مناسبة بين مرارة الهوى وبين كرم أبى الحسين • ثم ان كان المحدث عنه فى الجملتين شيئين لغير المناسبة فى الذى أخبر بهما والذى أخبر عنهما والمراد باللماسبة أن يكونا متشابهين كقوله زيد كاتب وعمر وشاعر أو متضادين تضاداً على الخصوص كقوله زيد طويل وعمر وقصير وكقوله العلم حسن والجهل قبيح • فلو قلت زيد طويل

والخليفة قصير أخلّ المعنى عند السامع اذ لم يكن لزيد تعاق بمحدث الخليفة ولو قلت
زيد طويل وعمرو شاعر اختل اللفظ اذ لا مناسبة بين طول القامة والشعر .. وان
كان المحدث عنه في الجملتين شيئاً واحداً كقولك فلان يقول ويفعل فيجب الاتيان
بالماعطف فان الغرض جعله فاعلاً للامرین وترك الماعطف يوهم أن الثاني رجوع عن
الاول والاجتماع لزيادة الاشتراك كقولك العجب من امك تنهى عن شيء وتأتى مثله .
وكقول الشاعر

لا تَطْمَعُوا أَنْ تَهِينُونَا وَتُذَكِّرَ مَعَكُمْ وَأَنْ نَكْفِيَ الْأَذَى عَنْكُمْ وَتَوُذُّونَا
أى لا تطمعوا أن تروا اكرامنا اياكم يوجد مع اهانتكم ايانا ويجمعها في الحصول ..
والماعطف تارة يجب اسقاطه وتارة يجب اثباته وتارة يخير بين اسقاطه واثباته .. أما
الذى يجب اسقاطه فهو اذا كان اثباته يخل بالمعنى كقوله تعالى « واذا قبل لهم لا تفسدوا
في الارض قالوا ايما نحنُ مُصالحون ألا انا هم هم المفسدون » فقوله - ألا انهم هم
المفسدون - كلام مستأنف وهو اخبار من الله تعالى فلو أتى بالواو الماعطف لكان اخباراً
عن اليهود أنهم وصفوا أنفسهم بأنهم مفسدون فيختل المعنى ويتناقض الكلام ..
وكذلك قوله تعالى « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحنُ مُستهزؤون
اللهُ يستهزئُ بهم » فهذا اخبار من الله تعالى وفي الحقيقة جواب سؤالٍ مقدر لانه
تعالى لما أخبر عنهم أنهم قالوا كيت وكيت تشوَّف السامعون الى العلم بمصير أمرهم
فكانه قيل : ذا فعل الله بهم فقال « الله يستهزئ بهم ويمشهم في صغيانهم يعمهون »
.. وأما ما يجب اثبات الماعطف فيه فقوله تعالى « يخادعون الله وهو خادعهم »
ومكروا ومكر الله » فان كل واحدة من الجملتين خبر من الله تعالى . ومثله في القرآن
العظيم كثير . وأما الذى يخير بين اسقاطه واثباته فهو اذا كان اسقاطه لا يخل بالمعنى
واثباته لا يفيد معنى زائداً . وسيأتى بيان ذلك ان شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾

يشقل على ذكر جل عطف بعضها على بعض
بالواو • والفاء • وثم • واختلاف معانيها

• فن ذلك قوله تعالى « هو يُطِيعُنِي وَيُسْقِينِ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ » عطف أولاً بالواو لان الاطعام والاسقاء ليس فيهما ترتيب واجب مع أن تأخير الاسقاء أولى ولذلك أخره في الذكر وعطف ثانياً بالفاء اذ لامهلة بين المرض والشفاء وعطف ثم لما بين الامانة والاحياء من المهلة ومع ذلك نسب الموت الى الله لما في ذلك من اظهار القدرة والقهر ونسب المرض الى نفسه لان الادب أن لا ينسب الى الله تعالى الا ما يحمد والموت وان كان مذموماً لكنه عند قائل هذا محمود لانه على يقين من السعادة الاخرية • ومن ذلك قوله تعالى « فحَمَاتُهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِه مَكَاناً قَصِيّاً فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ » انما عطف بالفاء مع أن بين مجيء المخض والحمل مهلة لان المهلة التي بين حملها ومخاضها كانت مدة يسيرة قيل كانت يوماً وقيل كانت ثلاث ساعات وعليه أكثر المفسرين حتى يتميز حملها عن سائر النساء ويكون ذلك كرامة لها فعلى هذا يكون المراد بالآية بيان ذلك • • وجميع أفعال المطاوعة اذا كانت على معانيها فانما يعطف عليها بالفاء لا الواو وتقول دعوته فأجاب وأعطيته فأخذ ولا يحسن أعطيته وأخذ ولادعوته وأجاب قال الله تعالى حكاية عن ابيس « وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى » وكذلك تقول كسرتك فانكسر ولا تقول كسرتك وانكسر • وأما اذا كان فعل المطاوعة على غير معناه فقد يحسن العطف عليه بالواو كما في قوله تعالى « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه » • ومن المعطوف بالواو أيضاً قوله تعالى « وإنا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين. » ولو قال لنى هدى أو على ضلال لم يحسن لان على تفيد الاستعلاء وهو مناسب للحق وفى تفيد الوعاء والكافر كأنه مغموس فى الضلال • • ومن هذا النوع قوله تعالى « انما الصدقات للفقراء

والمساكين والعاملين عايتها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل»
ما عدل عن اللام في الاصناف الاخيرة الا لبيان ان تلك الاصناف أحق بالصدقات ينبغي
أن توضع فيهم وضع الشيء في الوعاء وكرر في ايمان أن سبيل الله أولى بذلك فتأمل
فهو كثير في القرآن

❦ القسم الثامن والخمسون ❦

(في الوصف)

والوصف أصله الكشف والاظهار من قولهم - وصف الثوب الجسم اذا لم
يستره ونم عليه .. وأحسنه ما يكاد يمثل الموصوف عياناً ولاجل ذلك قال بعضهم أحسن
الوصف ما قاب السمع بصراً .. ومنه في القرآن العظيم كثير مثل قوله تعالى في وصف البقرة
التي أمر بنو اسرائيل بذبحها لما سألوها أن توصف لهم بقولهم « أدع لنا ربك فيبين لنا
ما هي قال انه يقول انها بقرة لا قارض ولا بكر عوان بين ذلك » وقوله لما سألوها
أن يصف لهم لونها « قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين »
وقوله لما سألوها بيان فعلها قال انه « يقول انها بقرة لاذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث
مسلمة لاشية فيها » فجمع في هذه الآية جميع الاحوال التي يضبط بها وصف الحيوان
فان الحيوان عند البيع والاجارة وسائر وجوه التمايكات يحتاج فيه الى معرفة سنه ولونه
وعمله ثم يفتقر فيه الى معرفة عيوبه فنفي الله سبحانه وتعالى عن تلك البقرة كل عيب
بقوله - لاشية فيها - فجمع في هذه الآية جميع وجوه الوصف فانه في الاول وصف سنه وفي
الثاني وصف لونها وفي الثالث وصف خاقها وعملها .. ومن ذلك قوله تعالى « مثل
الجنة التي وعد المتقون » أي صفة الجنة التي وعد المتقون كيت وكيت .. ومنه قوله تعالى
« مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا » وقوله تعالى « الذين ينفقون » الآية .. وقوله
تعالى « مثل الحياة الدنيا » الآية .. ومن هذا الباب في القرآن كثير لا يحصى وكذلك

في السنة النبوية وكذلك في الشعر . . ومن بديع ما ورد في الشعر قول أبي تمام في وصف سحابة

ديعةٌ سحت المهاد سكوب مستغيثٌ بها الثرى المكروب
لوسعت بقعة لاعظام أخرى لسى نحوها المكان الجديد
.. والوصف قريب من التشبيه إلا أن الفرق بينهما أن التشبيه مجاز والوصف راجع
إلى حقيقة وذاته . وفي القرآن العظيم والكلام الفصيح منه كثير

٥ - القسم التاسع والخمسون .

(تنسيق الصفات بغير حرف نسق)

وهو أن تصف الشيء بصفات عديدة متوالية . أما لتعظيمه . وأما لتحقيره . وأما لبيان
خصوصية فيه . ومنه في الكتاب العزيز كثير . . أما في التعظيم فمثل قوله تعالى « هو
الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم » إلى آخر السورة
.. وأما في التحقير فكقوله تعالى « ولا تخضع كل حلاف مهين هازم شاء بنيم مناع
للخير معتد أثيم معتدل بعد ذلك زعيم » . وما لبيان الخصوصية واظهار الكرامة فكقوله
تعالى « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً » الآية . ومنه في السنة النبوية قوله صلى
الله عليه وسلم - ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني . يجلس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً
الموطون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون - ومن الدم - ألا أخبركم بأبغضكم إليّ
وأبعدكم مني . يجلس يوم القيامة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون - . . ومن هذا
النوع في الشعر كثير . من ذلك قول العباس يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
.. وقول حسان

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الاول

القسم الستون

(حسن النسق)

وهو أن تأتي كلمات من النثر أو النظم متتاليات ومتعاقبات منسوقة بعضها على بعض بحرف العطف كل كلمة إذا أفردت كانت تقوم بمعنى مفرد مستقل وكل بيت إذا جرد من تلوه استقل معناه ولم يفتقر الى غيره وان ضم اليه تلوه صارا كأنهما بيتاً واحداً . .
ومنه في الكتاب العزيز قوله تعالى « وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيضي الماء وقضى الامر واستوت على الجودي » وقيل بعداً للقوم الظالمين « فأتت ترى هذه الجمل معطوفاً بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة لانه سبحانه بدأ بالاهم اذ كان المراد اطلاق أهل السفينة من سجنها ولا يتهيأ ذلك الا بانكشاف الماء عن الارض فلذلك بدأ بالارض فأمرها بالانقلاع ثم علم سبحانه أن الارض اذا ابتاعت ما عاها ولم تنقطع مادة السماء تأذي بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها وربما ينزل من السماء أكثر مما تبتاع الارض فأمرها بالانقلاع بعد أن أمر الارض بالابتلاع ثم أخبر بغيض الماء عند ما ذهب ما على الارض وانقطعت مادة السماء وذلك يقتضي أن تكون ثلاثة الجماتين المتقدمتين ثم قال تعالى - وقضى الامر - أي هلك من قدر هلاكه ونجى من قضيت نجاته وهذا كله الآية وحقيقة المعجزة ولا بد أن تكون معلومة لأهل السفينة ولا يمكن علمهم بها الا بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم ولذلك اقنضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل وكذلك استواء السفينة على الجودي أي استقرارها على المكان الذي استقرت فيه استقراراً لا حركة معه لتبقى آثارها عبرة لمن يأتي بعد أهلها وذلك يقتضي أن تكون بعد ما ذكرنا . وقوله سبحانه وتعالى - وقيل بعداً للقوم الظالمين - وهذا دعاء أوجبه الاحتراس بمن يظن أن الهلاك ربما شمل من لا يستحق فدعا الله سبحانه وتعالى على الهالكين وسامهم ووصفهم بالظلم احتراساً من هذا الاحتمال وذلك يقتضي أن يكون بعد كل ما تقدم والله أعلم . فانظر

الى حسن هذا النسق كيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء . . . وقد حكي ان ابن المقفع العبدى عارض آى القرآن فلما بلغ الى هذه الآية أمسك عن المعارضة وقال هذه الفصاحة التى لا تبارى والبلاغة التى لا يسابق انتكالم بها ولا يجارى والقول الفصل الذى لا يخلف فيه ولا يتمارى . وهذا فى الشعر كثير . . . ومن أحسنه قول ابن شرف القيروانى

جاوِزَ علياً ولا تحفَلْ بمحادثةٍ اذا ادَّرَعْتَ فلا تسأل عن الاسلِ
سَلْ عنه وانطق به وانظر اليه تجدْ ملء المسمع والافواه والمقلِ

== القسم الحادى والستون ==

(المدح والذم)

وفى كتاب الله تعالى منه كثير . المدح للمؤمنين . والذم للكافرين ومدحه هو المدح على الحقيقة . وذمه هو الذم على الحقيقة . . . وقد مدح الله تعالى نفسه بقوله « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ » . وقوله تعالى « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » حتى قال بعض العلماء لكل أحد نسبة ونسبة الله تعالى - قل هو الله أحد - ومدح الله عز وجل نبيه بآيات كثيرة كقوله تعالى « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » ومدح نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فى آيات كثيرة . منها قوله تعالى « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا » ومدح المؤمنين بقوله تعالى « الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مِنْ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ » . والتائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله . . . وذم سبحانه وتعالى الكافرين بآيات كثيرة . منها قوله تعالى « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَبُغِيَ عَنْهُمْ » . ومن الناس من يقول آمنا بالله

وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وما يُخَادِعُونَ اللَّهَ أَتَفْهَمُونَ
وما يشعرون في قلوبهم مَرَضٌ فزادهم الله مَرَضاً ولهم عَذَابٌ أَلِيمٌ . . . وأما مدح
الناس بعضهم بعضاً فينبى لمن أراد أن يمدح أحداً أن يمدحه بالفاظ حسنة مستعذبة
واضحة المعنى رائقة اللفظ غير حوشية ولا قلقة وأن تكون القصيدة أو الرسالة حسنة
المطلع بديعة التخلص عذبة المقطع وأن يكثر في وصف المبدوح ونشر مآثره وتعدد
مكارمه ونحو ذلك ويكثر من ذكر النوع الذي يميل إليه من المكارم ويجب أن يوصف
به من المآثر ونحو ذلك . . . وقد قال قدامة الأوصاف التي يمدح بها أربعة . الأول
العقل ويدخل فيه الحياء والنبات والسياسة والكفاءة وثقافة الرأي والصدق بالحجة
والحلم عن سفاهة السفهاء وأمثال ذلك . الثاني الشجاعة ويدخل فيها المهابة والحماية
والدفاع والاختذ بالثأر والنكاية في العدو وقتل الاقران والسير في المهامه وأشياء ذلك .
الثالث العفة ويدخل فيها القناعة وقلة الشر وطهارة الإزار ونحو ذلك . الرابع العدل
ويدخل فيه السماحة والاطلاق والتبرع بالنائل واجابة السائل وقراء الضيف . ويحدث
من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر على الملمات والوفاء بالوعد . ومع العفة ترك الشره
والرغبة عن المسألة والاقتصار على أدنى معيشة . ومع العدل البروانجاز الوعد . ويحدث
من تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم . ومع العدل الاشتلاف
وترك الخلاف . ويحدث من تركيب العفة مع العدل الاسعاف بالقوة والايثار على النفس
ونحو ذلك . . . واستوعب زهير الاقسام الاربعة فقال

أخى ثقة لا تهلك الحر ماله ولكنهُ قد يهلك المال نائله

وصفه بالعفة لقلة امعانه في اللذات وبالسخاء ووصفه بالشجاعة والعقل فقال

ومن مثل حصن في الحروب ومثله لإذهاب ضيم أو لخصم يجادله

وأما قوله - أخى ثقة - فهو وصف بالوفاء وهو داخل فيما ذكرنا . . . وفي الهم يأتى
بأضداد ما تقدم . وقيل أحسن الهجاء ما لا تستحي العذراء من انشاده . وقيل في
الهم أن تأتى بالالفاظ المنكية والمعاني المشجية والمقاصد المؤلمة المبكية ويتوخى أقبح
معائب المهجوة وأعظم وجوه الازدراء به ولهذا المعنى حرّمه الله ورسوله وعم بالهم

﴿ القسم الثاني والستون ﴾

﴿ الحمد والشكر ﴾

وقد اختلف العلماء فيهما فقال قوم وهم الجمهور الحمد هو ذكر ما في الاسان من المآثر الحسنة والصفات المستحسنة والشكر ثناء يقصد به مجازاة المنعم . وقال بعض أهل العلم ان الحمد وصف الحلال كقول الحساء أخت صخر

وما بلغت كفى امرئ متاولا من المجد الآ والذي بات أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة وان أطنبوا الأ التي فيك أفضل
والشكر وصف الافعال كقول الشاعر

وانكم بقية حتى قيس وهضبت التي فوق النصاب
تبارون الرياح اذا تبارت وتمشون أفعال السحاب
يذكرني مقامي في ذراكم مقامي أمس في ظل الشباب

.. وقيل ان الحمد والشكر سواء . وقال أهل اللغة - حمدت الرجل - اذا شكرت له صنيعه - وأحمدته - اذا وجدته محموداً . وقال ابن الانباري - حمد - مقلوب مدح وقد قيل كيف يكون الحمد والشكر سواء والحمد فيضه الذم والشكر نقيضه الكفران والذي أختاره أن الحمد أعم من الشكر وانه قد يحمد الشخص على ما فيه من الاخلاق الجليلة والصفات الجميلة ويحمد على حسن خلقه من الصباحة والجمال والكمال ويحمد على ما فيه من الفصاحة والبلاغة والنجابة ويحمد على كثرة انعامه واحسانه والشكر انما يكون للنعمة عليك فقط فاذا حمدت أحداً ان نويت بالحمد الشكر له على ما اسدى اليك من الانعام والاحسان كان هذا الحمد هو الشكر لانه مجازاة لصنيع ومكافأة لاحسان. فقد اتيت بأعلى درجات الشكر هو الذي أشار اليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم بقوله الحمد رأس الشكر وهو الذى يجوز اطلاقه على الشكر واطلاق الشكر عليه
وان أردت بالحمد الثناء على صفاته الجميلة السكاملة التى خاقه الله عليها فهذا أخو المدح
وهو اعلاء ويجوز اطلاقه على المدح واطلاق المدح عليه وان أردت بالمدح وصفه بكمال
الجمال والجلال وحسن الشيم والخلال والثناء عليه بما أسدى اليك والى غيرك من الانعام
والافضال فهذا هو الحمد السكامل ولا يجوز أن يطابق عليه الشكر والمدح فهذا هو
الحق . . وقد تكلم المفسرون فى الحمد والشكر والفرق واتّحع بينهما وبين المدح ومن
علم ما ذكرته هنا سهل عليه الاختلاف والاتلاف والله الموفق للصواب لا رب غيره

— القسم الثالث والستون —

(تأكيده المدح بما يشبه الذم)

وهو كقولهم بحار العلم إلا أنهم جبال الحمد . . ومنه قول بديع الزمان
هو البدر إلا أنه البحرُ زائراً يسوى أنه الصرغام لـكنه الوابن
وهذا من نوع الغلو والإغراق وسيأتى بيانه عقيب هذا القسم ان شاء الله تعالى . وهذا
النوع فى القرآن كثير

— القسم الرابع والستون —

(المبالغة) وتسمى الافراط والغلو والايغال .

ومعنى هذه الاسماء متقاربة وبعضها أرفع من بعض

قال علماء علم البيان المبالغة الريادة على التمام وسميت مبالغة للوغها الى زيادة على
المعنى لو أزيلت تلك الزيادة وأسقطت كان المعنى تاما دونها لكن الغرض بها تأكيد ذلك
المعنى فى الله . . وفى القرآن العظيم والكلام الفصيح والاشعار منه كـ . .

أما الكتاب العزيز فقوله تعالى « اذْ جَاؤْكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا » . ومنه قوله تعالى « وقد
مَكُرُّوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَنْزِيلُ مِنْهُ الْجِبَالُ » وقد قيل ان
هذه الآية ليست من باب المبالغة بل حكاية عما وقع . ومنه قوله تعالى « تكادُ السَّمَاوَاتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا » . وقوله تعالى « ولو أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ
بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى » الآية . . . وأما الكلام الفصيح
فقد روى عن العرب أنهم قالوا فلان يهدُّ الجبال ويصرع الطير وينزع الجن ويروى
الماء . . . وقال بعض العرب في فرسه - يحضر ما وجد أرضاً وإن الواابل ليصيب عجزه
ولا يبلغ معرفته حتى أنال حاجتي - . ودم اعرابي رجلاً فقال - يكاد يمدى لؤمه من
تسمى باسمه - . وقالت سكينه - ما لبست بنى الدر إلا لتفضحه - ومنه في الشعر
كثير . . . فمن ذلك

أضأت لهم أحسابهم ووُجوههم دُجى الليل حتى نظمَ البجزع نأقبه
.. وقال المتنبي

لقيت الروابي والشناخيب دونه وجبت هجراً يترك الماء صاديا
.. وقال آخر

لو كان يعمد فوق النجم من كرم قوم لقلل أقعدوا يا آل عباس
.. وقال آخر

فكنت إذا ما جئت ليلي بأرضها أرى الأرض تطوى لي ويدنوبعيدها
من الخفريات البيض ود جليسا إذا ما مضت أحدوثه لو تعيدها
وكيف يود القلب من لا يودده بلى قد تريد النفس من لا يريد لها
.. وقال آخر

وحديثها السعفر الحلال لو أنه لم يحجر قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجز

شركُ النفوسِ ونزعةٌ مائلُها للمطمئنِّ وعُقلةُ المستوفزِ
والاشعار في هذا الباب كثيرة لا تحصى

— القسم الخامس والستون —

(الرثاء والتعزية)

فأما الرثاء فهو مدح الميت بما كان فيه من المناقب المذكورة والمحاسن الماثورة . ومنه قوله تعالى في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام « وتركنا عليه في الآخرين سلاماً على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين » . وقوله تعالى « إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين » . وقوله تعالى في حق نوح عليه الصلاة والسلام « وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين إنه من عبادنا المؤمنين » . . وأما التعزية فهو أن يذكر ما يتوصل به إلى تسلية مخلفي الميت وتصبيرهم واطفاء نار ثكلهم . وفي القرآن من ذلك كثير وهي كثيرة في أشعار المتقدمين والمتأخرين . . أما القرآن فقوله تعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنةً » . وقوله تعالى « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » . وقوله تعالى « وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا » . وقوله تعالى « كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة » . وقوله تعالى « أينما تكونوا يذر بكم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » . وقوله تعالى « والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » . وقوله تعالى « والذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » . وقوله تعالى « ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » . وأما الاشعار فقد ورد منها في هذا كثير لا يحصى . . فن أحسن ذلك قول بعضهم

مضى ابن سعيد حيث لم يبقَ مَشرقٌ ولا مغربٌ إلا له فيه مَدحٌ
وما كنتُ أدري ما فَوَاضِلُ كَفِّهِ . على الناسِ حتى غَيَّبَتْهُ الصَّفاحُ
وأصبحَ في لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مُفْرَدًا . وكانت به حَيًّا تَضِيقُ الصَّحاحُ
لئن عَظُمَتْ فِيهِ المِرائِي وحُسْنُهَا . لقد عَظُمَتْ مِنْ قَبْلُ فِيهِ المِدايحُ

.. ومن بديع التعزية قول بعضهم

أيتها النفسُ أَجَلِي جَزَعًا . إنَّ الذي تحذرين قد وَقَعَا

.. وقول بعضهم

قِسْمَةُ المَوْتِ قِسْمَةٌ لَا تَجُورُ . كلُّ حَيٍّ بِكَاسِهَا غَمُورُ

.. وقول الخنساء

يَذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا . وَأَنْدُبُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
ولو لَا كَزَّةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي . على إِخْوَانِهِمْ لَقَلَّتْ نَفْسِي
وما يَبْكَوْنَ مِثْلَ أَخِي وَلَسَكُنْ . أَسَلَى النَفْسَ عَنْهُ بِالنَّاسِي

﴿ القسم السادس والستون ﴾

(في الشكاية)

وهي في القرآن على قسمين . ملفوظ بها . وغير ملفوظ بها . . أما الملفوظ بها
ففي قوله تعالى « إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ » . ومن الشعر قول بعضهم
إلى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي . أَرَى الْأَرْضَ تَطْوَى وَالْإِخْلَاءَ تَذْهَبُ
.. وقال آخر

ولا خير في شَكْوَى إلى غير مُشْتَكِي . ولا بُدَّ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرُ
.. وأما غير الملفوظ بها ففي القرآن منه كثير . من ذلك قوله تعالى « قَالَ رَبِّ إِنِّ
الْقَوْمَ اسْتَزَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي » . وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة

والسلام « قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدتهم دعائي إلا فبراراً »
قوله « وأسررت لهم إسراراً » . وقوله تعالى « وأفوتض أمرى إلى الله إن الله
يصير بالعباد » . ومثله في القرآن كثير وفي الشعر كثير . . فمن بديعه قول الشاعر

يا الهى قد أثقلتني الذنوبُ فاعف عني فالفؤاد منك قريبُ
وتجاوز عن مذنب بخطايا . . عن الخير قلبه محبوبُ
كل يوم يمضي عليه ويدري أنه من حياته محسوب
وهو في غفلة بعيد من الخطير قريب منه الخطا والذنوب

.. ومن بديعه أيضاً قول بعضهم

يا من يُناجى بالضمير فيسمعُ أنت المعة لكل ما يُتوقع
يا من يُناجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزعُ
يا من خزائن جوده في قول كن أمين فان الفضل عندك أجمعُ
مالي سوى قرعى لبابك حيلةٌ فاذا رددت فأى باب أقرعُ
ومن الذى أدعوا واهتف باسمه ان كان برك عن فقيرك يمنع
حاشى لجودك أن يقنط راجياً الفضل أجزل والمواهب أوسع

.. وفي هذا الباب أشعار كثيرة لا تحصى

القسم السابع والستون

(الحكاية)

وهو ان يحكى كلام المتكلم اما بلفظه أو بمعناه والقرآن العظيم مشحون بذلك . وهو
على قسمين . ظاهر . ومقدر . . أما الظاهر فكما حكاه الله سبحانه وتعالى من قول
الملائكة « قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك » . ومنه قوله تعالى « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت

النصارى» وكذلك كل ما حكاه الله تعالى من أقوال القرون الخالية والامم الماضية . وأما
المقدر فكقوله تعالى « ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك »
التقدير يقولون - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - دليل
ذلك انه رد عليهم بقوله « قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثاً » ومثله في القرآن العظيم كثير

﴿ القسم الثامن والستون ﴾

(الاقتضاء)

وهو طلب الموعود بالوعد السالف . وهو على ضربين . حسن . وخشن . فالحسن
مرغوب فيه لانه يحصل المقصود وينجز الموعود . . . وأما المذموم فهو سبب الحرمان
وحسم لمادة الاحسان . وقد وقع منه في الكتاب العزيز القسمان . . . أما الحسن فنقل
قوله تعالى « ربنا وآتانا ما وعدتنا على رؤسنا ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخاف
الميعاد » . وقوله تعالى « قل رب احكم بالحق » وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون . .
وقوله تبارك وتعالى « ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين » استنجزوا وعده الكريم وهو قوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »
. . . وأما الخشن فورد منه في القرآن كثير أيضاً . فنه قوله تعالى « واذ قالوا اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » الآية . وقوله تعالى « وقالوا
ربنا عجل لنا قطننا قبل يوم الحساب » . وقوله تبارك وتعالى « فأتينا بما تعدنا ان
كنت من الصادقين » . وفي الشعر منه كثير



القسم التاسع والستون ﴿

التذكير﴾

وهو التنبية لمن غفل أو سهى عن شكر نعمة أسديت إليه ومن أزلفت لديه نسيها أو تناسها لتقوم عليه حجة المنعم وليوقظ من نوم غفاته في ليل نسيانه أو تناسيه المظلم . وفي الكتاب العزيز منه كثير من ذلك قوله تعالى « يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم . » وقوله تعالى « اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضأتكم على العالمين . اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآنا كم ما لم يؤت أحدنا من العالمين . » وقوله تعالى « فقلوا له لينأ لعله يتذكر أو يخشى » ومعناه لعله يتذكر سترنا له واعامنا عليه في أمر النيل اذ تضرع الينا فأجرينا له النيل لما التمس قومه . منه اجراء النيل أو يخشى انتقامنا منه في الدنيا بالفرق وفي الآخرة بللار والحرق . . والفرق بين الاقضاء والتذكير أن التقاضي لاستبعاد حصول المطلوب اطول مدة انتظار المرغوب . والتذكير انما يكون عن غفلة أو نسيان كقول بعضهم

جئتكَ للاذكارِ مُستحِرضاً لالتقائِنيكَ وَحُوشيتنا
ولستَ بالمُهملِ لكننا لكثرةِ الاشغالِ أنسيتنا

القسم الموفى السبعين ﴿

الوعد والوعيد﴾

. . أما الوعد فهو اطماع باحسان في المستقبل وهو على قسمين متحقق الوقوع وهو وعد الله سبحانه ونعالي لتو له تعالى « وعد الله لا يخاف الله وعداء . » وقوله تعالى « ان الله لا يخاف الميعاد » ووعد مرجو وقوعه وهو وعد العباد . والوعد يكون

في الخير والشر لكن استعماله في الخير أكثر قال الله تعالى « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مائياً » . وقال تعالى « الشيطان يمدكم الفقر ويأمركم بالفشحاء والله يمدكم مغفرةً منه وفضلاً » . وفي هذه الآية شاهد للمعنيين . وقد ورد في القرآن العظيم وفي الشعر منه كثير . أما القرآن فنه ما قدمنا . ومنه قوله تعالى « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا » . وقوله تعالى « وعدكم الله مغنم كثيرةً تأخذونها » . وقوله تعالى « ربنا وآتانا ما وعدتنا على رؤسنا » . . . وأما الوعيد فهو تخويف بسوء المجازاة في المستقبل تحذيراً من الوقوع في المخالفات . وفي القرآن العظيم منه كثير . فمن ذلك قوله تعالى « آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فردها على أديارها أو نابعثهم كالمنا أصحاب السبوت وكان أمر الله مفعولاً » . وقوله تعالى « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً » . وقوله تعالى « ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله ناراً خالدًا فيها وله عذاب مهين » . وقوله تعالى « والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عنهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور » الى قوله « وما للظالمين من نصير »

— — — — —

❦ القسم الحادى والسبعون ❦

(العتاب والانذار)

وهو دليل بقاء المودة ودوام عقد اللفة والصحة . والغرض به ازالة ما في النفوس من الوحشة لأن مجريانه يظهر ما في القلوب من آثار الجناية ويبدو ما في البواطن من تأكيد أسباب العناية اذ لولا بقاء المودة الخفية لحصلت القطيعة بالكلية ولم يحتج الى عتاب ولم يرغب في الاعتاب ولهذا قيل

* ويبقى الوُدُّ ما بقى العتاب *

ومنه في القرآن العظيم كثير . . فن ذلك قوله عز وجل « عفا الله عنك لم اذنت لهم » . وقوله تعالى « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك » . وقوله تعالى « عبس وتولى أن جاءه الأعمى » . وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » الى قوله « والله عليم حكيم » . وفي القرآن من جيل المتاب شيء كثير . . وأما الانذار ففي القرآن منه كثير لا يحصى . منه قوله تعالى « إن الذين كفروا سوائا عليهم أُنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون » . ومنه قوله تعالى « وأنذرتهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر » الآية . وقوله تعالى « وأنذرتهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون »

﴿ القسم الثاني والسبعون ﴾

(الاعتاب)

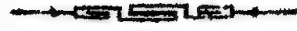
وهو رجوع الانسان عما عتبت عليه بسببه يقال عتبه فاستعتب أى أرجعته فارجم . ومنه قوله تعالى « فأن يصبروا قالنار متوى لهم وإن يستعتبوا فما هم بمعتمدين » . وفي الحديث - اما محرمنا فيزداد واما مسيئاً فيستعتب . . ومنه قول الشاعر
عتبت عليه فما أعتبا وعنه اعتذرت وقد أذنبنا

﴿ القسم الثالث والسبعون ﴾

(الاعتذار)

وهو التوسل الى محو الذنب وازالة أثر الجرم مأخوذ من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست . . ومنه قوله تعالى « يعتذرون اليكم اذا رجعت اليهم قل لا تعتذروا » الآية . وقوله تعالى « واذا قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو موعظهم »

عذاباً شديداً قالوا معذرة الى ربكم ولعاهم يتقون . وقوله تعالى « تبرأنا اليك ما كانوا إيماناً يعبدون »



— القسم الرابع والسبعون —

(تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل)

يُفعل ذلك لضرب من المبالغة . وفي القرآن العظيم منه كثير . . فن بديع ما جاء منه قوله تعالى « قالوا يا موسى إما أن تُناقى وإما أن نكون نحن الملقين » قولهم — يا موسى إما أن تلقى — تخيير منهم له وحسن أدب راعوه معه كما يفعل أرباب الصناعات اذا تلاقوا في تقديم بعضهم على بعض كالمشائرين قبل أن يتخاوضوا في الجدل وانما قالوا — وإما أن نكون نحن الملقين — ولم يقولوا وإما أن نقى كما قالوا — يا موسى إما أن تلقى — لرغبتهم في أن يلقوا قبله وتشوفهم الى التقدم عليه وذلك لما فيه من تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل . . ومما يجرى على هذا المنهاج قوله عز وجل « فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنا نحن أعلی » فتوكيد الضمير هاهنا في قوله — لا تخف انك أنت الأعلى — نفى الخوف من قاب موسى وأثبت في نفسه الغلبة والقهر ولو قال لا تخف انك الأعلى أو — وأنت الأعلى — لم يكن في التأكيد لنفي الخوف من قلب موسى كما له من القوة في تقرير الغلبة ونفي الخوف بقوله — انك أنت الأعلى — وذلك لأن في هذه الثلاث كلمات وهي قوله تعالى — انك أنت الأعلى — ست فوائد . الأولى إن المشددة التي من شأنها التأكيد لما يأتي بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول إن زيدا قائم ففي قولك ان زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد والتقرير له ما ليس في قولك زيد قائم . الثانية تكرير الضمير في قوله تعالى — انك أنت — ولو قال فأنت الأعلى لما كان بهذه المثابة من التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره . الثالثة لام التعريف في قوله — الأعلى — فلو قال انك أنت أعلى فسكره وكان صالحاً لكل واحد من جنسه كقولك

رجل فانه يصاح أن يقع على كل واحد من الرجال واذا قالت الرجل فقد خصه
من بين الرجال بالتعريف وجماعته علماً فيهم . وكذلك قوله - انك أنت الاعلى .
أى أنت الاعلى دون غيرك . الرابعة لفظ أفعل الذى هو من شأنه التفضيل ولم يقل
العالى . الخامسة اثبات الغاية من عال . السادسة الاستئناف فى قوله - انك أنت الاعلى - ولم
يقول لانك أنت الاعلى لانه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه لانه عال وانما نفي الخوف عنه أولاً
بقوله - لا تخف - ثم استأنف الكلام بقوله - انك أنت الاعلى - فكان ذلك أبلغ فى
تقرير الغاية لموسى عليه الصلاة والسلام وأثبت ذلك فى قابله ونفسه . فهذه ست فوائد فى
هذه الكلمات الثلاث فانظر أيها المتأمل الى هذه البلاغة العجيبة التى تحيّر العقول وتذهب
الالباب ومعجز هذا الكلام العزيز الذى أعجز البلغاء وأخفم الفصحاء ورجل فرسان
الكلام (فان قيل) لو كان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ من الاقتصار على أحدها
لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه فى كتابه حيث هو أحق بما هو أبلغ من الكلام
وقد رأينا فى الكتاب العزيز مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين
دون الآخر كقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك لمن تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير »
فما الموجب لذلك ان كان نأ كيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ فى بابه من الاقتصار على
أحدهما دون الآخر فقد كان يجب عند ذكر الله تعالى نفسه لانه أحق بالأبلغ من
العلاء وان كان الامر بخلاف ذلك فكيف قلنا ان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل أبلغ
(الجواب) عن ذلك انا نقول توكيد المتصل بالمنفصل انما يرد فى الكلام لتقرير المعنى
وأثباته فى الذهن وما يختص بالله تعالى لا يفتقر الى تقرير ولا اثبات لانه اذا قيل عنه
انه على كل شئ قدير لم يحتج فى ذلك الى توكيد حتى يتحقق ويتبين أنه على كل شئ
قدير بل علم وعرف أنه على كل شئ قدير وأن قدرته جارية على كل مخلوق فصار
هذا من الأمر المعروف الذى لا يعتريه شك ولا يعترضه ريب وما هذا سبيله فى الوضوح
والبيان فلا حاجة فيه الى التوكيد اذ كان التوكيد من شأنه التقرير للمعنى المراد اثباته
فى النفس وكون الله سبحانه على كل شئ قدير ثابت فى النفوس فلم يحتج الى تقرير

واثبات (فان قيل) فقد ورد في القرآن العزيز عند ذكر الله تعالى نفسه التأكيدي بالضمير المنفصل للضمير المتصل كقوله تعالى « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » الى قوله « انك أنت غلام القيوب » كما انك على كل شيء قدير . فما السبب في هذا وهلا كان الجميع شرعا واحداً (فالجواب على ذلك) انا نقول توكيد الضميرين أحدهما بالآخر في هذه الآية لا ينقض علينا ما أشرنا اليه أولاً لانه ان وقع الاختصار على أحدهما دون الآخر فان القول في ذلك ما تقدم في الآية الأولى وان جرى بهما معاً فان ذلك أبلغ في بابه وآكد والله تعالى أحق بما هو أبلغ من الكلام وآكد . ولنمثل لك في استعمال الضميرين معاً والاختصار على أحدهما دون الآخر مثلاً تتبعه فقول اذا كان المعنى المقصود أمراً معلوماً قد ثبت في النفس ورسخ في الالباب فانت بالخيار بين أن تؤكد أحد الضميرين بالآخر في الدلالة عليه وبين أن تقتصر على أحدهما دون الآخر لانك ان وكدت الكلام فيه أعطيت المعنى حقه وان لم تؤكد فانه لا يحتاج الى تأكيد لبيانه وظهوره فان كان المعنى المقصود خفياً ليس بظاهر ولا معلوم فالأولى تأكيد أحد الضميرين بالآخر لتقرره وتكسبه وضوحاً وبيانا . ألا ترى الى قوله لموسى عليه السلام - قلنا لا تخف انك أنت الاعلى - فانه كان ظهور موسى عليه السلام على السحرة وقهره لهم أمراً مستقرآ في ضمن الغيب لا يعلم ولا يعرف وأراد الله عز وجل أن يخبره بذلك ليذهب عنه الخوف والحذر بالأبلغ من الكلام ليكون ذلك اثبت في نفس موسى وأقوى دليلاً عنده في انتفاء الخوف عنه فوكد الضمير المتصل بالمنفصل فجاء المعنى كما ترى ولو لم يوكد كان ذلك أيضاً اخباراً لموسى عليه الصلاة والسلام بنفي الخوف عنه واستظهاره على السحرة ولكن ليس له من التقرير في نفس موسى عليه الصلاة والسلام ما لقوله انك أنت الاعلى فاعرف (وعلى) نحو من ذلك قوله تعالى - قالوا يا موسى اما أن تأتي وإما أن نكون نحن الملقين - فان ارادة الالتقاء قبل موسى لم يكن معلوماً عنده لانهم لم يعرجوا بما في أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقالة خطابهم لموسى الى ما هو توكيد ما هو لهم بالضميرين علم أنهم يريدون التقدم عليه والالتقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم لموسى عليه الصلاة والسلام

- القسم السادس والسبعون -

﴿ في لام التأكيذ ﴾

اعلم وفقنا الله وإياك أن علماء علم البيان وعلماء العربية اتفقوا على أن هذه اللام تدخل في الكلام لنوع من المبالغة وذلك أنهم اذا عبروا عن أمر يعز وجوده أو يعظم أمر احداثه ووقوعه جىء بها محقة لذلك وشاهدة . . فمن ذلك قوله تعالى « أفرايتم ما تخرجون أنتم تزرعونهُ أم نحن الزارعون لو نشاء اجمعناهُ حطاماً » . وقوله تعالى « أفرايتم الماء الذى يشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون » ألا ترى كيف دخلت اللام فى آية المظموم دون آية المشروب وانما جاءت كذلك لان جعل الماء العذب ماحاً ليس بعظيم ولأن كثيراً ما اذا جرت المياه العذبة على الاراضى المتغيرة التربة احالتها الى الملوحة والمرارة فلم يحتج فى جعل الماء العذب ماحاً الى زيادة تأكيد فلذلك لم تدخل عايه لام التأكيذ المفيدة زيادة التحقيق وأما المظموم فان جعله صعب فلذلك قرن بالام التأكيذ زيادة فى تحقيق أمره وتقرير ايجاده . وكونه هكذا يفعل بكل كلام فيه نوع خصوصية

- منتهى الإعجاز -

- القسم السابع والسبعون -

﴿ فى الاقتصاد والافراط والتفريط ﴾

قال ابن الاثير رحمه الله الاقتصاد أن يكون المعنى المضمن فى العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه فى منزلته . . وأما التفريط والافراط فهو أن يكون المعنى المضمن فى العبارة بخلاف ما يقتضيه منزلة المعبر عنه إما لانحطاطه دونها وهو التفريط وإما تجاوزاً عنها وهو الافراط لان أصل التفريط فى وضع اللغة من فرط فى الامر اذا قصر فيه وضيعه وأصل الافراط فى وضع اللغة من أفرط فى الامر اذا تجاوز عنه . . والتفريط

عيب في الكلام فاحش كقول الأعشى

وما من بد من خليج الفرا تَجُونِ غوارُبُهُ تَلْتَظِمُ

بأجودَ منه بما عونه إذا ما ساء لهم لم تغم

فانه قد مدح ملكا يجود بما عونه - والماعون - هو كل ما يستعمل من قدوم أو قاس أو قصيعة أو قدر وما أشبه ذلك فلا سبيل الى جعله مدحا البتة بل هو الى الذم أقرب منه الى المدح فهذا من أقبح التفريط فاعرفه . وأما الافراط فهو بمنزلة ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رجلا جاءه فكلمه فقال ما شاء الله وشئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أجعلتنى لله ندًا قل ما شاء الله وحده . . ومن هذا

الباب قول عنزة

وأنا النية في المواطن كلها والطمع منى سابق الآجال

فان الطمع لا يسبق الأجل لأن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر ويروى بالياء باثنتين من تحتها وهو أقرب أمراً من كونه بالباء الموحدة غير أن كليهما افراط . . واعلم أن علماء علم البيان في استعمال الافراط على ثلاثة أضرب . فمنهم من يكرهه ولا يراه صواباً كأبي عثمان الجاحظ فيما روى عنه ومنهم من يختاره ويؤثره كقدامة بن جعفر الكاتب فإنه كان يقول الغلو عندى أجود المذهبين فان أحسن الشمر أ كذبه . . ومنهم من يذهب الى التوسط بين الغلو والتفريط وهو الاقتصاد وذلك أن يجعل الغلو وهو الافراط مثلاً ثم يستثنى فيه بأو أو يكاد أو ما جرى هذا المجرى فيدرك مراده ويسلم من عيب عائب أو طعن طاعن وذلك كقول بعضهم في مدح الحسين

يكادُ يمسه عرفان راحته رُكنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم

. . وكقول أبي عبادَةَ البحتري

ولو أن مُشتاقاً تكلفَ فوقَ ما في وسعه لسمى اليك المتبر

وهذا المذهب المتوسط أليق المذاهب الثلاثة وأدخلها في الصنعة فاعرفه (قال المصنف عفا الله عنه) أما الاقتصاد والافراط فقد ورد في الكتاب العزيز منه شيء كثير وقد

تقدم بيانه وأما التفريط فليس في القرآن منه شيء

القسم الثامن والسبعون

(الغزل)

وهو من محاسن النظم والغزل التصابي والاشتهار بمودة النساء ولهذا قال بعضهم
أيام تدعوني الشيطان من غزل وكن يهويني اذ كنت شيطانا
واشتقاقه من الرقة لان المتغزل يرقق ألفاظه حتى يستميل بها القلوب ويعدها للرسائل
والوسائل بين المحب والمحبوب . وينبئ أن تكون ألفاظه مستعذبة ومعانيه ملهية
مطربة . وينبئ أن يكثر فيه من ذكر الاجرع والحى . ولعاع . والتقى . وطويلع .
وقبا . والعقيق . وحاجر . والمنحنى وما أشبه ذلك من الألفاظ مثل ذكر المنازل التي
ترشف ذكرها القلوب وتصبو اليها النفوس من غير أن تراها وكذلك يكثر فيه من
ذكر الحنين والتشويق والتعزين . وقد يحتاج في بعض المواضع الى ذكر الكرم
والشجاعة والفصاحة والبراعة لميل بذلك قلب المحبوب ويكون مدعاة الى نيل المطلوب
ألا ترى الى قول بعض الشعراء

يودُّ بأن يمسي عيلاً لها اذا سمعت منه يشكوى ترايله
ويهتز للمعروف في طلب العلى لتحمد يوماً عند سلمى شمائله

.. ومثل قول المتنبي

أيقنت أن سعيداً أخذ بدمى لما بصرت به بالرمح معتقلاً

اراد انها اذا رآته على هذه الصورة المليحة هويته فقالها من هواه كما نال المتنبي من
هواها فكأنه أخذ بثاره .. ومنه قوله في هذه القصيدة أيضاً

علّ الأمير يرى ذلى فيشفع لى الى الى جعلتى فى الهوى مثلاً

يشير الى أنها اذا أحبت الأمير علمت مقدار المحبة وعزرت من يحبها كما قيل

انما يرحم المحبة المحبو ن ويحنو على المشوق المشوق

والقرآن العظيم من جملة إعجازه كثرة الشجاء وترقيقه للقلوب واستماته للنفوس بحيث أنه

لا يسمعه أحد الا ومال اليه قلبه وامتلات به جوانحه وانطوت على مثل حجر الفضا ضلوعه وجرت على صفحات خده دموعه وفيه من وصف الجنة ونعيمها ومنازل الزلفى وطيب رسومها ما يشوق القلوب الى لقاءها ويسوق النفوس الى الحلول بفنائها مثل قوله تعالى « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ » . وقوله تعالى « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ » . وقوله تعالى « وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ » . وقوله تعالى « إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا » الى آخر السورة . وقوله تعالى « وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ » الى آخر السورة . وفي القرآن العظيم من هذا النوع كثير

❦ القسم التاسع والسبعون ❦

(في التشبيب)

وهو اللفظ الدال على محاسن النساء ومحاسن أخلاقهن وتصرف أحوال الهوى معهن ويدخل فيه الشوق والتذكر لمعاهد الألفة وتغيرها بالرياح الهابّة والبروق اللامعة وأمثالها . . ومن محاسن التشبيب قول بعضهم

لَوْ جَادَ هُنَّ غَدَاةً وَمِنْ رَوَاحَا	غَيْثٌ كَدَمِي مَا أَرَدَنْ بَرَا حَا
مَاتَتْ بِفَقْدِ الظَّاعِنِينَ دِيَارُهُمْ	فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا لَهَا أَرْوَاحَا
النَّائِيَاتُ النَّافذَاتُ نَوَاطِرَا	وَالنَّافِذِينَ أَسِنَّةٌ وَسِلَاحَا
وَأَرَى الْعَيُونَ وَلَا كَأَعْيُنِ عَامِرٍ	قَدَرَا مَعَ الْقَدَرِ امْتِنَاحٌ مُتَاحَا
مُتَوَارِثِي مَرَضِ الْعَيُونِ وَأَمَّا	مَرَضُ الْعَيُونِ بَأَنْ يَكُنْ صَحَا حَا
لَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ شُحِّ نِسَائِهِمْ	وَمِنْ السَّاحَةِ أَنْ يَكُنْ شِعَا حَا

طَرَقَتْهُ فِي أَتْرَابِهَا فَجَلَّتْ لَهُ وَهَنًا مِنَ الْفُرْدِ الصَّبَاحِ صَبَاحًا
وَبَسَمَنَ عَنْ بَرْدٍ تَأَلَّفَ نَظْمُهُ فَرَأَيْتُ ضَوْءَ الْبَرْقِ تَمَّتْ لَهَا
أَبْرَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونِ أَيْسَةً وَهَزَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْقُدُودِ رِمَاحًا
يَا حَبِذَا ذَاكَ السَّلَاحُ وَحَبِذَا وَقْتُ يَكُونُ الْحَسَنُ فِيهِ سِلَاحًا

والأشعار في مثل هذا كثيرة . وفي القرآن العظيم من وصف النساء كثير مثل قوله
تبارك وتعالى « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن » مؤمنات
قانتات ثابتات عابدات ساجدات ثبات وأبكاراً . وقوله تعالى « حورٌ مقصورات
في الخيام » . وقوله تعالى « قاصرات الطرف » الآية . وفي القرآن العظيم كثير

القسم الموفى ثمانين

(الاستدراج)

قال ابن الأثير وهو التوصل الى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ
المعنى المقصود من حيث لا يشعر به . وفي ذلك من الفرائب والدقائق ما يؤنق السامع
ويطربه لأن بناء صناعة التأليف عليه ومنشأها . ومن هذا الباب قوله تعالى « واذكر
في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبيّاً اذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تعبدُ » الى قوله
« فتكون للشيطان وليّاً » هذا الكلام يهز أعطاف السامعين ويهيج نفوس المتأملين
فعليك أيها المترشح لهذه الصناعة امعان النظر في مطلوبه وترداد الفكر في انشائه واتخاذ
قدوة لك ونهجاً تعتقه ألا ترى حين أراد إبراهيم أن ينصح أباه ويعظه فيما كان متورطاً
فيه من الخطأ العظيم الذي عصى به أمر العقل كيف رتب الكلام معه في أحسن
سياق وانتظام مع استعمال المجاملة واللفظ واللين والادب الجميل والخلق الحسن
مستصحباً في ذلك نصيحته وذلك أنه طاب منه أولاً نقله عن خطيئته طلب منه على
تماديهِ موقظ له من افراطه وقلة تناهيه لأن المعبود لو كان حياً مهماً سمياً مصعباً

مقدراً على الثواب والعقاب إلا أنه بمض الخلق لا يشك في نقص عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلق كاللائكة والنبين فكيف بمن جعل المعبود جاداً لا يسمع ولا يبصر ثم نفي ذلك بدعوته الى الحق مترقياً به ومتلطفاً فلم ينهم أباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق ولكن قال ان مى لطائف وشيئاً منه وذلك علم الدلالة على الطريق السوى فلا تستكف وهب أنى وإياك فى مسير وعندى معرفة بالهداية دونك فأتبعنى أنجحك من أن تضل قنبيه ثم ثأث بتشيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذى استعصى على ربك الرحمن الذى جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك وعدو أبىك آدم هو الذى ورطك فى هذه الورطة وألقاك فى هذه الضلالة إلا أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لامعاه فى الخلاص لم يذكر من جنابة الشيطان إلا الذى يختص منها بالله عز وجل وهى عصيانه واستكباره ولم ياتفت الى ذكر معاداته لآدم وبنيه ثم ربيع ذلك بتخويفه سوء العاقبة وما ينتج عليه من الوبال ولم يخل هذا الكلام من حسن أدب حيث لم يصرح بالعقاب اللاحق بأبيه ولكنه قال انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فذكر الخوف والمس اعظاماً لهما وترك العقاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله فى جملة أشياعه أكثر من العذاب وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بقوله - يأبى - توسلاً اليه واستعطافاً فقال له فى الجواب «أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجنك وأهجرنى ملياً» ألا ترى كيف أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغازى العناد فناداه باسمه ولم يقابل قوله - يأبى - ببيانى وقدم الخبر على المبتدأ فى قوله - أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم - لانه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب أحد عنها ومن هذا الباب قوله تعالى « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » الى قوله « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام والطف مغزاه فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذباً فكذبه يعود عليه ولا يتخطاه وان كان صادقاً فيصيبكم بعض الذى يعدكم ان

تعرضتم له . وفي هذا الكلام من حسن الأدب والانصاف ما أذكره لك أيها المتأمل وأقول انما قال يصبكم بعض الذي يعدكم وقد علم أنه نبي صادق وان كل ما يعدهم به لا بد من أن يصيبهم لا بعضه ولانه احتاج مع أدلة خصم موسى أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقابلة خصمه غير المشتط فيه وذلك حين وصفه الله بكونه صادقاً فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يقر به لكنه أردفه بقوله « يصبكم بعض الذي يعدكم » ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاء حقه وافياً فضلاً من أن يتعصب له وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل وكذا قوله « ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب » أي لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله بالنبوة ولا عضده بالبينات فتبين أيها المتأمل لهذه الدقائق اللطيفة الصنع تدل على التيقظ في صناعة التأليف

❦ القسم الحادى والثمانون ❦

(خذلان المخاطب)

وهو الامر بعكس المراد ويدل ذلك على الاستهانة بالمأمور وقلة المبالاة بأمره أي انا مقابلك على فعلك ومجازيك بحسبه . فمن ذلك قوله تعالى « واذا مس الانسان ضرّاً دعا ربه منياً اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلاً انك من أصحاب النار » . فقوله - قل تمتع بكفرك - من باب الخذلان كأنه قال له اذ قد أبيت ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك وتأمرك بتركه . وهذا مبالغة في خذلانه لان المبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على ضد ما أمر به . . . ومن هذا الباب قوله تعالى « قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه » فان المراد بهذا الامر الوارد على

وجه التخيير المبالغة في الخذلان على ما سبق ذكره . وفي هذا الكلام معنيان لطيفان . الاول أى أن عبادتكم لله وعبادتكم لغيره انما تنفع أو تضر لكم لالسواكم قاله تعالى . مستغن عن عبادتكم له . الثانى توعده لهم بالمقابلة على فعلهم من غير تصريح بالوعيد وذلك أبلغ من الاصرار به لوقوع الموعود في حيرة من أمره وتراعى وهمه عند ذلك الى كل خطب عظيم من المجازاة والمقابلة كقولك لمن عصاك افعل ما شئت أى انى مقابلك عليه . وهذا نوع من علم البيان سريـ

- القسم الثانى والثمانون -

(التعليق والادماج)

وهو أن يدمج مدحاً بمدح أو هجواً بهجواً أو معنى بمعنى كما قال المتننى
الىكم تردُّ الرُّسل عما أتوا به كأنهم فيما وهبت ملامُ
أدمج رد الرسل برد اللوم وكلاهما مدح . . وقوله أيضاً
حسنٌ في وجوه أعدائه أقبح من ضيفه رأته السَّوامُ
أدمج الحسن مع القبح وكلاهما مدح وصفه بالكرم لأن ابله اذا رأته ضيفه علمت أنه
ينحرفا له وقد سمي العسكري هذا النوع في كتاب الصناعتين له المضاعف وأنشد فيه
وأسرعتْ نحوكَ لما دعوتْ ت كأتى نوالك في سرعته

.. ومثله في وجيه الدولة

وبات أسعدنا حظاً بصاحبه من كان في الحب أشقانا بصاحبه
وقاعدة هذا الباب أن يكون أحد المعنيين تلويحاً والآخر تصريحاً . وفي القرآن العظيم
من هذا النوع كثير

— القسم الثالث والثمانون —

(الاستخدام)

وهو أن تكون الكلمة لها معنيان فيحتاج اليهما فيذكرها وحدها فيستخدم المعنيين كما قال الله تبارك وتعالى « لا تقرّبوا الصلاة وأنتم سُكَارَى » والصلاة هاهنا يحتمل أن تكون فعل الصلاة أو موضع الصلاة فاستخدم الصلاة بلفظ واحد لأنه قال سبحانه « إلا عابري سبيل » فدل على أنه أراد موضع الصلاة • وقال تعالى « حتى تعلموا ما تقولون » فدل على أنه أراد فعل الصلاة • وأنشدوا للبحتري

فسقى الغضا والساكنيه وانهم شبوه بين جوانح وقلوب

— الغضا — يحتمل أن يكون الموضع ويحتمل أن يكون الشجر فاستخدم المعنيين به — والساكنيه — أراد المكان والشجر بقوله — وانهم شبوه — ومن ذلك لبعض العرب اذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضا

— والسماء — يحتمل معنيين المطر والنبات فاستخدم المعنيين بقوله — اذا نزل — يعنى المطر — رعيناه — يعنى النبات • • وكما قال الشيخ أبو العلاء

وفقيه أفكاره شدن للنعمان ما لم يشده شعر زياد

يحتمل معنيين أحدهما أن يكون النعمان بن المنذر الملك والآخر أن يكون النعمان بن ثابت الفقيه فاستخدم المعنيين بلفظ واحد فقال — شدن للنعمان — يعنى أبا حنيفة رضى الله عنه وقال — شعر زياد — يعنى النعمان بن المنذر لأن زياداً هو السابقة مدح النعمان • • وكما قال أبو تمام

واذا مشيت تركت بصدرك ضعف ما بحليتها من شدّة الوساوس

لأن الوساوس — يحتمل معنيين وهو بلابل الصدر وصوت الحلي فاستخدم المعنيين بقوله — تركت بصدرك — يعنى البلابل وبقوله — ضعف ما بحليتها — يعنى صوت الحلي • • ومنه اسم من ملئ ومن صدعنى وجفانى لغير ذنب وجرم

والذى ضنّ بالوصلِ علينا مثل ما ضنّ بالهوى قلبُ نعم
 هذا استخدام فى الاعراب لان قلب مرفوع بالخبر وفاعل ضن وهو أيضاً استخدام
 فى المعنى لانها بمعنى قلب من المقلوب لان الاسم - معن - فهو معكوس - نعم - فاعرفه
 • ومنه فى الكتاب العزيز كثير • • من ذلك قوله تعالى « وكان وراءهم ملك يأخذ
 كل سفينة غصبا » يحتمل أن يكون أراد وراءهم - أى فى طلبهم ويحتمل أن يكون
 أراد أمامهم • ومن ذلك قوله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء »
 - والقروء - الحيض والقروء أيضاً الطهر واللفظ يحتمل المعنيين فاعرفه

القسم الرابع والثمانون

(التفسير)

وهو أن يأتى فى البيت ذكر نكتة أو بيت أو رسالة أو خطبة أو غير ذلك فيومئ
 اليها الشاعر أو النائر مثل قوله تعالى « فيهن قاصرات الطرف » فان امرأ القيس
 أو ما اليه بقوله

من القاصرات الطرف لو دَبَّ مُحَوِّلٌ من الذرِّ فوق الأنف منها لأثرا
 • • ومنه قول الآخر

الومُ زياداً فى ركاكة رأيه وفى قوله أى الرجال المهذب
 وهل يحسن التهذيب منك خلائفاً أرق من الماء الزلال وأطيب



الفن الثاني

ما يتعلق بالالفاظ من الفصاحة كما أن ما يتعلق بالمعاني من البلاغة ولهذا قيل معنى بليغ ولفظ فصيح يقال أفصح الأعجمي وفصح اللحان . وهذا الفن يسمى أيضاً البديع . والبديع علم يبحث فيه عن أحوال اللفظ المؤلف من حيث لا يمكن أن يوثق به إلا بحسن انتظام وهو ينقسم الى أقسام

(الاول التهذيب)

وهو تخلص الالفاظ من ثقل العجمية وهجنة الحوشية وفضاظة النبطية وأن يترك الكلام عذب المساق حسن الاتساق قريباً من فهم السامع عذب المساغ في اللهوات والمسامع يدخل الأذن بغير إذن ويتصور معناه في العقل بدقيق التدبير ولطيف التفكير . والقرآن العظيم كله من أوله الى آخره على هذه المثابة غير ما فيه من المتشابه فانه يحتاج الى الامعان في التذكر وترديد التدبير وذلك أيضاً على غاية ما يكون من الحسن فكل في بابه قد استوفى بديع نصابه قد بسقت اشجاره وعذبت ثماره واتسقت ألفاظه واستحكمت معانيه وحسن رونقه وعظمت حلاوته وطلاوته لا تملأ الاسماع مع كثرة ترداده ولا تنفر منه الطباع مع ابراقه وارعاده بل هو الذي أحكمت آياته وفصلت وكتلت معانيه في ألفاظه وحصلت وأحكمت أحكامه وأصلت فهو كما قال الله تعالى « كتابٌ أحكمت آياته ثم فصلت » قد سلم من حوشى الالفاظ ورذ لها وتخلص من فضاظة العجمة وثقلها وكل كلمة منه حلت محلها وقرنت بمثلها فهو كما قال البحترى

واذا دجت أقلامه ثم انتحت	برقت مصابيح الدجى فى كتبه
فاللفظ يقرب فهمه فى بعده	مناً ويبعد نيله فى قربه
بحكم سحائبها خلال بنانه	هطالة وقلبيها فى قلبه
كالروض مؤثلاً بحمرة نوره	وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها والسمع معقود بها	شخص الحبيب بدا لعين محبه

وهذه الابيات من أحسن ما قيل فى التهذيب وأبلغ ما نظم فى التقييع والترتيب ويتعين

على كل ناظم ونثر أن لا يملئ قصيدة أو رسالة أو خطبة حتى يتلمحها بعين بصيرته
ويقدح لها زناد فكرته وقريحته ويهذب ألفاظها ويحقق معانيها ويحسن مسانغاها ويؤسس
مبانيها كما قبل

لا تعرضن على الرواة قصيدة ما لم تبالغ قبل في تهذيبها
فاذا عرضت الشعر غير مهذب عدوه مثل وساوس تهذي بها

— القسم الثاني —

(الانسجام)

وهو أن يأتي الكلام سهل المساق عذب المذاق حسن الاتساق منحدراً في الاسماع
كتحدر الماء المنسجم حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون موقعا في
النفوس وعذوبة في القلوب ما ليس لغيره مع بعده من التصنع وأكثر ما يقع غير
مقصود كمثل الكلام الموزون الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفواً كأنصاف أبيات
وقمت في أثناء الكتاب العزيز وفي السنة . وقد وقع من ذلك كثير في الخطب والرسائل
ومن ^(١) أن يكون بيتاً أو نصف بيت . وقد وقع في غير القرآن بيتان فصاعداً وليس بشعر
وان لم يقصده . فأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلا مثل البيت الواحد والنصف
والبيت المفرد لا يسمى شعراً وأيضاً فإن الشعر انما يسمى شعراً لكونهم شعروا به أي
فطنوا . وهذا انما جاء عفواً في درج الكلام . . فما ورد من ذلك في القرآن
المعزى قوله تعالى « وجفان كالجوابي وقذور راسيات » فوافق هذا في درج الكلام
قول امرئ القيس

امرؤ القيس رهينٌ مولى بالفتيات
مكرم الضيف بلحم وشحوم البكرات
في جفان كالجوابي وقذور راسيات

• • وقد قال بعض أهل العلم بالعروض ان الذى فى القرآن من ذلك ليس بمترن ولا موافق لبحر بيت امرئ القيس وهو صحيح • • ومن ذلك قوله تعالى « إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ » • وقوله عز وجل « نَجِ عِبَادِى أَنِى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » • وقوله تعالى « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ » والتلاوة أيضاً لا تستقيم على الوزن انما الوزن يكون على تحبوا دون النون كما قال بعض الشعراء

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَا

• • وقد جوّز الخذاق الماهران بأوزان القريض المألون بضروبه واجزائه وتقطيعه هذه الايات فلم يجدوها موزونة بل مباينة لأوزان الشعر إما بزيادة أو نقصان ولولا خشية التطويل لينت ذلك

القسم الثالث

(الاشتقاق) ويسميه بعضهم الاقتضاب أيضاً وهو من باب التجنيس وان عُدَّ أصلاً برأسه

وهو أن يجيء بألفاظ يجمعها أصل واحد فى اللغة كقوله تعالى « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ » • • وقول أبى تمام

عَمَّتِ الْخَلْقَ مِنْ نَعْمَاكَ حَتَّى غَدَا الثَّقَلَانِ مِنْهَا مُثْقَلَانِ

(قال المصنف عفا الله عنه) هذا الباب أولى بأن يكون من أجناس التجنيس والآية التى استشهد بها هى من التجنيس المغاير والبيت الذى استشهد به من التجنيس المماثل • وسندكر أجناس التجنيس وأقسامه فى فصل مفرد بعد ان شاء الله تعالى • • ومما يشبه هذا النوع وليس منه ويسمى المشابهة قوله تعالى « إِنِّى لَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ » • • وقول البحتري

وَإِذَا مَا رِيَّاحُ مُجُودِكَ كَهَبَتْ صَارَ قَوْلُ الْعِدَاةِ فِيهَا هَبَاءَ

ذكره الزنجاني في تكملة . . قال ابن الاثير الاشتقاق على قسمين . صغير . و كبير .
 فالصغير أن تأخذ أصلاً من الاصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغته ومبانيه
 كتركيب س ل م فانك تأخذ معنى السلامة في تصرفه نحو سلم وسلم وسلمان
 وسلمى والسليم للديخ أطلق عليه ذلك تفاؤلاً بسلامته . وعلى هذا جاء غيره من
 الاصول كقولنا هشمتك هاشم وحاربك محارب وسالمك سالم وأصاب الارض صيب لأن
 الصيب هو المطر الذي يشتد صوته ووقعه على الارض . وأمثال ذلك كثير . . ولهذا
 الضرب من الكلام رونق لا يخفى على العارف بهذه الصناعة . . فما جاء منه قول بعضهم
 * أمحلتى سلمى بكاطمة أسلماً *

. . وكذلك قول الآخر وهو جرير بن عطية
 وما زال معقولاً عقالاً عن الداء وما زال محبوساً عن الخير حابساً
 . . وقال غيره

* ان قومي لهم جداد الجديدر *

. . وشكى الى بعض الخلفاء جور عامل له وُسئل أن يكتب اليه كتاباً فقال ما ترك
 فضة الا فضها ولا ذهباً الا اذهبه ولا غنمة الا غنمها ولا مالا الا مال عليه فأى شئ
 بعد يكتب اليه . وأمثال هذا كثير فاعرفها . . قال ابن الاثير وأما الاشتقاق الكبير
 فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحداً يجمع تلك
 التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شئ من ذلك ودّ بلفظ الصيغة والتأويل اليها كما
 يفعل الاشتقاقيون . ولضرب لذلك مثلاً فنقول ان لفظة ق ر م من الثلاثي لها
 ستة تراكيب وهى قرم . قر . رمق . رقم . مرق . مرق . فهذه التراكيب الستة
 يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة - والقرم - شدة شهوة اللحم - وقرم - الرجل
 اذا غلب من يقامره - والرقم - الداهية وهى الشدة التى تلحق الانسان من أمره
 وعيش - مرمق - أى ضيق وذلك نوع من الشدة أيضاً - والمقرم - شبه الصبر يقال أمقر
 الشئ اذا أمر وفي ذلك شدة على الذائق وكراهة - ومرق - السهم اذا نفذ من الرمية
 وذلك لشدة مضائه وقوته . . واعلم انه اذا سقط من تركيب الكلمة شئ فجاز ذلك في

الاشتقاق لأن الاشتقاق ليس من شرطه كمال تراكيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت الى معنى واحد يجمعها . . فنال ما سقط من تركيب الثلاثى لفظة و س ق فان لها خمسة تراكيب وهى و س ق . و ق س . و ق س . و س ق . و س ق . وسقط من جملة التركيب قسم واحد وهو س ق و جميع هذه الكلمة تدل على القوة والشدة - فالوسق - من قولهم استوسق الامر أى اجتمع وقوى - والوقس - ابتداء الحرب وفى ذلك شدة على من يصيبه - والسوق - متابعة السير وفى هذا عناء وشدة على السائق والمسوق - والقسوة - شدة القاب وغلظه - والقوس - معروف وفيه نوع من الشدة والقوة لسرعة السهم واخراجه الى ذلك الرمى المتباعد . . واعلم انا لاندعى أن هذا يطرّد فى جميع اللغة بل قد جاء شئ منها كذلك وهذا مما يدل على متانتها وحكمها لأن الكلمة الواحدة تتقلب على ضروب من التكاليف وهى مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أعجب الأمور التى توجد فى لغة العرب واعذبها فاعرفه

— القسم الرابع —

(الجزالة والرزالة)

أما الجزالة فقد تقدم الكلام عليها والقرآن العظيم من وجوه اعجازه جزالة ألفاظه وهو من أوله الى آخره لا يسرّ حلال الجزالة والفصاحة سالم من الرذالة والفضاعة . . وأما الرذالة فهى فى غير القرآن فمنها فى المنظوم والمشور كثير . . أما المنظوم فمثل قول بعض العرب

زياد بن عيينة تحت حاجبه واسنانه بيض وقد طرّ شاربه
ومثله ما أنشد سيبويه فى كتابه

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

. . ومثل قول أبى العتاهية

مات الخليفة أئيبها الثقلان فكانت أفطرت في رمضان
وأما النثر فمثل قولهم - فلان لثيم الخيم كان كفه ميم وكان عقله جيم ان واصلته منع
وان أعطيته قطع - والقرآن العظيم أجل وأعظم من أن يكون فيه شيء من ذلك أو يماثله

﴿ القسم الخامس ﴾

(السهل المتنع)

وهو الذي يظن من سمعه لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه أنه قادر على الاتيان
بمثله فاذا أراد الاتيان بمثله عنز عليه مثاله وامتنع عن طالب معارضته فلا يناله والقرآن
العظيم كله على هذا المنوال خلا ما فيه من التشابه والحروف التي في أوائل السور
فاذا فسرت كانت كذلك . ومنه في السنة كثير . . من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
- تنكح المرأة لجمالها ومالها وحسبها عليك بذات الدين تربت يداك - . وقوله صلى
الله عليه وسلم - اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في
المنبت السوء - . وقوله صلى الله عليه وسلم - المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء
وعودوا كل جسد ما اعتاد - . وقوله صلى الله عليه وسلم - الخيل معقود في نواصيها الخير
الى يوم القيامة ظهورها عز وبطونها كنز - . . وأما في النثر والتنظم فقليل . مثاله في
النثر قول العماد الكاتب - ولو جعل الله حظه من الذهب كحظه من الادب لاستجدي
من سعته قارون واستعان بفصاحته هارون - . . ومنه في الشعر مثل قول مروان
ابن أبي حفصة

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللِقَاءِ كَانَهُمْ	أُسُودٌ لَهَا مِنْ تَغِيلٍ خِفَانِ أَشْبَلُ
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا	لَجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاءِ كَيْنِ مَنْزِلِ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا	أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
بِهَالِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ	كَأُولِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أُولُ
وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فَعَالَهُمْ	وَأَنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَأَجْلُوا
ثَلَاثُ بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ حُبَاهُمْ	وَأَحْلَاهُمْ مِنْهَا لَدَى الْوِزْنِ أَثْقَلُ

﴿ القسم السادس ﴾

(الرشاقة والجهامة)

فأما الرشاقة فقد ذكرناها آنفاً وفي القرآن العظيم منه كثير .. وأما الجهامة فليس في القرآن منها شيء فان الجهامة لا تكون الا عن غلط طبع وشدة حصر وليسكن القرآن العظيم منزّه عن ذلك

﴿ القسم السابع ﴾

(الفك والسبك)

أما الفك فهو أن يفصل المصراع الاول من المصراع الثاني أو الفقرة الاولى من الفقرة الثانية أو الجملة الاولى من الجملة الثانية ولا تتعاق الثانية بشيء من معنى الاولى مثل قول زهير

حجّ الديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم

.. ومن ذلك قول المتنبي

جللاً كما بي فليك التبرج أغذاء ذا الرشا الاغن الشيخ

.. وهذا النوع منه في القرآن كثير فانه يأتي بجملة أثر جملة ليس لها تعاق بالتي قبلها والنحاة يسمون ذلك الجمل المعترضة .. وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت أو الرسالة أو الخطبة بعضها ببعض من أوله الى آخره ولهذا قيل خير الكلام المسبوك المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض . والقرآن العظيم آياته كلها كذلك فاعرفه

﴿ القسم الثامن ﴾

﴿ الحل والعقد ﴾

وهو أن يأخذ لفظاً منظوماً فينثره أو منشوراً فينظمه مع الاتفاق في المعنى . . وهذا القسم يختص بالإنشاء معروف بالكتاب البلقاء الفصحاء وهو من أجل ما يمتثلون به وأعظم ما يترفعون بسببه . . وفي القرآن العظيم من جنسه وهو ما ورد فيه من آية بجملة فسرتها آية أخرى أو مفسراً أجملتها آية أخرى فأشبه ذلك الحل والعقد . . وأكثر ما يقع هذا النوع في الشعر والرسائل فإن الشعر معقود والنثر يحلله والنثر محلول والشعر يعقده وللماهرين في صناعة الإنشاء من هذا كثير ليس هذا موضع ذكره إذ ليس غرضنا في هذا الكتاب إلا اثبات ما وقع في الكتاب العزيز من فنون الفصاحة وعيون البلاغة وبدائع البديع أو ما يجري مجرى ذلك

﴿ القسم التاسع ﴾

﴿ الازدواج ﴾

وهو أن يزاوج بين الكلمات أو الجمل بكلام عذب وألفاظ حلوة . . ومثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « فَنِ اعْتَدِي عَلَيْكُمْ فَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » وقوله تعالى « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » وقوله تعالى « يَخَادَعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخَادَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ » ومثله قوله تعالى « وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً » وقد جاء في الكلام الفصيح وأشعار العرب وغيرها مؤتفاً ومختلفاً ويكون كلمة وكلتين . . ومنه الحديث - أما محسناً فيزداد وأما مسيئاً فيستعيب - . . ومنه قول الشاعر

عَبْتُ عَلَيْهِ فَمَا أَعْتَبَا وَعَنْهُ اعْتَدَرْتُ وَقَدْ أَذْنَبَا

القسم العاشر

(تضمين المزدوج)

وهو أن يقع في الفقرات لفظان مسجعان بعد مراعاة حدود الاسجاع والقوافي الأصلية كقوله تعالى « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَنْدُ هَذَا أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِيْنَ لَا عَذَابَ بَنِيَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا ذَبْحَنَّهُ أَوْ لِيَ أَتَيْتَنِي بِسُلْطَانٍ مَبِينٍ فَكَيْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَمِينٍ » بعد مراعاة اللفظ في مقاطع الآي وهي - الغائين و ميين - . . ومنه في الشعر والنثر كثير . فننثر قول بعض البلغاء فلان رفع دعامة الجِد والمجد باحسانه وبرز بالجد والجد على أقرانه . . ومثاله من النظم قول الشاعر

تَعَوَّدَ رَسْمَ الْوَهْبِ وَالنَّهْبِ فِي الْمَلَا وَهَذَا نِ وَقْتَ الْإِطْفِ وَالضُّفِّ دَائِبُهُ
فِي الْإِطْفِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ هِبَاتُهُ وَفِي الضُّفِّ أَعْمَارُ الْعِدَاةِ نِهَابُهُ

القسم الحادي عشر

(التسجيع . والكلام عليه من وجوه)

الاول في أقسامه . الثاني اختلاف العلماء في جواز استعماله وحظره . الثالث في شرطه وما ينبغي أن يكون فيه (الاول) قد اختلفت عبارات أرباب هذه الصناعة في التسجيع فقال قوم هو على ثلاثة أقسام . المتوازي . والمتطرف . والمستحسن . . أما المتوازي فهو رعاية الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروى . وذكر الروى في النثر توسعة في الكلام والآ فالروى مخصوص بالشعر . مثاله من كتاب الله تعالى قوله عز وجل « فِيهَا تُسْرَرُّ مَرْفُوعَةٌ وَأُكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ » . . ومثاله من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم - اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً - . . وأما المتطرف فهو

أن تنفق الكلمتان الأخيرتان في الحرف الأخير دون الوزن . مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً » . . . ومنه قول بعض الباطناء - جنابه محط الرحال ونجتم الآمال - . . . وأما المتوازن فتأله من الكتاب العزيز قوله تعالى « وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم » . . . وقال قوم هو على ثلاثة أقسام . قصير . وجزر . ومتوسط . معجز . وطويل . مفصح . مبين . للمعنى . مبرز . . . أما الاول وهو القصير فاعلم ان أقصر الفقرات القصار في السجع ما يكون من لفظين كقوله تعالى « والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمفريات ضبحاً » . وقوله تعالى « والمرسلات عرفاً فالماصات عصفاً » . وقوله تعالى « يا أيها المدثر قم فأندز وربك فكبر وثيابك فطهر » . . . وأطول الفقرات القصار ما يكون من عشر لفظات وما بين هذين متوسط كقوله تعالى « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » . . . وقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتِر وكذبوا واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وكلُّ أمرٍ مُسْتَقَرٌّ » . . . وأقصر الطوال ما يكون من أحد عشر لفظة وأطولها غير مضبوط وكلما طالت الفقر زاد بيانها وافصاحها . وقد وقع في الفقر المطولة ما هو من عشرين لفظة فما حولها مثل قوله تعالى « اذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراهم كثيراً لفشتهم ولتأزغنهم في الأمر ولكن الله سأم إنه عليم بذات الصدور » . . . اذ يريكهم اذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليفضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور » . . . ومثاله فيما دون ذلك قوله تعالى « ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفوراً ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح نفور » . . . وقوله تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عشم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . . . والفقرات المسجوعة إما أن تكون متساوية أو لا . . . أما المتساوية ففي الأكثر انما توجد في الفقرات القصار كما في قوله تعالى « فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر » . . . وأما

المختلفة باختلافها إما أن يكون في فقرتين أو أكثر .. أما المختلفة في فقرتين فلا حسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى ولا تزيد بقدر كثير كقوله تعالى « وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً » إذا رأيتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً وإذا ألقوا منها مكاناً مقربين دعوا هؤلاء ثبوراً » . وكذلك قوله تعالى « وقالوا اتخذوا الرحمن ولداً » لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً .. وأما المختلف في أكثر من فقرتين فأحسنه أن تكون الفقرة الثالثة زائدة والاوليتان متساويتان أو الثانية منه أزيد يسيراً .. وأقل السجع حسناً ما يكون المتأخر من الفقرات أقل مما قبلها (أما الثاني) فقد اختلف أرباب علم البيان فيه . فمنهم من قال باستحسان السجع وفضله على الاسترسال في الكلام ورجحه .. ومنهم من كره السجع واقبحه واحتج على ذلك بأمرين . أحدهما اشتغاله على الكلفة . والثاني قوله عليه الصلاة والسلام - أسجعاً كسجع الجاهلية وكلا الحجتين فاسد .. أما الاولى فلأنه لم يخل شيئاً من الكلام من تكلف ما .. وأما الثانية فلأن الانكار إنما كان لسجع مخصوص وهو ما قصد به ابطال حق أو تحقيق باطل ولو كان السجع قبيحاً لاستحال وروده في القرآن .. والتسجيع وعدمه أسلوان جرت عابهما السنة فصحاء العرب وخطبائهم يأتون بذلك بغير تكلف ولا تعسف .. وورد في القرآن العظيم آيات كثيرة خالية من السجع وآيات كثيرة مشحونة بالسجع حتى أن بعض السور شملها السجع من أولها الى آخرها مثل اقتربت الساعة وسورة الضحى والكوثر فاعرفه (الثالث) قال علماء علم البيان الاسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز موقوفاً عليها لان الغرض أن يجانس بين القرائن ويزاوج بينها ولا يتم ذلك الا بالوقف ألا ترى أنك لو وصلت قوله مامن عزة الا الى جنبها عزه وقولهم ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت لم يكن بُدٌّ من اجراء كل الفقرات على ما يقتضيه حكم الاعراب فتكون قد عطلت عمل الساجع وقوة عزمه .. وإذا رأيتهم يخرجون الكلم عن أوضاعها من الازدواج فيقولون أبيتك بالغدا يا والعشا يا . وهناني الطعام ومراني . وأخذته ما حدث وما قدم . وانصرفني

مأزورات غير مأجورات • وقال عليه الصلاة والسلام انفق بلال ولا تحس من ذي العرش
إقلال مع أن فيه ارتكاب ما يخالف اللغة فما ظنك بهم في ذلك

القسم الثاني عشر

(الترصيع)

وهو أن تكون ألفاظ الكلام مستوية الاوزان متفقة الاعجاز مثل قوله عز وجل
« إِنَّ الْإِبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ » • وقوله تعالى « إِنَّ الْبَيْنَا إِيَّاهُمْ ثُمَّ
إِنْ عَاينَا حِسَابَهُمْ » • وقوله تعالى « فَأَثَرُنَا بِهِ نَقْعًا فَوْسَطُنَا بِهِ جَمْعًا » وهو في كتاب
الله كثير • ومنه في النثر كثير منه قول الحريري وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه
ويقرع الاسماع بزواجر وعظه • • وهو في الشعر كثير منه قول أبي فراس
وأفعاله للراغبين كريمة وأمواله للطالبيين زهاب

• • وقول آخر

ثمانية لم تفرق مذجعتها فلا فترقت ما ذب عن ناظرٍ شفر
يقينك والتقوى وجودك والغنى ولفظك والمعنى وحرُّبك والنصر

• • ومنه قول أبي الورد

يروح اليهم عازبُ الحمدِ وافيًا ويندو اليهم طالبُ الرfid عافيا
• • وقد يجيء مع التجنيس كقولهم اذا قات الانصار كالت ابصار وما وراء الخلق
الذميم الا الخلق الذميم • • وقول المطرزي

وزندُ ندا فواضله ورئُ ورنْدُ ربا فضائله نصيرُ
ودرُ تجلاله أبدأ ثمينُ ودَرُّنوا له أبدأ غزيرُ

﴿ القسم الثالث عشر ﴾

(التسميط)

وهو على قسمين (الاول) أن يكون في صدر الكلام أو الرسالة أو البيت أبيات مشطورة أو منهوكة مقفاة ثم يجمعها قافية مخالفة لازمة للقصيدة حتى تنقضى أو رسالة حتى تنهى فتصير كالسمط الذي احتوى على جواهر متشاكلة . ومنه قوله تعالى « اذا الشمس كورت » واذا النجوم انكدرت » الى قوله « علمت نفس ما أحضرت » وقوله تعالى « فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس » . وقوله تعالى « اذا السماء انفطرت » الى قوله « علمت نفس مقدمت وأخرت » وقوله تعالى « اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت » . وقوله تعالى « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان » . ومثله في القرآن كثير . ومنه قول امرئ القيس

ومستأنم كشفت بالروح ذيله أمت بعصب ذي شقاشق ميله
فجئت به في ملتقى الحرب خيله تركت عتاق الطير يحجلن حوله
كان على سرباله نضح جريال

.. وكقول الآخر

حلوه شمائله تندى أماله ان جاء سائله أغناه نائله

حتى يروح له ماشاء من مال

(القسم الثاني) أن يصير كل بيت أربعة أقسام كقول جنوب الهذلي

وجرد وردت وثغر سددت وعالج شدت عليه الحالا
ومال احويت وخيل حبت وضيف قرئت بخاف الوكالا

.. وقد أبدع الحريري في التوشيح بقصيدته التي أولها
 خلّ أذكاراً الأربعة والمعهد المرتبوع والظاعن المودع
 وعدّه عنه ودّع
 واندب زماناً سلفاً سوّدت فيه الصحف ولم تزل مُعتكفا
 على القبيح الشنيع
 .. ومن بديع التسيط أيضاً قوله في قصيدته التي يقول فيها
 وإن لاح لك النقش من الأصفر تهتس وإن مرّ بك النش
 تغامت ولا غم
 ستذري الدم لا الدمع إذا عاينت لا جمع بقي في عرصة الجمع
 ولا خال ولا عم
 جعل قصيدته كلها على هذا المنوال

القسم الرابع عشر

(التجزى)

وهو أن يكون الكلام مجزأ ثلاثة أجزاء أو أربعة أجزاء . مثال الثلاثة أجزاء
 من الكتاب العزيز قوله تعالى « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّا شَافِعُكَ
 هُوَ الْابْتِر » .. ومثال الأربعة قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعظ
 أباه بقوله « يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصَرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ
 جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ
 الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
 لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً » وفي القرآن منه كثير .. ومنه قول ابن المعتز في الثلاثة

عجبا لمنصلك المقلد كيف لم تسأل الدماء عليك منه سيولا
 لك حسنه متقلداً وبهوؤه متكباً ومضواؤه مسلولاً

•• ومثال الاربعة الاجزاء قول المتنبي
فحن في جدلٍ والروم في وجلٍ والبحر في خجلٍ والبر في شغلٍ
•• ومنه قول ابن المقرئ
اذ صلدوا أورى وان عجلوا ارتأى وان بخلوا أعطى وان غدروا وافي
قلل جود ما أبقى ولمجد ما أبقي ولناس ما أبدى ولله ما أخفى

— القسم الخامس عشر —

(في التوشيح)

التوشيح أن تكون ذيول الابيات ذات قافيتين على بحرین أو ضربین من بحر واحد
فعلى أى القافيتين وقفت كان شعراً مستقيماً كقوله
اسلم ودُمت على الحوا دث ما رسا ركنائير أو هضاب حراء
ونل المراد منها ممكناً على رغم الدهور وقز بطول بقاء
قافيتهما على ثانی قافية من ثانی الكامل وعلى الاول من سادسه •• وأما ما هو من
بحر واحد وقد يسمى هذا النوع المتلون وذكره الزنجاني وأنشد فيه
أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير ولا الفقير البائس
وقال ان قيده كان من سابع الكامل وان أطلقته كان من سادسه • وهذا النوع في
القرآن العظيم ما يشبهه وهو ما ورد في الآيات من الوقف الكافي والتمام إن وقفت
على الوقف الكافي كان حسناً وان وقفت على التمام كان أجود كقوله تعالى « والذين
يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون » ان وقفت على
— من قبلك — كان وقفاً حسناً وان وقفت على — يوقنون — كان أحسن وهو تمام
وكذلك كل ما أشبهه

— القسم السادس عشر —

(براعة المطلب وحسن التوسل)

وهو أن تكون ألفاظ المطلب مهذبة مقترنة بتعظيم المدح كقوله تعالى « قتلقي آدم من ربكلماتٍ قتابةٍ عليه إنه هو التواب الرحيم » . وكقوله تعالى في قصة نوح عليه الصلاة والسلام « إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » . وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام « ربنا إني أسكنت إلى قوله « لعلهم يشكرون » . وقول تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام « رب قد آتيتني من الملك » إلى قوله « وألحقني بالصالحين » . وقوله تعالى حكاية عن هارون عليه السلام « قال ابن أمّ إن القوم استضعفوني » إلى قوله « الظالمين » . وقوله تعالى حكاية عن يونس عليه الصلاة والسلام « فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » . وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » إلى قوله « فأنك أنت العزيز الحكيم » . وقوله تعالى فيما حكاه رسوله عليه الصلاة والسلام عن عباده المؤمنين « إن في خلق السموات والأرض » إلى قوله « فاستجاب لهم ربهم » . وجاء من هذا النوع في الشعر كثير .

• منه قول المتنبي
وفي النفس حاجاتٌ وفيكَ فطانةٌ سُكوني بيانٌ عندها وخطابُ

— القسم السابع عشر —

(المخالفة)

اعلم أن المخالفة هو الخروج عن مذهب الشعراء وترك الاقتداء بآثارهم مثل

(٣٠ - فها أند)

قول نصيب

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتُ الزَّيَارَةِ فَارْجِي بِسَلَامٍ
وليس من الممهود رد المحبوب على عقبه اذا زار .. ومثل قول ابن عتيق
'جَعَلَ النَّدَى وَالْأَلْوَةَ وَالْمَسْكَ أَصِيلاً لَهَا عَلَى الْكَافُورِ
.. ومعلوم أن الزنج على متن رانحتهم لو تطيخوا ببعض هذا الطيب لطابت رانحتهم وانما
الحسن الجيد قول امرئ القيس

أَلَمْ تَرَ أَنِّي كُلَّمَا جِئْتُ نَحْوَهَا وَجَدْتُ بِهَا طِيباً وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ

.. ومن ذلك قول امرئ القيس

أَغْرَاكَ مِنِّي أَنْ تُحِبَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَابَ يَفْعَلْ

وهذا مخالف للمعتاد لأن فيه توعداً للمحجوب والمحج لا يتوعد محبوه .. وكذلك قوله
وَأَنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ قَسَلْتِي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلِي
.. والقرآن العظيم كله مخالف لأساليب الشعر وقوانين النظم والنثر التي يستعملها
الناظمون والناثرون . ولهذا قال الغفاري لقد عرضته على اقراء الشعر فلم ياتهم فاته
ليس بالشعر

القسم الثامن عشر

(لزوم ما لا يلزم)

ويسمى التضيق والتشديد والاعتنا وهو التزام أن يكون ما قبل القافية حرفاً
معيناً كما في قوله تعالى « إقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علق » .
وقوله تعالى « والطور وكتاب مسطور » . وقوله تعالى « فذكر فما أنت بنعمة ربك
بكاهن ولا مجنون . أم يقولون شاعر تتربص به ريب المتون » . وقوله تعالى « في

سيدرٍ مخضودٍ وطلحٍ منضودٍ • وهو في القرآن كثير • • وجاء في الحماسة
 انّ التي زعمت فؤادك ملها • خلقت هواك كما خلقت هوى لها
 بيضاء باكرها النعيم قصاها • بلباقة فادقها وأجلها
 حبيبته تحيتها فقلت لصاحبي • ما كان أكثرها لنا وأقلها
 واذا وجدت لها وساوس سلوة • شفّع الضمير الى القوادِ فسَلها
 • • وكذلك قول كثير عزة في أبيات له

تخليّ هذا رسم عزة فاعقلا • قلو صيكا ثم انزلا حيث تحات
 فكانت لقطع الجبل بيني وبينها • كناذرة تذرأ فأوفت وحات

• • وقول المعري

لا تطلبن بغير جدّ حاجة • قلم البايغ بغير جدّ يغزل
 سكن اليتما كان السماء كلاها • هذا له رُمحٌ وهذا أعزل

• وفي هذا القرآن العظيم من هذا النوع كثير • • ومن ذلك قوله تعالى « وجاءت
 سكرة الموت بالحقّ » ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد »
 لزم الياء والدال في أكثر هذه السورة • وقوله تعالى « هل أتى على الانسان حين من
 الدهر لم يكن شيئا مذكورا » • الى قوله « يفجرونها تفجيّرا » التزم قافية توافق
 قافية • • ومن ذلك قوله تعالى « أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلو لا
 أتى عليه أساورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقرّنين » والقرآن مشحون بهذا
 • • وهذا النوع أتى في القرآن عفواً من غير قصد وربما وقع في أقوال فصحاء العرب
 من غير قصد والمتأخرون يقصدون ذلك ويتكلفون في استعماله

* ليس التكحل في العينين كالكحل *

﴿ القسم التاسع عشر ﴾

(التفويف)

والوقوف عند أرباب هذه الصناعة فيه قولان • الاول أن تكون ألفاظه سهلة

المخارج عليها رونق الفصاحة وبهجة الطلاوة وعذوبة الحلاوة مع الخلو من البشاعة ملطفة عند الطلب والسوأل مفحمة عند الفخار والنزال . . . وان كان شمرأ فليكن شعره سهل العروض وقوافيه عذبة المخارج سهلة الحروف ومعانيه مواجهة للعرض المطلوب ظاهرة منه حيث لا يحتاج الى إعمال الفكر في استنباط معانيه فاذا كان كذلك سمي مفوقاً بماتنوع من ألفاظه ومعانيه فأشبه البُردَ المفوق الذي فيه ألوان مختلفة وألوان متقابلة . . . وأصل التفويف بياض يكون على الاظفار . الثاني المفوف من الكلام والشعر هو الذي يكون فيه التزامات لا تلزم تكتب بأصباغ مختلفة حتى يفتن للالتزامات التي جعلت عليه وعلى كلا القولين فالقرآن العزيز كله كذلك فان كان التفويف بأصباغ مختلفة الألوان فتفويف القرآن العظيم مقاطع آياته وقواتمها وتحزيبه وتصديره وارباعه واخاسه واسباعه فان العلماء رضى الله عنهم وخصوصاً بأن يكون ذلك بالحمرة أو الخضرة أو الصفرة أو بالألوان مخالفة للون الخبر والمداد حتى يعلم انها ليست من نفس القرآن فاستجبوا ذلك فاذا صار على هذه الصفة أشبه البرد المفوف بل أجل وأحسن وأبهى والطف وان كان التفويف القول الاول فالقرآن العظيم كله كذلك أيضاً فاعرف ذلك

— القسم الموفى عشرين —

(التطريز)

قال علماء البيان التطريز هو أن تأتي قبل القافية بسجعات متناسبة فيبقى في الايات أواخر الكلام كالطراز في الثوب . . . ومنه قول الشاعر

أَمْسى وَأَصْبَحُ مِنْ مَّهْجَرَانِكُمْ دَنْفَاً	يَرِنُنِي لِي الْمُسْتَفْقَانِ الْإِهْلُ وَالْوَلْدُ
قَدْ خَدَعْتُ الدَّمَخُ خَدَيْ مِنْ تَذَكَّرْ كَمْ	وَهَدَيْتِي الْمَضْنِيانِ الشُّوقُ وَالْكَمْدُ
كَأَنَّمَا مُهْجَتِي تَشَلُّوْ بِمَسْبِغَةٍ	يَنْتَابِهَا الضَّارِيانِ الذُّبُّ وَالْإِسْدُ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ خَفِي الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي	فَدَأْ لَكَ الْفَانِيانِ الرُّوحُ وَالْجَسْدُ
أَنِي لَا حَسْدُ فِي الْعِشَاقِ مُصْطَبْرَاً	وَحَسْبُكَ الْقَائِلَانِ الْحُبُّ وَالْحَسْدُ

« قال المصنف عن الله عنه » هذا النوع استخرجه المتأخرون وليس في شعر القدماء شيء منه ولا في كلامهم وقد استقريته من الكتاب العزيز واشعار المولدين فوجدته على ثلاثة أقسام . الاول ماله علمان علم من أوله وعلم من آخره . الثاني ماله علم من أوله . الثالث ماله علم من آخره . فأما الذي له علمان فكقوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم واللوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين . ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتعاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون . ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » . . ومنه في الشعر قول بعضهم من أبيات

والمسعدان عليها الصبر والجلد أفناها الحاذلان الوجد والكد
والعاذلان عليها ردة عندهما في حُبها العاذران الحسن والجيد
والباقيان هواها والغرام بها فداهما الداهيان الروح والجسد
.. ومنه قوله تعالى « أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُبْنِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَمْعَ اللَّهُ بِكُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ يَمْعَ اللَّهُ بِكُمْ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يَجْعَلُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَيُكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خِيفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ يَمْعَ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ تَنْشِيرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَةِ أَلَمْ يَمْعَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَمْ يَمْعَ اللَّهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » . وأما الذي طرازه من أوله . فنه في القرآن كثير . فمن ذلك قوله تعالى « هو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح »

له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم . . . وهذا النوع قد ورد فيه من أشعار المتقدمين والمتأخرين فن ذلك قول البحتري

تعلموا الوفود ثلاثة في أرضه إفضاله وجداه والانعام
وثلاثة تغشاك مهما زرت إرفاده والمن والاكرام
وثلاثة قد جانبت أخلاقه قول البذا والزور والآثام
وثلاثة في الغر من أفعاله تديره والنقض والابرام

. . . وأما الذي علمه من آخره في القرآن منه كثير . فن ذلك قوله تعالى « خالق الانسان من صلصال كالفخار وخالق الجان من مارج من نار فبأى آلاء رب تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء رب تكذبان » الى آخر السورة . ومنه قوله تعالى « فكيف كان عذابي ونذر انا أرسنا عليهم ريحا صرصرا » الى آخر السورة . . . ومن ذلك في المرسلات قوله تعالى « ويل يومئذ للمكذبين » الى آخر السورة

- - -

القسم الحادى والعشرون

(ما يقرأ من الجهتين)

مثاله من الكتاب العزيز قوله تعالى « كل في فلك يسبحون » . وقوله تعالى « وربك أكبر » وأرباب علم البيان يسمون هذا النوع العكس والتقليب وهو عندهم على أربعة أنواع . الاول قلب البعض وهو أن تقلب حروف الكلمة وهو كقوله عليه الصلاة والسلام - اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا - . ومنه قول الحريري
لجوب البلاد مع المترية أحب الى من المترية
الثاني مقلوب الكل كقولهم - كف به بحر وجنابه رحب - الثالث المجتح وهو أن يقع مقلوب الكل في جناح البيت أو جناح المصراع كقوله

لاح أنوار الذي من كفه في كل حال
• الرابع المسوى وهو أن يقرأ طرداً وعكساً من الجهتين • ومنه الكلمتان في الآيتين
المتقدمتين • ومنه قول الحريري
أسأر أملا اذا عرا وارع اذا المرء أسأ
الآيات • • ومنه قول الآخر

أراهن نادمنه ليل لهو وهل ليلهن مدان نهارا
• • ومن أنواع هذا الباب ما اذا انعكست الكلمات يخرج منها كلام صحيح كالرسالة المشقة
على مائتي كلمة المحريري في المقامة القهقرية التي أولها الانسان صنعة الاحسان الى
أن ختم بقوله الاحرار عند الاسرار • • ومن هذا النوع أيضاً ما قلب فيه الألفاظ
بطريق العكس لتفيد معنى آخر كقولهم كلام الملوك ملوك الكلام وعادات الاشراف
أشراف العادات

- القسم الثاني والعشرون -

(رد المعجز على المصدر • ويسمى التصدير)

وهو أيضاً من ضروب البيان وفنون التلعب باللسان • ومنه قوله تعالى « فما كان
لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم » • • ومنه قولهم القتل
أننى للقتل • • ومنه قول بعض الباغاء الحيلة ترك الحيلة • • ومنه قول الشاعر
تسير النجوم الدارات بحكمه وذاك اذا عدت محلاه يسير
• • وقول الآخر
لقد حاز أنواع الفضائل كلها وأمسى وحيداً في فنون الفضائل
• • وقول الآخر

سألت صروف الدهر حفظ مملك فشحّت وجادت لي بحفظ أدب

﴿ فصل ﴾

ومن هذا الضرب التجنيس وهو عند أكثر علماء علم البيان على قسمين • تجنيس حقيقي • ومثبه بالتجنيس • • أما التجنيس الحقيقي فهو أن تأتي بكلمتين كل واحدة منهما موافقة للأخرى في الحروف مغايرة لها في المعنى ولم يرد ذلك في الكتاب العزيز إلا في آية واحدة وهي قوله تعالى « ويوم تقوم الساعة يُقسمُ المجرمون ما لبثوا غير ساعة » • • وأما المثبه بالتجنيس فكثير وقد احتوى الكتاب العزيز منها على الباب وأتى منها بالعجب العجائب وهو على ضربين (الأول) التجنيس المائل وهو أن يكون من اسمين أو فعلين مثل قوله تعالى « يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم » • وقوله تعالى « الخبيثاتُ للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيباتُ للطيبين والطيبون للطيبات » • وقوله تعالى « ولو جعناهُمُ ملَكاً لجعَلناهُم رِجالاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » • وقوله تعالى « ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يَأْكُلُ مما تَأْكُلُونَ مِنْهُ ويشرب مما تشربون » (الثانى) التجنيس المغاير وهو يكون من اسم وفعل • ومنه قوله تعالى « وأسأمتُ مع سليمانَ لله ربِّ العالمين » • وقوله تعالى « أَرِفْتَ الْآزِفَةَ » • وقوله تعالى « فطافَ عليها طائفٌ من ربِّكَ » وفى القرآن منه كثير • • وقد جمع بعض الشعراء في أبيات نذكرها في آخر هذا الفصل فيها أجناس من التجنيس (الثالث) تجنيس التصحيف وهو أن يكون اللفظ فرقاً بين الكلمتين • ومنه قوله تعالى « وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا » • ومنه قول الشاعر

القابضون على العليا بكفهم والقابضون من الدنيا بأطراف

المحسبون إذا جدَّ الفخارُ بهم والمحسبون إذا سيلوا بالحاف

(الرابع) تجنيس التحريف وهو أن يكون الحرف فرقاً بين الكلمتين • • ومنه قوله تعالى « وهم يَنهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » • وقوله تعالى « فلا أقسمُ بالخنسِ الجوار الكنسِ » (الخامس) تجنيس التشكيل وهو أن يكون الشكل فرقاً بين الكلمتين • • ومنه قوله تعالى « ولقد أرسنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين » • وقوله

تعالى « ألم يك نطفة من مفرءى ثم كان علقة نخلق فسوى » .. ومنه قول بعضهم
 أنتم زعمتم أنى غير عاشق وأنى لا أعسابين مفارق
 فلم قرحت يوم الوداع مدا مى ولم شاب من هول الفراق مفارق
 (وهذه) أبيات جمعت فيها أجناس من التجنيس التى تقدم ذكرها وهى
 رُبَّ خَوْذٍ عَرَفْتُ فى عَرَافَاتِ سَابَتْنِي بِحَسْنِهَا حَسَنَاتِي
 وَرَمْتُ بِالْجَارِ حَبَّةً قَابِي أَيْ قَلْبٌ يَقْوَى عَلَى الْجَرَاتِ
 وَأَفَاضْتُ مَعَ الْحَبِيجِ قَفَاضَتِ مِنْ دُمُوعِي سَوَابِقُ الْعَبْرَاتِ
 حَرَمْتُ حِينَ أَحْرَمْتُ نَوْمَ عَيْنِي وَاسْتَبَاحْتُ حَيَّ بِاللَّحْظَاتِ
 لَمْ أُنَلْ فى مِئْنَى نَفْسِي لَكِنْ خِفْتُ بِالْخَيْفِ أَنْ تَكُونَ وَفَاتِي

فقوله - عرفت فى عرفات - تجنيس مغاير وقوله - سابتنى بحسنى حسناتى - مماثل
 وكذلك - وأفاضت قفاضت - وكذلك - حرمت وأحرمت - وكذلك - بالجار
 والجرات - وقوله - ولم أُل فى مِئْنَى النفس - تجنيس التشكيل وقوله - خفت
 بالخيف - تجنيس مغاير (السادس) تجنيس العكس وهو أن تكون حروف الكلمتين
 غير مرتبة . مثاله من القرآن قوله تعالى « أنى أخاف أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل
 ولم تر قب قولى » وقد جاء فى الشعر أن يقدم حرفا فى كلمة ويؤخره فى أخرى ..
 ومنه قول حسان فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

تَحْمِلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَدْرِ غَشَى نُورُهُ الظَّلَامَا

(السابع) تجنيس التركيب وهو أن يجمع بين اسمين أو اسم وفعل ثم يجعلهما كالكلمة
 الواحدة مثال الاسم مع الاسم - بعل بك . ومعدى كرب - ومثال الفعل مع الاسم حضر
 موت . ورام نهر من . وقد جاء فى القرآن العظيم « ألم تر كيف فعل ربك بعادِ إِرَمَ
 ذاتِ المِئَادِ » .. وفى الشعر كثير . من ذلك قول بعضهم

إِنَّ أَسْيَافَنَا الْغَضَابَ الدَّوَامِي جَعَلَتْ مُلْكَنَا مَدِيدَ الدَّوَامِ

بِاقْتِسَامِ الْأَمْوَالِ مِنْ وَقْتِ سَامِ وَاقْتِحَامِ الْأَهْوَالِ مِنْ وَقْتِ حَامِ

•• ومنه

بأبي غزالٍ نام عن وصبي به وسجود دمي في الهوى وصبيبه

•• ومنه قول المتنبي

وشادني قلت له هل لك في المنادمة

فقال كم من عاشق سفتك بالني دمة

ومنه في الشعر كثير (الثامن) تجنيس التصريف وهو أن تنفرد إحدى الكلمتين عن الأخرى بحرف مثل قوله تعالى « ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون » • ومثل قوله تعالى « وهم يهون عنه وينأون عنه » • ومثل قوله « لئلا يكونن أهدي من إحدى الأمم » • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم - الحيل معقود في نواصيها الخير - •• ومنه قول الأعشى

ورأيت أن الشيب خا نته البشاشة والبشارة

(التاسع) تجنيس الترجيع وهو أن ترجع الكلمة بذاتها كما قال الله عز وجل « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات » • ومنه قوله عز وجل « إن ربهم بهم يومئذ خير » • وقوله تعالى « ولكننا كما مرسلين » •• ومنه قول الشاعر

وما منعت دار ولا عز أهلك من الناس إلا بالقنايل

•• وقال الخجل

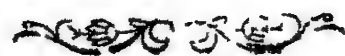
فأنت عليه وماله من ماله بما أفاء ولا أفاد غناق

•• وقال آخر

عذيري من دهر موارٍ موارٍ له حسنات كلهن ذنوب

•• ولأبي تمام

يمدحون من أيدي عواص عواصم أصول بأسياق قواض قواضب



القسم الثالث والمثرون

(التسهيل)

وهو أن يكون في القافية ما يدل على الكلام أو في أول الكلام ما يدل على القافية كقول أبي حية

إذا ما تقاضى المرء يومٌ وإيلةٌ * تقاضاه دهرٌ لا يملُ التقاضيا

.. ومثله

فليس الذي حالمتهُ بمحالٍ وليس الذي حرمتُهُ بمحرّمٍ

.. ومثله

هي الدترُ منشوراً إذا ما تكلمتْ * وكالدترُ منظوماً إذا لم تكلم

القسم الرابع والعشرون

(الاتفاق والاطراد)

وهو أن يوفق شيئاً لا يتفق عاجلاً مثل قول أبي تمام في الغزل

لَسَمَى سَلامانٍ وعمرّة عامرٍ وهند بنى هندٍ وسعد بنى سعدٍ
.. وقوله أيضاً يصف حصاناً

بحوافٍ حُفِرٍ وُصْلَبٍ مُصَلَّبٍ ومشاعرٍ شُعِرٍ وَخَاقٍ أُخْلِقِ
.. ومن ذلك أيضاً

حَمدانُ حَمدونٍ وحَمدانُ حارثٍ ولَقمانُ لَقمانٍ ولَقمانُ راشدٍ
وهذه كلها تعسفات ليس في القرآن العظيم منها شيء

﴿ فصل ﴾

وقد كان ينبغي أن يكون مقدماً في أول الكتاب ذكر ما اشتق منه القرآن والسورة والآية والكلمة والحرف وبيان معانيها . . أما القرآن فاشتقاقه فيه قولان . أحدهما التبع والجمع من قولهم قرأت الماء في الحوض اذا تتبعته وجمعه فيه فهو جامع لما في كتب الاولين المنزلة على سائر النبيين . والثاني أنه مشتق من الاظهار والبيان لأنه أظهر سائر العلوم المحتاج اليها في أمر الدين والدنيا وجمع بينها وكلاهما حسن والاول أظهر وقد يأتي القرآن بمعنى الصلاة في مثل قوله تعالى « وقرآن الفجر » أى وصلاة الفجر وبمعنى القراءة . . وفي مرثية عثمان رضى الله عنه

فَحَوَّأَ بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقَرَأَنَا

. . وأما السورة ففيها أربعة أقوال . الاول أنها سميت بذلك لعظمها وعلو شأنها من قولهم فلان سورة من المجد . الثاني سميت بذلك لكرمها وتماها من قولهم لفلان سورة من الاهل أى أقوام كرام . الثالث أنها قطعة من القرآن واشتقاقها من السور الذى يفضل من الشارب وعلى هذا يكون أصلها الهمز وانما ترك لانضمام ما قبله فأبدلوا منه واوا . الرابع سميت سورة لأن قارئها ينتقل من منزلة الى منزلة أعلا منها . . قال الشاعر

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَامَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبٌ

ومعناه أعطاك منزلة فوق منازل الملوك وهو قول حسن . . وأما الآية ففيها أربعة أقوال . الاول أنها اشتقت من العلامة والآية علامة لانقطاع الكلام الذى قبلها . الثاني أنها سميت بذلك لأنها كلمات مجمعة من القرآن من قولهم خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم . الثالث الآية الرسالة والقصد . . قال الشاعر

أَلَا أَبْلَغَا هَذَا الْمَعْرُضِ آيَةً أَيْقِظَانِ قَالَ الْقَوْلُ إِذْ قَالَ أَمْ حَلِمُ

معناه بلغاه رسالة والآية رسالة من الله الى نبيه وخلقه . الرابع انما سميت بذلك لأنها

عجب لأنها تشبه كلام البشر ولا يقدرّون على الاتيان بمثلها من قولهم فلان آية من الآيات أى عجب وهو قول حسن . . وأما الكلمة فهى اللفظة الدالة على المعنى المفرد أو على معنيين أحدهما حقيقة والآخر مجاز وهى فى كتاب الله تعالى تطلق ويراد بها معان سبعة . أحدها كلمة التوحيد وهى لا إله الا الله . الثانى تطلق ويراد بها الشرك قال الله تعالى « وجعل كلمة الذين كفروا السفلى » يعنى الشرك « وكلمة الله هى العليا » يعنى كلمة الاخلاص والتوحيد . ومنه قوله تعالى « وجعلها كلمة باقية فى عقبه » قال مجاهد والسدى هى قول لا إله الا الله . الثالث تطلق ويراد بها الوعد . ومنه قوله تعالى « ولولا كلمة سبقت من ربك » يعنى وعدهم الساعة . قال الله تعالى « بل الساعة موعدهم » . الرابع تطلق ويراد بها دعاء الله الخلق اليه . ومنه قوله تعالى « الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله » الآية . الخامس تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام . ومنه قوله تعالى « وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » ساء كلمة لأنه أوجده بالكلمة وهى قوله « كن » . السادس تطلق ويراد بها القصة والقصيدة والعرب يقولون كلمة امرئ العيس يريدون قصيدته ويقولون خبرنا كلمة فلان يريدون قصته . وفى الحديث - واستحلّتم فروجهن بكلمة الله - يعنى الداء كأنه يشير الى قوله تعالى « فامساك بمعروف أو تسريح بإحسان » . السابع تطلق ويراد بها الكلمة الواحدة المفردة التى جمعها كلمات . والكلمات فى كتب الله تعالى تأتى على ستة معان . الاول تطلق ويراد بها الله سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى « لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » . الثانى يراد بها مواعيده سبحانه وتعالى . ومنه قوله تعالى « لا تبدل لكلمات الله » أى لا نخافنا وعد . الثالث تطلق ويراد بها الخصال . ومنه قوله تعالى « وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن » أى بعشر خصال من الطهارة معروفة . الرابع تطلق ويراد بها الاعتراف وطلب المغفرة . ومنه قوله تعالى « فتلقى آدم من ربه كلمات » وهى قوله تعالى « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » . الخامس تطلق ويراد بها عيسى عليه الصلاة والسلام . قاله الهروى فى قوله تعالى « وصدّقت بكلمات ربها » . السادس تطلق ويراد

بها القرآن . ومنه الحديث - أعوذ بكلمات الله التامات - يعنى القرآن قاله الهروى أيضاً وغيره . . . وأما الحرف فله فى كتاب الله تعالى ولسان العرب محامل . أحدها الافة يقال هذا حرف بنى فلان أى لغتهم . الثانى يطلق ويراد به معنى من المعانى . ومنه الحديث - نزل القرآن على سبعة أحرف - أى على سبعة معان . الثالث يطلق ويراد به أحد القراآت وعليه حمل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف . الرابع يطلق ويراد به الآية . ومنه الحديث - لكل حرف ظهر وبطن وحدث ومطاع - وفى رواية - ولكل آية منه ظهر وبطن وحدث ومطلع - . الخامس يطلق ويراد به الشك . ومنه قوله تعالى « ومن الناس من يعبد الله على حرف » أى على شك . وقال ابن عرفة معناه على غير طمأنينة . السادس يطلق ويراد به الجانب . ومنه قول ابن عباس - أهل الكتاب لا يأتون النساء إلا على حرف - أى جنب . ومنه حرف الجليل جانبه . السابع الحرف الذاقة . . . ومنه قول كعب بن زهير

حرف أخوها أبوها من مهبنة وعما خالها قوداه شمليل

• الثامن يطلق ويراد به أحد حروف الهجاء التى يجمعها أبجد

﴿ فصل ﴾

﴿ فى ذكر اعجاز القرآن العظيم ﴾

قد تكلم العلماء فى ذلك فقال قوم إعجازه من جهة إيجازه واحتواء لفظه القليل على المعانى الكثيرة مثل قوله تعالى « ولكم فى القصص حياء » الآية . وقوله تعالى « أذ فرعوا فلا فوت » الآية . وقوله تعالى « فكلاً أخذنا بذنبه » الآية . وقوله تعالى « فاصدع بما تؤمر » . وقوله تعالى « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء » . وقوله تعالى « فلما استيأسوا منه خاصوا نجيّاً » . وقوله تعالى « ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم المائزون » . وقوله تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعده » . وقوله تعالى « ألا له الخلق والأمر » الآية وأشباهاها كثير اذا تأملت

الكتاب العزيز وجدت فيه من هذا كثير . . وقد اعترض على هذا القول بأنه قد وجد في السنة وكلام العرب ما لفظه قليل ومعناه كثير مثل قوله صلى الله عليه وسلم - الأعمال بالنيات والمجالس بالأمانيات - . وأشباهه كثير . . وقال قوم إعجازه من جهة حسن تركيبه وبديع ترتيب ألفاظه وعدوبة مساقها وجزالتها ونخامتها وفصل خطابها . . وقال قوم إعجازه من غرابة أسلوبه المعجيب واتساقه القريب الذي خرج عن أعاريض النظم وقوانين النثر وأساجيع الخطب واتماط الأراجيز وضروب السجع . . وقد اعترض على هذا القول من وجوه . الأول لو كان الابتداء بالأسلوب معجزا لكان الابتداء بالأسلوب الشعر معجزاً . الثاني أن الابتداء بالأسلوب لا يمنع الغير من الاتيان بمثله . الثالث أن الذي تعاطاه مسيئة من الحماقة في معارضة « أنا أعطيناك الكوثرة » - والطاحنات طحناً - هو أسلوب في غاية الفظاعة والركاكة وكان مبتدئاً به ولم يعد ذلك معجزاً بل تعدى سُخْفاً ومُحَقّاً . الرابع لما فاضلنا بين قوله تعالى « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب » وبين قولهم - القتل أبقى للقتل - لم تكن المفاضلة بسبب الوزن وإنما تعاقب الإعجاز بما ظهرت به الفضيلة . الخامس أن وصف العرب القرآن بأن له لحلاوة وأن عليه لطلاوة لا يابق بالأسلوب . . وقال قوم إعجازه بمجموع هذه الوجوه الثلاثة وهذا الكلام يحتاج الى نظر لار مجموع هذه الأقسام الثلاثة إنما نكون معجزة في حق العرب خاصة لان الفصاحة والبلاغة فيهم جبلة وخاتمة وهم فرسانها أصحاب قصبات السبق فيها الى الامد لا يباريهم فيها أحد ولا يجاريهم في ضمارها جواد ولا يماريهم في التفرد بها مزار ذو عناد قد ألفت الامم اليهم فيها مقاليد الاذعان وخفضوا لهم جناح الذل بما حصل لهم عندهم من العرفان فثبت لديهم أن أحداً لا يجاريهم في هذا الضمار ولا يدانيهم في اظهار ولا إضمار فجاءهم هذا الكتاب العزيز بقاصمة الظهر وقادحة القهر ودعوا الى المعارضة فلم يقدموا وندبوا الى المساجلة والمجاراة فأمسكوا وأحجموا وقرعوا بقوارع التوبيخ والتفريع فركبوا خيول العجز واستلأموا فقامت الحجة عليهم بذلك وصحت المعجزة لديهم لحصول التحدى والمعجز عن الاتيان بمثله . . وأما الأعاجم ومن يجري مجراهم فلا تقوم عليهم بذلك حجة ولا تصح فيهم بذلك معجزة لانهم معترفون أن الفصاحة

ليست من شأنهم ولا مضارها من حجابات ميدانهم والله سبحانه أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة احمرهم واسودهم قال الله تعالى « قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعاً » . وقال تعالى « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » ولا يثبت إعجازه على الكافة الا بما يعزب على الكافة الاتيان بمثله مع اعترافهم بان في مقدورهم من جنسه ولو جاء موسى لقومه بالفصاحة وعيسى لبني اسرائيل بالبراعة لما قامت لهما على قومهما بذلك حجة . . وقال قوم انما وقع اعجازه بما فيه من المعاني الخفية والجلية وقنون العلوم النقلية والعقلية . . وأصحاب هذا القول لهم في ذلك خمسة مذاهب منهم من قال اعجازه فيما جاء فيه من أخبار القرون السالفة في الازمنة الخالية والأعصر الماضية في الاماكن القاصية والدانية وقصص الانبياء مع أممها مما التمسوه منه مثل قصة أهل الكهف وقصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وحال ذي القرنين وما لم يسألوه عنه من قصص بقية الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين مع تحققهم أنه أمي لا يحسن الكتابة ولا تقدمت منه دراسة ولا سبقت منه رحلة ولا انتهت اليه نحلة ولم يكن بأرضه من يعلم الاخبار ويقتنى الآثار سوى أهل الكتاب الذين صرح بسبهم وأطلق لسانه في ثابهم وضال عقولهم وهجن طريقهم وأظهر معائبهم ولو كان أحدهم منهم أطاعه على سئ ذلك أو اعلمه به لقابله بالافصاح في الرد عليه واملأوا الارض بالتشنيع والتقريع وحيث لم ينفل ذلك علم أنه لم يعلمه بشر وليس ذلك الا من جهة الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد مع أنه قد تعرض جماعة من سفهائهم فقالوا ما أخبر الله عنهم « انما يعلمه بشر » وكانوا يقولون انه سلمان الفارسي وغيره فرد الله سبحانه عليهم بقوله « لسان الذي ياخذون اليه أعجمي » وهذا لسان عربي مبين » . وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شيء من ذكر القرون الماضية والأعصر الخالية وتلك السورة معجزة قد تحداهم الله بالاتيان بمثليها فلم يقدرها ومنهم من قال اعجازه بما فيه من الاخبار بما يكون وما كان مما وقع على حكم ما أخبر به مثل قوله تعالى « اذا جاء نصر الله » الى آخرها وقوله « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين » . وقوله تعالى « آمم غلبت الروم » الآية وقوله « ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » . وقوله

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات » الآية . وقوله « قل ان كانت لكم
الدار الآخرة » الآية . وقوله « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » . وقوله « انا نحن نزلنا
الذكر » الآية . وقوله « سيهزم الجمع ويولون الدبر » . وقوله « قاتلوهم يعذبهم
الله بأيديكم » الآية . وقوله « هو الله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق » .
وقوله « لن يضروكم الا اذى » . وقوله « من الذين هادوا سماعون للكذب » .
وقوله « يخفون في أنفسهم » . وقوله « ويقولون في أنفسهم » . وقوله « من الذين
هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » . وقوله « يعدكم الله احدى الطائفتين » .
وقوله « انا كفيناك المستهزئين » . وقوله « والله يعصمك من الناس » الى غير ذلك
مما كشف به اخبار المارقين وأسرار المنافقين وكان جميعه كما أخبر وصدق الله ورسوله .
وقد اعترض على هذا القول بأن بعض سور القرآن ليس فيها شئ من الاخبار بالمعانيات وتلك
السور معجزة قد تحداهم الله بالاثبات بمثلها فلم يقدر واعلى ذلك وضاعت عليهم مع فصاحتهم
المسالك . . . ومنهم من قال اعجازه بما احتوى عليه من العلوم التى لم يسبق اليها أحد من
البشر قبل نزوله ولا اهدت اليها فطن العرب ولا غيرهم من الامم . . . وقد اعترض على
هذا القول بأنه قد وجد فى السنة وكلام العرب مثل هذا ولم يعد معجزة . . . ومنهم
من قال اعجازه حصل بما فيه من نشاط القلوب الواعية وغير الواعية اليه واقبالها بوجه
المودة عليه واستحلاء طعم عذوبة ألفاظه ومعانيه وهشاشتها بما يتردد عليها من مبشرات
المهجة ومخدراته المزججة وآياته المقلقة وأخباره الموقفة مع كثرة قرعه للاسماع وصدعه
بما يخالف الطباع ومع ذلك فالقلوب مقبلة على اذكاره راغبة فى تكراره شجيرة عند
سماع مزماره يحد ذلك منهم البر والفاجر والمؤمن والكافر قال الله تبارك وتعالى
« الله نزل احسن الحديث » الآية . . . وروى أن نصرانياً مر بقارى فوقف يبكي فقبل
له ثم بكأوك قال الشجاع والنظم . . . وفى الحديث الذى وصف به النبي صلى الله عليه وسلم
القرآن بأنه لا يخلنى على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تنفنى عجائبه هو الفصل ليس
بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الالهواء ولا تلتبس به اللسنة وهو الذى لم تليث
الجن حين سمعته أن قالوا « انا سمعنا قرآناً عجيباً » الآيات . . . وقد اعترض على هذا

القول بأنه قد يوجد في السنة وكلام فصحاء العرب وأشعار خول الشعراء ما يحسن موقعه وتشرئب النفوس الى سماعه ولا تمله على تكراره . ومنهم من قال اعجازه بما يقع في النفوس منه عند تلاوته من الروعة وما يملأ القلوب عند سماعه من الهيبة وما ياحقها من الخشية سواء كانت قهمة لمعانيه أو غير قهمة أو عامة بما يحتويه أو غير عامة كافرة بما جاء به أو مؤمنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فهذه الغيبة لم تزل تعترى من سمعه وقد اعترت جماعة من الصحابة قبل الاسلام وبعده فمات منهم خلق كثير من المؤمنين وسابت به عقول كثير من الموقنين وتدلهمت به أبواب جماعة من الحسينين . وقد صح أن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ » . الى قوله تعالى المسيطرون كاد قاي أن يطير . وفي رواية أول ما وقر الايمان في قاي . . وروى أن عتبة بن ربيعة كلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم « حُمِ فِصَّاتٌ » . الى قوله صَاعِقَةٌ مِثْلَ صَاعِقَةٍ عَادٍ وَثُبُودَ » فأمسك عتبة على في رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف . وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مُصْنَعٌ مُلَاقٍ بِيَدِهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ معتمداً عابها حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة لا يدرى بما يراجعه ورجع الى أهله ولم يخرج الى قومه حتى أتوه فاعتذرو اليهم وقال لقد كلنى كلاماً ما سمعت أذنأى بمثله قط فما دريت ما أقول له ومثل هذا كثير . . وأما من مات عند سماع تلاوة القرآن من المؤمنين وزال عقله وتدلّه من المحبين وراجع الامر من المذنبين العاصين فكثير لا يمكن حصره ولا يسعنا هاهنا ذكره فكتب الرقائق فيها من ذلك كثير . . وقد اعترض هذا القول بأن جماعة من أرباب القلوب وذوى الاستغراق في بديع أوصاف المحبوب حصل له من سماع بعض الاشعار ما أخرجه عن طوره وربما مات على فوره . . وقال قوم اعجازه حفظ آياته من التبديل وصون كلماته من النقل والتحويل ولا يستطيع أحد أن يتحيف منه سماً ولا يزيد شكلاً ولا نقصاً ولا يدخل فيه كلمة من غيره ولا يخرج منه أخرى ولا يبدل حرفاً بحرف وذلك من آياته

الكبرى وكم جهد أهل العناد في ذلك فاقدروا له وما استطاعوا وكم قصدوا تحريفه فأبى الله ذلك فأذعنوا له وأطاعوا . . . روى أن يهودياً تكلم في مجلس المتوكل فأحسن الكلام وناظر فلم أنه من جملة الاعلام وناضل فتحققوا أنه مسدد السهام فسداه المتوكل الى الاسلام فأبى وأقام لفرط الالباء على مذهب الآباء بعد أن بذل له المتوكل ضروباً من الانعام وصنوفاً من الرفعة والاكرام وراجعته في ذلك مرة بعد أخرى فلم يزد ذلك الا طغياناً وكفراً فغاب عنه مدة ثم دخل الى مجلسه وهو يعلن الاسلام ويدين دينه فقال له المتوكل أسلمت قال نعم قال ما سبب اسلامك فقال لما قطعت من عنقي قلادة التقليد وصرت من رتبة الاجتهاد الى مرتقى ما عليه مزيد نظرت في الاديان وطابت الحقي حيث كان فأخذت التوراة فنظرت فيها وتدبرت معانيها وكتبتها بخطي وزدت فيها ونقصت ودخلت بها السوق وبعته فلم ينكر أحد من اليهود منها شيئاً وأخذت الانجيل وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعته فلم ينكر أحد من النصارى منه شيئاً وأخذت القرآن وقرأته وتأملته فاذا « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » فكتبت وزدت فيه ونقصت ودخلت به السوق وبعته فنظر فيه المسلمون فعرفوا المواضع التي زدت فيها ونقصت وردوا كل كلمة الى موضعها وكل حرف الى مكانه فعلمت أنه الحق لتحقيق وصفه بأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فأمنت به وصدقت ما جاء به

﴿ فصل ﴾

اختار القاضي عياض وجماعة أن الاعجاز الظاهر المتحقق انما هو في الاربعة الاول حسن تأليفه والثام كله وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادات العرب . الثاني صورة نظمه العجيب الاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب . الثالث ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجدكم أخبر . الرابع ما أتى به من اخبار القرون السالفة والآنم البائدة والشرائع الدائرة وما عدى هذه الاربعة ومادلت عليه خصائص تفرّد بها وما أثر يستأثر بحصولها . . . وقال قوم وجوه اعجازه ثمانية وقد

قدّمناها في الفصل الذي قبل هذا الفصل وزاد بعضهم على هذا ونقص آخرون . . وقال قوم اعجازه في خروج الاتيان بمثله عن مقدور البشر . . وقال قوم اعجازه صرف الله خلقه عن القدرة على الاتيان بمثله ولولا ذلك لدخل تحت مقدورهم . . وقد اعترض على هذا القول بوجوه ثلاثة . الاول أن عجز العرب عن المعارضة لو كان من أجل أن الله تعالى عجزهم عنها بعد أن كانوا قادرين عليها لما كانوا مستعظمين لفصاحته بل يجب أن يكون تعجبهم من تعذر ذلك عليهم بعد أن كان مقدوراً لهم كما أن نبياً لو قال معجزتي أني أضع يدي على رأسي هذه الساعة ويكون ذلك متعذراً عليكم ويكون الامر كما زعم لم يكن تعجب القوم من وضعه يده على رأسه بل من تعذر ذلك عليهم ولما علمنا بالضرورة أن تعجب العرب كان من فصاحة القرآن نفسه بطل القول بالصرف . الثاني لو كان كلامهم مقاربا في الفصاحة قبل التحدي لفصاحة القرآن لوجب أن يعارضوه بذلك ولما كان الفرق بين كلامهم بعد التحدي وكلامهم قبله كالفرق بين كلامهم بعد التحدي وبين القرآن ولما لم يكن كذلك بطل ذلك . الثالث أن نسيان الصيغ المعلومة في مدة يسيرة يدل على زوال العقل ومعلوم أن العرب ما زالت عقولهم بعد التحدي قبطل أن يكون الاعجاز بالصرف بل الاعجاز ليس بالصرف . . وكل واحد من هذه الاقوال يحتمل أن يكون معجزة اذا تحدى بها الرسول صلى الله عليه وسلم وعجزوا عن الاتيان بمثل ما تحدى به وسمى هذا القول معجزة لتعجيزه من رام معارضته والاتيان بمثله لانها اسم فاعل من أعجزت يقال أعجزت هذه القصة فهي معجزة . . والذي يتعين اعتقاده أن القرآن بجملة ألفاظه ومعانيه وبعضه وكلامه معجزة اما لسلب قدرتهم عن الاتيان بمثله واما لصرفهم عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم تحدى به وعرض عليهم الاتيان بمثله فمعجزوا عن ذلك ولأن الله سبحانه أخبر انهم لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً أو عشر سور من مثله فمعجزوا عن ذلك أو سورة منه أو آية لتحديه صلى الله عليه وسلم بها وعجزهم عن الاتيان بمثلها هذا الذي وقع عليه تصريح الكتاب وصريح الخطاب ولا مرية في ذلك ولا خلاف (فان قال قائل) ان سورة من القرآن معجزة ومع هذا انها لم تحتو على جميع ما أودع القرآن من الاعجاز وضروب

البيان وعذوبة المساق وغرابة الأسلوب والأخبار عن القرون السالفة في الأعصر الماضية إلى غير ذلك مما تقدم ذكره (فالجواب عنه) أن السورة من القرآن جامعة لجميع ما ذكرناه أما منطوق به أو مشار إليه ولهذا قال سبحانه وتعالى « فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله » فما وقع التحدى إلا بسورة منسكرة أي سورة كانت فهذا دليل على أن القرآن العظيم قد احتوت أقصر سورة فيه من المعاني البديعة والفصاحة التي تسد بها عن معارضته الذريعة ونضرب لك مثالا ليتحقق عندك ما ذكرناه فنقول سورة الكوثر أقصر سورة وفيها من الألفاظ البديعة الرائقة التي اقتضت بها أن تكون مبهجة والمعاني المنبئة الفائقة التي اقتضت بها أن تكون معجزة أحد وعشرون ثمانية في قوله « أنا أعطيناك الكوثر » وثمانية في قوله « فصل لربك وانحر » وخمسة في قوله « إن شئت لك هو الأثر » أما الثمانية التي في قوله « أنا أعطيناك الكوثر » فالأول أن قوله « أنا أعطيناك الكوثر » دل على عطية كثيرة مسندة إلى معط كبير ومن كان كذلك كانت النعمة عظيمة عنده وأراد بالكوثر الخير الكثير ومن ذلك الخير الكثير ينال أولاده إلى يوم القيامة من أمته . جاء في قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه - النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم - ومن الخير الذي وعد به ما أعطاه الله في الدارين من مزايا التعظيم والتقديم والثواب ما لم يعرفه إلا الله . وقيل إن الكوثر ما اختص به من النهر الذي يؤه أحلى من كل شيء وعلى حافته أواني الذهب والفضة كالنجوم أو كعدد النجوم . . الثانية أنه جمع ضمير المتكلم وهو يشعر بعظم الربوبية . . الثالثة أنه بنى الفعل على المبتدأ فدل على خصوصية وتحقيق على ما بينا في باب التقديم والتأخير . . الرابعة أنه صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم . . الخامسة أنه أورد الفعل بلفظ الماضى دلالة على أن الكوثر لم يتناول عطاء العاجلة دون عطاء الآجلة ودلالة على أن المتوقع من سيب الكريم في حكم الواقع . . السادسة جاء بالكوثر محذوف الموصوف لأن المثبت ليس فيه ما في المحذوف من فرط الإيهام والشياع والتناول على طريق الاتساع . . السابعة اختيار الصفة المؤذنة بالكثرة . . الثامنة أتى بهذه الصفة مصدرة باللام المعروف

بالاستغراق لتكون لما يوصف بها شاملة وفي اعطاء معنى الكثرة كاملة . وأما الثمانية
التي في قوله « فصل لربك وانحر » فالاول فاء التعقيب هاهنا مستفادة من معنى التسبب
لمضيين . أحدهما جعل الأنعام الكثيرة سبباً للقيام بشكر المنعم وعبادته . الثانية جعله
لترك المبالاة بقول العدو فان سبب نزول هذه السورة أن العاص بن وائل قال ان محمداً
صنبور - والصنبور - الذي لا عقب له فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله تعالى هذه السورة . الثالثة قصده بالأمر التعريض بذكر العاص وأشباهه
من كانت عبادته ونحره لغير الله وتثبيت قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصراط
المستقيم واخلاصه العبادة لوجهه الكريم . الرابعة أشار بهاتين العبادتين الى نوعي
العبادات أعنى الاعمال البدنية التي الصلاة قوامها والمالية التي نحر الابل سنامها للتنبيه على
ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاختصاص في الصلاة التي جُعِلَتْ فيها قرة عينه
ونحر الابل التي همته فيه قوية . رؤى عنه صلى الله عليه وسلم أنه أهدى مائة بدنة
فيها جل في أنفه بُرَّةً من ذهب . الخامسة حذف اللام الأخرى لدلالة الاولى عليها
السادسة مراعاة حق السجع الذي هو من جملة صنعة البديع اذا ساقه قائله مساقاً
مطبوعاً ولم يكن متكلفاً . السابعة قوله - لربك - فيه حسنان . وروده على طريق
الالتفات التي هي أم من الامهات . وصرف الكلام عن لفظ المضر الى لفظ المظهر
وفيه اظهار لكبرياء شأنه واثباته لعز سلطانه ومنه أخذ الخلفاء - يأمرك أمير المؤمنين
بكذا - وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين خطب الأزدية الى أهلها فقال خطب
اليكم سيد شباب قريش مروان بن الحكم . الثامنة علم بهذا أن من حقوق الله التي
تعبد العباد بها انه ربهم ومالكهم وعرض يترك التماس العطاء من عبد مربوب ترك
عبادة ربه . . وأما قوله جل جلاله - ان شئت لك هو الابتر - ففيه خمس فوائد .
الأولى انه علل الامر بالاقبال على شأنه وترك الاحتفال بشأنه على سبيل الاستثاف
الذي هو حسن حسن الموضع وقد كثرت في التنزيل مواضعه . الثانية ويتجه أن نجعلها
جملة الاعتراض مرسله ارسال الحكمة الخاتمة الاغراض كقوله تعالى « إن خير من
استأجرت القوى الأمين » وعنى بالشأن العاص بن وائل . الثالثة انما لم يسمه باسمه

ليتناول كل من كان في مثل حاله . الزايسة صدر الجملة بحرف التوكيد الجارى مجرى القسم وعبر عنه بالاسم الذى فيه دلالة على انه لم يتوجه بقلبه الى الصدق ولم يقصد بلسانه الافصاح عن الحق بل نطق بالشنان الذى هو قرين البنى والحسد وعين البغضاء والحرد ولذلك وسمه بما ينبئ عن الحقد . الخامسة جعل الخبر معرفة وهو الابر والشائى حق كأنه الجمهور الذى يقال له الصنبور . ثم هذه السورة مع علو مقامها وتام مقطعها واتصافها بما هو طراز الامر كله من مجيئها مشحونة بالتبكت الجلائل مكتنزة بالمحاسن غير الفلائل فهى خالية عن تصنع من يتناول التبكت ويعمل بعمل من يتعاطى بمحاجته التبكت (قال المصنف عفا الله عنه) والاقرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصنيف والتحريف والزيادة والنقصان فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن (وقال بعض العلماء) ان اعجازه انها وقع بكون المتكلم به عالماً بمراده من كل كلمة وما يليق بها وما ينبئ أن يلائمها من الكلام وما يناسبها فى المعنى لا يخفى عنه ما دق من ذلك وما جل ولا . صرف كل كلمة ولا مآلها وغير الله تعالى لا يقدر على ذلك لأنه أحاط بكل شئ علماً وأحصى كل شئ عدداً وهذا القول من الاقوال التى لا مطعن عليها . وقد عدد العلماء وجوهاً من اعجازه غير ما ذكرناه الاولى أن تعد من خصائصه (وقال قوم) اعجازه من جهة أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة قائمة بالذات وان العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له والانيان بشله أو بمثل بعضه كلفوا ما لا يطاق . ومن هذه الجهة وقع عجزهم . وهذا القول أيضاً حسن والله أعلم

﴿ فصل ﴾

فما احتوى عليه هذا الكتاب العزيز من تلوين الخطاب ومعدوله وفنون البلاغة وضروب الفصاحة وأجناس التجنيس وبدائع البديع ومحاسن الحكم والامثال مفصلاً ومجماً خاطب العرب بلسانهم اتقون به الحجة عليهم والخطاب

الوارد عليهم ينقسم الى قسمين باق على أصل مدلوله وموضوعه ومعدول به عن حقيقته الى مسدوعه والمجموع ما عدل وما لم يعدل مائة وعشرون قسماً (الاول) خطاب عام وهو ما أريد به جميع من يعقل مثل قوله تعالى « واتقوا الذي خلقكم والجنة الأولى » وقوله « والله خلقكم وما تعملون » . (الثاني) خطاب خاص بلفظ عام كقوله تعالى « أ كفرتم بعد ايمانكم » وقوله تعالى « هذا ما كنزتم لانفسكم » . (الثالث) خطاب الجنس مثل قوله تعالى « يا أيها الناس » . (الرابع) خطاب النوع مثل قوله تعالى « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » ويريد به آدم من صلبه خاصة وقوله تعالى « يا بني اسرائيل » . (الخامس) خطاب العين كقوله تعالى « يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة » . يانوح اهبط بسلام منا . يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا . (السادس) خطاب المدح مثل قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا » . (السابع) خطاب الذم كقوله « يا أيها الذين كفروا » . (الثامن) خطاب الكرامة كقوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ » . (التاسع) خطاب الإهانة كقوله تعالى « انك رجيم » . (العاشر) خطاب الجمع بلفظ الواحد كقوله تعالى « يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم » . (الحادي عشر) خطاب الواحد بلفظ الجمع كقوله تعالى « وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خيرٌ لالصابرين » خاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله « واصبر وما صبرك الا بالله » . ومنه قوله تعالى « ولا تأتل أولو الفضل منكم والسمة أن يؤثوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفووا وليصنعوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفورٌ رحيم » خاطب بذلك أبا بكر رضي الله عنه حين حرم مسطحاً رِفْدَهُ حين تكلم في حديث الافك (الثاني عشر) خطاب الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى « القيا في جهنم كل كفار عنيد » والخطاب لمالك خازن النار تقديره ألقى ألقى وقد سمع عن بعض العرب يا حرسى اضربا عنقه - وقد حمل بعض الائمة قول امرئ القيس

* فقائبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ *

على هذا المحمل (الثالث عشر) خطاب العين والمراد به الغير كقوله تعالى يخاطب به

اسم الحال على المحل . السابع والثمانون اطلاق اسم الافواه على الألسن . الثامن
والثمانون التعبير بالألسنة عن اللغات التاسع والثمانون اطلاق ترك الكلام على الغضب
• التسعون التعبير بالاياس عن العلم • الحادى والتسعون التعبير بالدخول عن الوطء •
الثانى والتسعون اطلاق اسم الاسد على الشجاع • الثالث والتسعون اطلاق اسم الفوز
والحياة على الايمان • الرابع والتسعون اطلاق اسم الظلمة والموت على الجهل •
للمخامس والتسعون اطلاق اسم السراج والور على الهادى • السادس والتسعون
اطلاق اسم الخطب على النخبة • السابع والتسعون اطلاق اسم الانسان على تمثاله •
الثامن والتسعون التجوز بالماضى عن المستقبل • التاسع والتسعون التجوز عن الماضى
بالمستقبل • المائة اطلاق اسم الخبر عن النهى • الحادى بعد المائة اطلاق لفظ الخبر عن
الدعاء • الثانى بعد المائة اطلاق الامر على الخبر • الثالث بعد المائة توكيد الخبر •
الرابع بعد المائة التجوز بجواب الشرط عن الامر • الخامس بعد المائة التجوز بلفظ
النهى عن أشياء ليست مرادة بالنهى وانما يراد بها ما يقاربها ويلازمها • السادس بعد
المائة التجوز بالنهى لمن لا يصح نهيه وانما المراد به من يصح نهيه • السابع بعد المائة
التجوز بنهى من يصح نهيه والمنهى فى الحقيقة غيره • الثامن بعد المائة التجوز بهل عن
الامر والنهى والتقرير • التاسع بعد المائة التجوز بهمزة الاستفهام عن الامر والايجاب
والتقرير والتوبيخ • العاشر بعد المائة التجوز بنى ويتجوز بها فى مواضع قد تقدم
ذكرها فى فصل المجاز • الحادى عشر بعد المائة التجوز بعلى ويتجوز بها فى مواضع
مضى ذكرها فى باب المجاز عن وعن وهى حقيقة مجاوزة جرم عن جرم ويتجوز بها فى
المعاني وقد تقدم ذكره • الثانى عشر بعد المائة التجوز بمن وهى حقيقة فى ابتداء الغاية
فى الامكنة ويتجوز بها عن ابتداء الغاية فى الازمنة • الثالث عشر بعد المائة حرف ثم
وتستعمل حقيقة فى التراخى المعنوى ومجازاً فى التراخى الزمانى • الرابع عشر بعد المائة
حرف - ما - قال سيويه هى للاصناف والاخلاط وهى حقيقة فى الاجرام ونحو
فى المعاني • الخامس عشر بعد المائة حرفا - لعل وعسى - وحقيقتهما الترجى والتوقع
ويتجوز بهما فى الايجاب

فهذه مائة وخمسة عشر قسما اذا حررت في صيلاها جاوزت المائة وعشرين نوعا بل
أكثر من ذلك وقد ذكرناها مفصلة معينة بشواهدا من الكتاب العزيز والكلام
الفصيح وأشعار العرب والمخضرمين والمتأخرين ونسأل الله العون والصون والتوفيق الى
ما يقربنا اليه ويذلنا لديه والله الموفق لا رب غيره ولا يستعان بسواه ..

﴿ يقول مصححه عفا الله عنه ﴾

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى (وبعد) فقد تم بهون
الله وحسن توفيقه طبع كتاب (الفوائد المشوق الى علوم القرآن
وعلم البيان) لمؤلفه شيخ الاسلام على التحقيق ناصر
السنة قانع البدع شمس الدين أبي عبد الله محمد
المعروف بابن قسيم الجوزية وهو كما ترى لم يؤلف في
بلاغة القرآن مؤلف على مثاله ولم تنسج
يد ناسج على منواله . وكان طبعه
الزاهي الزاهر بمطبعة (السعادة)
بمصر والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وآله
وعليه مات ما قبوت
الاوليات

التي صلى الله عليه وسلم « لئن أنكرت ليحيطنّ عملك » والمراد به أمته . الرابع عشر الخروج بخطاب الحضرة الى الغيبة مثل قوله تعالى « حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم » . الخامس عشر الخروج من الغيبة الى الحضور كقوله تعالى « فأما الذين اسودّت وجوههم أ كفرتم بهذه ايمانكم » . وقوله تعالى « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم جزاء » وكان سعيكم مشكوراً » . السادس عشر خطاب التعنّن مثل قوله تعالى « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » الى قوله « تشعرون » . السابع عشر اطلاق اسم العلم على المعلوم . الثامن عشر اطلاق المعلوم على العلم . التاسع عشر اطلاق القدرة على المقدور . العشرون اطلاق اسم الارادة على المراد . الحادى والعشرون اطلاق اسم المراد على الارادة . الثانى والعشرون اطلاق اسم الفعل على أول جزء منه وعلى آخر جزء منه . الثالث والعشرون اطلاق اسم الأمل على المأمول . الرابع والعشرون اطلاق اسم الوعد والوعيد على الموعد . الخامس والعشرون اطلاق اسم المقدر والمهدى على الملتزم بهما . السادس والعشرون اطلاق اسم البشرى على المبشر به . السابع والعشرون اطلاق اسم القول على المقول . الثامن والعشرون اطلاق اسم النبأ على المنبأ به . التاسع والعشرون اطلاق الاسم على المسمى . الثلاثون اطلاق اسم الكلمة على المتكلم . الحادى والثلاثون اطلاق اسم اليمين على المحلوف عليه . الثانى والثلاثون اطلاق اسم الحكم على المحكوم به . الثالث والثلاثون اطلاق العزم على المعزوم عليه . الرابع والثلاثون اطلاق اسم الهوى على المهوى . الخامس والثلاثون اطلاق اسم الخشية على الخشى . السادس والثلاثون اطلاق المحب على المحبوب . السابع والثلاثون اطلاق اسم الظن على المظنون . الثامن والثلاثون اليقين على المتيقن . التاسع والثلاثون اطلاق اسم الشهوة على المشتهى . الاربعون اطلاق اسم الحاجة على المحتاج . الحادى والاربعون اطلاق اسم السبب على المسبب . الثانى والاربعون اطلاق اسم الكتابة على الحفظ . الثالث والاربعون اطلاق اسم السمع على القبول . الرابع والاربعون اطلاق اسم الايمان على ما نشأ عنه . الخامس والاربعون اطلاق اسم المسبب على السبب . السادس والاربعون اطلاق

اسم العقوبة على الاساءة . السابع والاربعون اطلاق اسم الأكل على الأخذ . الثامن والاربعون اطلاق اسم الغلبة على المقاتلة التي هي سبب عنها . التاسع والاربعون اطلاق اسم الرجز والرجس على عبادة الاصنام . الخمسون اطلاق اسم انقذرة على التوبة . الحادى والخمسون اطلاق اسم الكبرياء على الملك . الثانى والخمسون اطلاق اسم القوة على السلاح . الثالث والخمسون اطلاق اسم الاعطاء والايثاء على الالتزام . الرابع والخمسون اطلاق اسم الفعل على غير فاعله . الخامس والخمسون اطلاق اسم الفعل على سببيه . السادس والخمسون اطلاق اسم الفعل على الامر به . السابع والخمسون اطلاق اسم البعض على الكل . الثامن والخمسون اطلاق اسم الكل على البعض . التاسع والخمسون اطلاق اسم القيام على الصلاة . الستون اطلاق اسم الركوع عليها . الحادى والستون اطلاق اسم السجود عليها . الثانى والستون اطلاق اسم القراءة عليها . الثالث والستون اطلاق اسم التسييح عليها . الرابع والستون اطلاق اسم الذكر عليها . الخامس والستون اطلاق اسم الاستغفار عليها . السادس والستون اطلاق اسم الذقن على الوجه . السابع والستون اطلاق اسم الانف على الوجه . الثامن والستون اطلاق اسم الرقبة على الجملة . التاسع والستون اطلاق اسم اليدين على الجملة . السبعون اطلاق اسم اليدين على الجملة . الحادى والسبعون اطلاق اسم المضد على الجملة . الثانى والسبعون اطلاق اسم الاصابع على الارجل . الثالث والسبعون اطلاق اسم الوجه على الجملة . الرابع والسبعون اطلاق اسم بعض الرأس على الرأس . الخامس والسبعون اطلاق اسم بعض الاذن على الاذن . السادس والسبعون وصف الوجه بالخشوع والخشوع انما يكون فى القلوب . السابع والسبعون وصفها بالرضى . الثامن والسبعون وصف الجميع بما هو وصف البعض . التاسع والسبعون اطلاق اسم الفعل على مقاربه ومساوقه . الثمانون اطلاق اسم الفعل على ما كان عليه . الحادى والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما يؤل اليه . الثانى والثمانون اطلاق اسم المتوهم على المتحقق . الثالث والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما يظنه الناظر وهو على خلافه . الرابع والثمانون التعبير بالاذن عن انشيئة . الخامس والثمانون اطلاق اسم الشئ على ما لازمه . السادس والثمانون اطلاق

الترخيص	القسم الثامن عشر	الصفحة
الاستطراد	١٩	١٣٣
التورية	٢٠	١٣٥
الاحتجاج النظرى	٢١	١٣٦
حسن المطامع والمبادئ - ويسمى حسن الافتتاح	٢٢	١٣٧
حسن المقطع	٢٣	١٣٨
براعة الاستهلال	٢٤	٣٩
التخلص - ويسمى الانتقال من فن الى فن	٢٥	١٤٠
الاقتضاب	٢٦	١٤١
التطبيق ويسمى المطابقة والطباق والتكافؤ والتضاد	٢٧	١٤٥
المقابلة	٢٨	١٤٧
الاحتراس	٢٩	١٥٢
الاختصاص	٣٠	١٥٢
الاختراع	٣١	١٥٦
الهدم .	٣٢	١٥٧
الاستفهام	٣٣	١٥٨
المنزل	٣٤	١٦٠
التمعجب	٣٥	١٦١
السبب والايجاب	٣٦	١٦١
الهزل الذى يراد به الجذ	٣٧	١٦٢
التاميح	٣٨	١٦٣
النسخ والسسخ والمسح	٣٩	١٦٣
التعديد - ويسمى سياق الاعداد	٤٠	١٦٤
الموجه	٤١	١٦٥
المحمل الضدين	٤٢	١٦٥
التجريد	٤٣	١٦٧
الرجوع والاستدراك	٤٤	١٦٨

صفحة	القسم	الجزء	الموضوع
١٦٩	الجزء	٤٥	السؤال والجواب
١٧٠	«	٤٦	التوهم • ويسمى الابهام
١٧١	«	٤٧	التشبيب
	«	٤٨	الاستثناء
١٧٢	«	٤٩	الغربة • والظرافة • والسهولة
١٧٥	«	٥٠	مايوهم فساد أوليس بفساد
١٧٨	«	٥١	النادر والبارد
	«	٥٢	المساواة والتقصير
١٧٩	«	٥٣	التصریح بعد الابهام • ويسمى التفسير
١٨١	«	٥٤	التعقيب المصدري
١٨٢	«	٥٥	النفي والاثبات
١٨٤	«	٥٦	في الضمائر وما يتعلق بها
١٨٥	«	٥٧	الفصل والوصل
١٨٨			فصل يشتمل على ذكر جمل عطف بعضها على بعض
١٨٩	«	٥٨	في الوصف
١٩٠	«	٥٩	تسبیق الصفات بغير حرف سق
١٩١	«	٦٠	حسن السق
١٩٢	«	٦١	المدح والذم
١٩٤	«	٦٢	الحمد والشكر
١٩٥	«	٦٣	تأکید المدح بما يشبه الذم
	«	٦٤	المبالغة • وتسمى الافراط والغلو والايغال
١٩٧	«	٦٥	الرثاء والتعزية
١٩٨	«	٦٦	الشكایة
١٩٩	«	٦٧	الحكاية
٢٠٠	«	٦٨	الاقتضاء
٢٠١	«	٦٩	التذكير
	«	٧٠	الوعد والوعيد

فهرست كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان

صفحة

٢	خطبة الكتاب وفيها الكلام على بلاغة القرآن	
٩	القسم الاول في الكلام على الفصاحة والبلاغة وفيه اقسام	
١٠	القسم الاول في حد الفصاحة والبلاغة واشتقاقهما والفرق بينهما	
١٠	الكلام في الحقيقة وأقسامها	
	« في المجاز وأقسامه	
١٦	القسم الثاني اطلاق اسم السبب على المسبب	
١٨	« ٣ « السبب على السبب	
٢٠	« ٤ « الفعل على غير فاعله	
٢١	« ٥ « الاخبار عن الجماعة بما يتعلق ببعضهم	
٢٢	« ٦ « اطلاق اسم البعض على الكل	
٢٣	« ٧ « الكل على البعض	
٢٤	« ٨ « وصف الكل بصفة البعض	
٢٥	« ٩ « اطلاق اسم الفعل على مقاربه	
	« ١٠ « النى على ما كان عليه	
	« ١١ « على ما يؤل اليه	
٢٦	« ١٢ « المتوهم على المحقق	
	« ١٣ « النى على النى الذى يطلبه	
٢٧	« ١٤ « التضمين	
٢٨	« ١٥ « في مجاز الزوم	
٣١	« ١٦ « التجوز بالمجاز عن المجاز	
	« ١٧ « في الاسماء	
٣٢	« ١٨ « الافعال	
٣٦	« ١٩ « بالحروف بعضها عن بعض	
٤٣	« ٢٠ « في الاستعارة	

٤٦	فصل وهذه جملة مما احتوى عليه القرآن من أقسام الاستعارة
٥٤	القسم الحادى والعشرون فى التشبيه
٦٦	فصل فى التخييل
٦٨	القسم الثانى والعشرون فى الایجاز والاختصار
٨٣	« ١٣ فى التقديم والتأخير
٨٦	« ٢٤ فى الجمع بين الحقيقة والمجاز

﴿ الكلام على ما يختص بالمعاني وينقسم الى أقسام ﴾

٨٧	القسم الاول	المتناسب ويسمى التشابه أيضاً
٨٩	« ٢	التكميل
٩٠	« ٣	التقيم
٩٠	« ٤	التقسم
٩٣	« ٥	المؤاخذة
٩٤	« ٦	الاعتراض والحشو
٩٨	« ٧	الالتفات
١٠٤	« ٨	الحل على المعنى
١٠٦	« ٩	الريادة فى البناء
١٠٦	« ١٠	الاطالة والاسهاب • ويسمى الاطناب
١١١	« ١١	التكرار
١١٦	« ١٢	القسم
١١٧	« ١٣	الاقباس ويسمى التضمين
١٢١	« ١٤	التذييل
١٢٢	« ١٥	المغالطة
١٢٥	« ١٦	الاشارة • وتسمى الوسى
١٢٦	« ١٧	الكناية

To: www.al-mostafa.com